التَّجريبِيَة المَنْطِقِيَة
وَمَنْطِقُ التَّحْليل اللُغَوِي

- دِرَاسَةٌ فِي الأُصُول -

تقديم وتأليف:

د. دليل محمد بوزيان

للطباعة والنشر والتوزيع

2023 م
©المكتبة الوطنية الجزائرية 2023.
ردمك: 9 - 94 - 255 - 9931 - 978
الإيداع القانوني : السداسي الثاني 2023.

حقوق الطبع محفوظة

تقديم تعليق:

أهّم صُورةٍ مَيّزت وصَبغت التّفكير الفلسفي ومنهجِيتِهِ، في الفلسفة المُعاصِرة، هُوَ طابع الصّرامة والدِّقة التي كانت تَرُوم إليها جُل التيارّات الفِكرية والفلسفية، بِدايةً مع القرن العِشرين. وللجَواب على السُؤال: لِماذا بالذّات هذا القَّرْن؟ إجابتُنا رغم ما تحويه مِن استدلالات وافِية لِتثبيت ذلك، إلاَّ أنّ ما هو مجال الاتِّفاق بين المُشتغلين على هذه التيّارات، أنّ جُلّهُم يَتَّفِقون على ذلِك التحديد بالذّات، لأنّ قضية التمييز بين الفلسفات الحديثة والفلسفة المُعاصِرة كان مَفصولاً فيه مع مطلَع القرن العِشرين مع ظهور ما يُسّمى مَوت النّسق، والخروج من سُلْطَتِه، حيث حُرِّر العقل مِن دوغمائِيَتِهِ، مِمّا انعكس على طريقة التفكير الفلسفي، ومنهجية البّحث فيهِ. ولعلّ أبرز الأفكار التي أسقطت أكبَر الأصنام التي كانت تُسيطِّر على مَعاوِلِ التفكير الفلسفي التقليدي (أقصِد التي كانت تُمارَس بِصورتِها النظرية خاصّةً، في الفلسفات القديمة والحديثة) الذي عَرَفته الفلسفة مُنْذُ بِداياتِها الأولى كفلسفة تَأَمُلية تبحث في قضايا الوُجود(الانطولوجيا) والمعرفة ومشاكِل القِيّم (الأكسيولوجيا)، بمنهجية المُمارسة التأمُلية مع فلاسفة اليونان، إلى الفلسفات الحديثة وصِراع المذاهِب في تناوُل نفس المسائِل الكُبرى، وبنفس أدوات المعرفة التي ميّزت التفكير الفلسفي في عُهودِه السابقة ولكن بصِبغة حديثة، هِي مسألة «تقويض الميتافيزيقا».

لقد كان المدخل الجديد للفلسفة المُعاصِرة، وبالذّات مع الفلسفة الوضعِية المنطِقية أو التجريبية المنطِقية في آخِر تطوُراتِها، يَكْمُن في ذاك المشروع الخاص بِخلق فلسفة، تأخُذ صرامتها مِن داخِل بِنية العِلْم ذاته، والذي يُمكِن اختِزاله (أي هذا المشروع) في جوهر هذين المبدأين الأساسيين: - حذف الميتافيزيقا عبر»التحليل المنطقي للُغة»، وتحقيق وِحدة العِلْمَ، وذلِك بِرَّد العِلْم ذاته، وبِمُختلَف صُوَرِهِ ومجالاتِهِ ومباحِثِهِ إلى لُغَة التحليل، ومِن ثمّة يكون مجال العِلْم واضِحاً جَلّياً.

كثيرةٌ هِيَ الإشكاليات الفلسفية والعِلمِية، التي طَرَحها وناقَشها الخِطاب العلمي والفلسفي المُعاصِر وما يطرَحُهُ مِن رِهانات وما يواجِهُهُ مِن عوائِق ابستمولوجية، ومِنهُ ستكون حُدود هذا البّحث محصورة داخِل حقول النزعة التجريبية المنطقية، ومَنبعُها الذي نشأت فيه مدرسة «فيينا» المنطقية، والتي كانت نِتاج حِقبَة معرِفية في تاريخ الفلسفة المُعاصِرة، والذّي كان ينطلِق مِن تصوُّر للمعرفة، يرجَع في جُذورِه إلى نسق مُغْلَق، يتّخِذ مِنَ المُعطى الحِسّي التجريبي المُباشِر، النواة الصَّلْب التي ينطلِقُ منها كلَّ أنواع المعرِفة. كما يَجْدُر بِنا أن نَنْطَلِق مِن تّفاق حول استعمالنا للمُصْطَلَح الجَوهَري في بَحثِنا هذا، ألا وهُوَ « التَجْرِيبِاَنِيَة المنطِقِية-**Lo gique Empiricisme**»، إذ وَجَدْناَ مُصطَلَح «التجريبانية **Empiricisme**» يَحمِلُ نفس المعنى

والدلالة مَعَ مُصطلَح: «التجريبية **Empirisme** « والذي يَعْكِسُ روح البّحث الإمبريقية التّي تَتَّخِذُ مِن الخِبرة الحِسّية المُباشِرة النَّمُوذج الأوحد لتحقيق العِلْمِية. ومِنْهُ ستكون استعمالاتِنا لَهُ في مَتْنِ البّحث بالصُّورة التي نَجِدُها عليهِ في مادّة بحثِنا، أمّا مُصطلَح « منطِقِيَة **Logique**» فلم نَجِد لَهُ اختلاف في المَعنى على حِساب أنَّهُ لفظ تِقني وليس حَولَهُ خِلاف مِن حيث الحُمُولَة المَعرفِية الدّالَة علَيه، وهكذا سنستَعمِل لَّفظ « التجريبية المنطقية **Logique Empirisme**» بنفس المعنى مع « التَجْرِيباَنِيَة المنطقية». أمّا فيما يَخُصُّ مُطابقتِهما مع مُصطلحي: « الوضعِية المنطِقِية **Positivisme Logique** « و» الوضعِية المنطِقِية الجديدة Lo-**Néo- Positivisme** gique «التي سُمِيّت كذلِك، تمييزاً لها عن الوضعِية الكلاسيكية لِـ: «أوغست كونت»، وتأكيداً على التزاماتِها بآليات وقواعِد «المنطق الحديث» في شكلِهِ المُعاصِر، والذي تبلْوَرَ مع كلٍّ مِن «فريجه» و» برتراند راسل». سَنُبَرّرُ تِلك الاستعمالات، التي تَداوَلَتْها الدِّراسات والأبحاث المنطِقِية واللُغَوِية، فيما يتعلّق بأمور التّحليل المنطقي للغة، وهذا ما سنتداولهُ في سِياق بحثِنا، وسَنُبرّرُ وضعِية تِلْك الاستعمالات لَمّا يتطلّب الأمر ذلِك، والجدير بالانتباه، أنّ هذا الاتّجاه الفلسفي المُعاصِر، والتّي أرْسَت مُنطَلَقاتُهُ الأساسية «جماعة فيينّا»، ثُمّ تَوَسّعَت استعمالاتُهُ، على كافّة الأنشِطة الفلسفية والعِلْمِية للاتّجاه الوَضعي في ثوبِهِ الجديد (أي الوضعية المنطقية الجديدة **Néo-positivisme Logique**)، كان ثَرّياً بإنتاجاتِهِ التي مَيّزت مشاريعَهُ الفِكْرِية، والتي إن لم نَقُل أنّها كانت قريبة مِن الواقِع، فإنّها على أقل ميزة يُمكِن أن نَصِفها بِها، أنّها كانت مُعبِرّةً بالفِعْل على الرُّوح الوَضْعِي الذي خيّمَ على معالِم هذه الفلسفة، وفي ميادين كانت تُمثِّل المُقَدّس في الفلسفات التقليدية(مسألة دحض الميتافيزيقا، عن طريق منهجية جِدُّ متطورّة وملازمة للأفكار العِلْمِية المُعاصِرة هِيَ منهجية «التحليل المنطِقي»). ونحن في بحثِنا هذا، نَرُومُ إلى كشف معالِم تِلْك المُمارسة المنهجية على مُستويات معرِفِية دقيقة جِدّاً.

لِماذا التأكيد على هذه الدِّقة والصرامة؟ لأنّ الأمر وبِكُلّ بساطة مُرتبِط بالعِلْم، وانجازاتِهِ مِن جِهة، وبالتأسيس للفلسفة العِلمِية مِن جِهَة مُقابِلة. مِمّا جعل الإطار المعرِفي المَبحوث فيهِ، يمَّسُ جوانِب فلسفية بِمفهوم عام، وإبستيمِيّة ولُغَوِيّة بِمفهوم خاص، أين سيَكُون مُنْطَلَقُنا في هذه الدِراسة، هُوَ الكَشف والاستقصاء عَن معَالِم «الفلسفة التّجريبية- المنطِقِية»، والتي مِن خلال المضمون الفلسفي والمنهجي الذي حَمِلَتْهُ واحْتَوتْهُ، اعْتبُرِت أصْل مِن أُصول الفلسفة المُعاصِرة التي تَميّزَت بِدَعوَتِها إلى تحديد وبيان أهَمِيّة اللُغة، وتركيباتِها المنطِقِية والحُصول على بِناء سليم للعُلوم لِغرَض التوضيح الفِكْري. حيث يأتي السؤال عن طبيعة العِبارة التّحليلية في فلسفة التجريبية المنطقية وعَنِ الكَيْفِية التي تَمّت بِها عَمَلِية الانتقال

من عَالَم الأفكار إلى الكَلِمات في منطق التّحليل اللُغوي لَدَى الوضعيين المناطقة مُتقَدِّما هذه الدراسة.

بعد ذلك، يدْفَعُنا البحث إلى التعامُل مع أبرز الشخصِيات الفلسفية التي أثّرت في بِنية الخِطاب اللُغَوي عِند أنصار التّجريبية المنطقية مِنْ خلال «حلقة فيينا»، إنّه الفيلسوف النّمساوي «لودفيج فتجنشتاين»، مُبيّنا تجلّيات وأُصُول المُقَاربة بَيْن أهَّم أعمالِهِ وإنتاجَاتِهِ الفلسفية» في المجال اللُغوي، ونَخُصُّ بالذِّكْر هُنا: «رِسالة منطِقية فلسفية» و«تحقيقات فلسفية»، وبَيْن منطِق التّحليل اللُغوي والمنهج العِلْمِي والفلسفي للتّجريبية المنطِقية. لِنَتقِل في سَيْر البّحث، إلى التوظيف لأبرز فيلسوف مثّل هذا الاتجاه، إنّه الفيلسوف والفيزيائي «رودولف كارناب»، لِنُحاوِل عبر هذا التوظيف الكشف عن معالِم التقارُب الفِعْلي ولِدرجة بعيدة مِن الإثبات للإسهامات الفِعْلِية لهذا الفيلسوف في تشكيل بِنية الفلسفة الوضعِية المنطِقِية. ولكن في نفس الوقت، نكشِف عن الخلفِيات الابستيمِية والمنهجية التي اعتمدها هذا الفيلسوف لتحقيق ذلِك، وفي الأخير نُحاول أن نكشِف عن نِسبَة نجاحِها كَمذهب في التّخلي عَن السعي نحو فلسفة أولى (الميتافيزيقا الكلاسيكية) سابقة على العِلم الطبيعي، بمعنى التساؤل عن ما إذا أفلحت الحركة التجريبية المنطقية في دفع حركة العِلم الفلسفي أو فلسفة العِلم للتغير نحو الأفضل، وذلِك بالكشف عن بعض أهّم الانتقادات التي وُجِّهت للوضعِية المنطقية بهدف التجاوُز لأفكارِها ومبادِئِها.

أين نُحاوِل من خلال الفصل الأوّل من هذه الدِراسة السَعْي إلى التأسيس للموقف الفلسفي والعِلمي الذّي أَنتَجَتْهُ الحركة التجريبية المنطقية، وذلك مِن خِلال تقديم قِراءة في الأصول التّي نَظَرّت بِنِسبة هامّة لموضوع التّحليل المنطِقي للغة المحمولية خاصّةً. فَنوُضِّح طبيعة نشأة وماهية النزعة التجريبية – المنطقية، ونُحَدِّد الحقل الموضوعاتي لهذه النزعة، ثمّ نَنْتَقِل للحديث عن مسألة دور المنهج، كأداة للفلسفة العِلمية لدى أنصار النزعة التجريبية – المنطقية. أمّا الفصل الثاني، فقد طرحنا فيه مسألة تأثير فلسفة النمساوي» لودفيج فتجنشتاين» على بِنْية الخِطاب الابستيمولوجي والميتودولوجي للتجريبية المنطِقِية. وقد تناولنا في بِداية هذا الفصل، مسألة دور الذّرية المنطقية وأثرها في التأسيس لِفلسفة «فتجنشتاين» الأولى، ثُمَّ انتقلنا عبر هذه الدِراسة، إلى الحديث عن عُمق الطَرح الذي قدّمَه التَيّار التحليلي باعتبارهِ الروح المُطْلَق للفلسفة النمساوية، لِنُبْرِزَ بعد ذلك تأثير مؤَلَف «التراكتاتوس» وانعكاساته على البِناء القاعِدي للفلسفة التّجريبية المنطقية. لِنَصِل في آخِر هذا الفصل إلى عقد مُقابلة تحليلية بين منهج «التّحليل المنطقي» عند «فتجنشتاين» ومبدأ «القابلية للتحقُق «عِندَ التجريبية المنطقية»، وكان تأسيسُنا لهذا المبحث، قائِم على نمطِية ما يُسَّمى بالدِّراسات

المُقارِبة. أمّا المبحث الأخير من هذا الفصل، فخصّصناه لِدراسة « فتجنشتاين الثاني»، وذلِك مِن خلال الكشف عن معالِم عَوْدَتِهِ (فتجنشتاين) وتَمسُكِه بآرائه الفلسفية الأولى في بعض جوانِبِها، ودرجة تأثيرُه على فلسفة التيّار الوضعي المنطقي من جِهة، ومِن جِهَةٍ ثانِيَة الكشف عن مدى تَجَاوُزِه لَهُم (التجربيين المناطقة) في جوانب أخرى مِنَ التّحليل الفلسفي، وهذا عَبْرَ كِتابهِ الأساسي الثاني: «الأبحاث الفلسفية». لِننتَقِل في الفصل الثالث إلى مسألة «التحليل المنطقي للغة كأساس لِمنطق العِلم في النزعة التجريبية-المنطقية» ، وذلك من خلال التعامل مع أبرز شخصية فلسفية مثّلت بِصِدق أبعاد وفلسفة هذه النزعة، إنّه الفيلسوف الألماني « رودولف كارناب R.. Carnap » ، مُتطرقين في بداية هذا الفصل إلى مسألة دراسة الأسُس التي حَكَمت الفلسفة التّجريبية المنطِقية والتي اعتبرت الفلسفة كمنطِق للعِلم عِند «كارناب». ثُمّ ألحقناها بمباحِث ثلاث هِي على التوالي:» إسهامات «كارناب» في مجال البِنْيَة والتركيب المنطقي للعَالَم.» و«كارناب» ومبدأ « القابلية للتحقيق» لدى التجريبية المنطقية.» لِتَصِل بِنا هذه الدِراسة إلى الحديث عن « نظرية المعنى(السيمنطيقا) كنتيجة لأبحاث»كارناب» اللُغَوِيّة في ظِلِّ التّجريبية المنطِقية. أمّا الفصل الرابِع من هذه الدِراسة، قدّمنا من خلالهِ، خلاصة بعض الانتقادات والتي رأينا بأنّها فعّالة وتزيد في ثراء النِقاشات حول هذا الاتّجاه الفلسفي الهام الذي ميّز فلسفة القرن العشرين، حيث راعَيْنا فيها أن تكون نماذج عَملية النّقد في صِلّة واطِّلاع دقيق على موضوع الذي بحثنا فيه، سواءاً بِحُكْم الاتصّال المباشر والمُلازِم لأبرز مُمثِلي هذا الاتِّجاه، أو على سبيل القِراءة المتعمِقة للأبعاد الفلسفية والأفكار المنطقية التي تناولتها الوضعية المنطِقية.فكان أن اخترنا ثلاثة نماذِج: الأَوّل كان فيلسوف العِلْم الملازم للحركة: «**كارل بوبر**»، أمّا الثاني، فهو مِن أبرز المُشتغلين على تلك الفلسفة، في الفكر الفلسفي المُعاصِر: «**ويلاري كو اين**»، أمّا الثالث، فهو أيضا مِن الذين كشفوا عن وُجود تناقضات في الفلسفة الوضعِية المنطِقية، إنّهُ رَجُل العِلْم وصاحِب كتاب: «المنهج العِلْمي» «**ريتشى**».

ومِن أجل الوُصول إلى الدِّقة العِلمية التي نَروم إليها، ارتأينا أن تكون منهجية مُعالجتِنا للقضايا المطروحة في غُضون هذا البحث، الذي يتخصّص في أبرز الحقول المعرفية التي ميزّت انطلاقة الفلسفة الغربية المُعاصرة، والمُتمثِّل في « الفلسفة التجريبية المنطقية « أو «الوضعِية المنطقية»، أن تعتَمِدَ على « المنهج التّحليلي» في مُعظم محطّات سير البّحث، مع استدعاء المراحِل الأساسية لِمنهجية البّحث في الدّراسات المُقارِبة أحياناً وأحياناً أخرى وكَنِتاج لِمُمارسة المَنْهَجية السَّابِقة الذِكر، وَجَدْنا أنفسنا نرتكِزُ على إحدى مَحَطّات منهجية المُقارِنة (كالحديث على بعض أوجه الاختلاف أَو التداخُل المَوْجُودة بَيْن بعض الآراء، لِبعض الفلاسفة، وذلك أثناء التطرُق لمواقِفِهِم حَوْلَ المَسائِل المَطْرُوحة داخِلَ هذا الحَّقل الفلسفي

والعِلْمي للوَضْعية المَنطقية)، خاصّة لَمّا نكون في مجال التأسيس للمُفارقات الجوهرية بين آراء ومواقِف الفلاسِفة اللّذين تبَّنوا التَّحليل المنطقي للوُصول إلى ما يُسّمى عِندَهُم اللُّغة المِثَالية، ونَخُصُّ بالذِّكْرِ هُنَا: «برتراند راسل» و« فتجنشتاين «.

لم تكُن الدراسة التي أجريناها حول موضوع « التحليل المنطقي للغة» – التجريبانية المنطقية نموذجاً- سِوى مُحاولة تأصيل لهذا الحقل مِن البّحث، وامتداد لِدِراسات عديدة أقامها باحثون ومُفكِرون، سواءاً في الحَقْل اللُغوي أو الحَقْل المَنطِقي أو كِلِهِمَا معاً. وكانت هذه الدراسات ذات الطابِع الأكاديمي مَحْصُورة إمّا في بعض الأطاريح الجامِعِية[1]، أو بعض الدِّراسات الخاصّة مِن خِلال كُتُب فَرْدِية[2]، أو جُملة مُلْتقَيات فلسفية، دُوِّنَت في مقالات فردية، جُمِعت في كتاب جماعي مُشترك، أو مقالات خاصّة، جُمِعت في مِلّفٍ خاص داخِل عدد خاص مِن الدَّورِيات المُحَكَّمة.

كُلُّ هذه النماذِج التي ذَكَرناها على اختلاف دَرَجاتِها العِلمِية، كَانَت حاضِرة كإسهامات فِكرية، مِن قريب أو مِن بعيد في موضوع بَحْثِتا هذا. فمِنها من تناوَل بالدراسة الجانب التحليلي للغة المنطِقِيبة، ومنها من اعتنى بطبيعة المضامين الفلسفية للتجريبية المنطقية، ومِنها مَنْ خَصّ بالدِّراسة أبرز نماذِج هذا التيّار الفلسفي العِلمي كالفيلسوف «رودولف كارناب» مثلاً، أو « لودفيج فتجنشتاين» وأهّم إسهاماته في حَقْل «التّحليل المنطقي للغة» مِن خِلال أشهَر مُؤلَفاتِهِ «رسالة منطِقية فلسفية».

أمّا بالنسبة للمنجزات الخاصّة والتي اعتبرناها دراسات سابقة عن بعض جوانب الموضوع، فكانت هناك دِراسات عَميقة لهذا التيّار الفِكري [أقصِد التجريبانية المنطِقِية]، وسَأَخُصُّ بالذِكر المُؤَلَفَيْنِ التَالِيَيْن: «الفترة الذهبية للتحريبية المنطقية» فيينّا بَرْلِين بْرَاغْ (1936/1929)[3]»

هذا الكِتاب هُوَ عِبارة عن مقالات ونُصوص أصلية، لأعلام التجريبية المنطقية، وهُم أيضا الأعضاء المؤسِسون لحلقة فيينا كَ: «فيليب فرانك»، «هربارت فيجل»، « موريس شليك»، « أوتو نوراث»، «رودولف كارناب»، كارل هامبل»، و«هانز ريشانباخ». إلاَّ أنّ ما جلب انتباهنا

(1) أنظر: أطروحة دكتوراه علوم" في الفلسفة، مِن إعداد الباحِث: "حمود جمال"، والموسومة بـــِ: " فلسفة اللُّغة عِنْدَ لودفيج فتجنشتاين مِن خلال رسالة منطقية فلسفية"، إشراف: مليكة ولباني. نوقِشَت بِجامعة منتوري، قسنطينة، كليّة العُلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، السنة الجامعية: 2007/2006.

(2) La Philosophie Analytique, dans tous ses états, Sous la direction de mélika Ouelbani, Université de Tunis, 2007.

(3) «CHRISTIAN BONNET, et PIERRE WAGNER, L'âge d'or de l'empirisme logique, Vienne – Berlin – Prague (1929/1936), Éditions Gallimard, 2006.»

في هذا المُؤَلّف، هُوَ نَّص كلّ مِن: « ألبرت بلومبرغ « و»هربرت فيجل» والموسوم بِـ: «الوضعية المنطِقية تيّار جديد في الفلسفة الأوروبية» 1931. ونصوص «رودولف كارناب» والموسومة على التوالي: «لُغة الفيزياء، كَلُغة عالَمِية للعِلْم»[1] سنة 1932، و» مِن نظرية المعرِفة إلى مَنطِق العِلْم»[2] في سنة 1936، وفي سنة 1936 «الحقيقة والإثبات.» [3].

إضافة إلى العَمَل الذي قَدّمه(جون، لورو) والموسوم بِـ: «تاريخ مُقارِن لفلسفة العلوم، الجزء الثاني، «التجريبية المنطقية في محّك الجدل» [4] حيث يُقَدِّم هذا الكِتاب، جُملة مِن الدراسات المُقارِبة، حَول موضوعات فلسفية وعِلْمِية ومنهجِية، قَدّمتها « التجريبية المنطقية» مِن خلال نصوص أبرز أعلامِها «رودولف كارناب» و«كارل هامبل»، وصولاً إلى أهّم الانتقادات التي وَجّهها أعلام تيار – ما بعد الوضعية المنطِقية- بداية مع «كارل بوبر» و»توماس كون» و»إمري لاكاتوس» وأخيراً «بول فيرباند».

إنّ التعامل مع هذا الموضوع مِن الناحِيتين: المنهجية والمعرِفية، لم يَكُن يخلوا مِن عوائِق واجهتنا في استقصائِنا لِحيثِيات هذا الموضوع. بِدايةً بِتحديد السِياق الوظيفي لِلمُصطَلَح الرئيسي في البّحث، وهُوَ «التجريبانية المنطِقية»، حيث وَجدناها مِن حيث الدّلالة – أي المعنى- يُسْتَعمَلُ في العديد مِن مَصادر ومراجِع هذا البَّحث بِصِيغ مُتعدِّدة. فأحياناً وَجَدْناه مُرادِف في السِّياق الوَظيفي لِمُصْطلح « الوضعِية المنطِقية»، وأحياناً «الوضعية المنطِقية الجديدة»، هذا التَعَدُّد في الاستعمال صَعَّبَ عَلَيْنا عَمَلِية تَوْحِيد المُصطَلَح طِيلة مَسارَ عَمَلِية البَّحث، فكان أَنْ ارتأينا ضَرُورة استخدام المُصْطَلح حسب السِياق الذي يَرِدُ فيه في مَرجَعَة أفكار هذا البحث وحسب الفترة التي تَمّ فيها استعمال هذا المُصطَلَح أو ذاك، بِحُكم أنّ مُصطلحات: « التجريبية – أو التجريبانية- المنطقية و«الوضعية المنطِقية» والوضعية الجديدة، بِحُكم أنّ هذه المُصطلحات كان لها نفس الفَهْم، إذ غالِباً ما أُسْتُعْمِلَت كَمُتَرادِفات، بِحيث لا يُمكِن فصلُهُما عن بعضِهما البعض، وذلِك مُنذُ بداية سنة 1935، إضافةً إلى اعتمادِنا على بعض المصادِر والمراجع باللُغة الإنجليزية خاصّةً، إذْ وَجدنا بعض الصُعوبة في نَّقل وترجمة تِلْك النُصُوص إلى اللُّغة العَربية، فَراعَيْنا في ذلِك الحِفاظ على المعنى بالدرجة الأولى.

لقد جاء انشِغالُنا بموضوع: «التحليل المنطقي للغة» من خلال الرُؤية «التجريبية المنطقية»، كَنُقطة انتقال تكميلي، لِحلقة البحث الذي قُمت بِهِ في مُذكرة الماجستير،

(1) «La langue de la physique comme langue universelle de la science – 1931-»

(2) «De La Théorie de la connaissance a la logique de la science – 1936-»

(3) Vérité et Confirmation - 1936.

(4) «Jean, Leroux, Une Histoire Comparée de La Philosophie des sciences, Volume II, L'empirisme Logique en débat, Presses de L'université de Laval, Québec, Canada, 2010»

تَخَصُّص « المنطق التقليدي وتاريخُهُ» والموسومة بِـ: «تجلِيات علاقة اللّفظ بالمعنى بين النزعتين المنطِقية واللُغَوِية»، والمُنتمي إلى حقل الأبحاث اللُغَوِية المنطِقية، فكانت رغبَتُنا في مُواصلة مَسَار هذا البّحث، ولكِن بِوجهة نَظَر أكثر عَصْرِية، لأنّنا ركَّزنا في البَّحث الأوَّل على الدِّراسات التراثية أكثر، نظراً لأنَّ مُعطيات البَّحث كانت تَتَطلَبُ ذلِك. أمّا في هذا المقام مِن البَّحث فتعامُلنا كان مُرّكزاً على أحدث الكِتابات والأعمال الخاصّة بِفترة إنجاز الدِراسات المُتعلِقة بموضوع «التحليل المنطقي للغة» والمُمتدّة مِنْ فترات نهاية القرن التاسِع عَشَر وبِداية القَرْن العِشرين إلى بدايات هذا القَرْن(أي الواحد والعشرين). لِيُصْبِح بذلِك « التحليل المنطِقي» أبرز أداةٍ أخْرَجَت الفَلْسَفة مِن مَجالِ مَنْهج بَحْثِها التقليدي – أي التأمُل- إلى منهج جديد في عملية البّحث، ونقصِدُ بِهِ «منهج التّحليل «. وهذا كان بمثابة مُنعطف في مجال الفلسفة، لِتصير الفلسفة قريبة مِن العِلم، أو بتعبير كَانْطِي: تصير الفلسفة عِلمٌ صَارِم.

هذهِ التَحَوُلات الخطيرة في مجال الفلسفة، والتي دَعَى وسَطَّر لها أنصار الاتجاه التجريبي المنطقي أو الوضعي المنطِقي، شَدّت انتباهنا، فأردنا أن نُوَضِّحَ أبعاد هذه التحولات وانعكاساتُها على أبرز البُنى الداخلية التي اشتغلت عليها هذه المدرسة، وهي التأسيس للُغة عِلمية وعَالمية تحقِّق وِحدة العِلم. لِنُوَضِّح كيف استطاع هذا الاتجاه انطلاقاً مِن الحقل القاعِدي الذي نشأ فيهِ - أي حلقة فيينا- وُصولاً إلى آخِر تطوراتِهِ مع الوضعية المنطقية الجديدة، وانعكاساتِهِ على الرُؤية الفلسفية والعِلمِية للمدارِس الفلسفية المُعاصِرة.

لعلّ ما نبتغيه مِن هذه الدِراسة، كان مُنحصِراً في الكشف عن الخلفيات الابستيمية، والميتودولوجية، التي أسهمت في تشكيل معالِم الفلسفة «التجريبية المنطِقية» كأبرز تيّار فلسفي للقرن العشرين، والتي طالَما أخفاها المُمثلون الرّسمِيون لهذه النزعة أو هذا التيّار الفلسفي، خاصّة لمّا ننطلِق مِن اعتِقاد مفادُهُ أنّ هؤلاء رُوّاد هذه الحركة الفلسفِية، قد تَحدثوا عن دور الصرامة المنطِقية والتأصيل في مجالات بَحْثِهِم، لهذا كانت المُقاربات التي قُمْنا بِها هِي تعبير عن رُؤْيتِنا في مسألة التأصيل لِفلسفة التجريبية أو الوضعِية المنطِقية وذلِك بالتركيز على أبحاثِهِم في أبرز المواضيع المعرفية التي ميّزت الفلسفة الغَرْبِية المُعاصِرة وهُوَ موضوع التّحليل اللُغَوي، رُغْمَ أنّنا نطمح في دراسات لاحِقة إلى تقديم قِراءتِنا في جوانِب أخرى مِن الفِكر اشتغلت عليها الوضعية المنطِقية، لِنكشِف عن درجة معالِم الأصالة فيها، مِثْلَ مَوْضُوع «مُمارسَة مَنْهَج التَّحليل الفِكْري في العَمَلِية التَّرْبَوية» عِندَ الوضْعِيين المَنَاطِقَة.

د.دليل محمد بوزيان

الفَصل الأوَّل:

«التّحليل اللُّغوي والنّزعة التّجريبية - المنطقية» - قراءة في الأصول:

- المبحث الأوّل: «التَأسيس لِمفهوم التّحليل المنطقي في الفلسفات التقليدية والحديثة» دِراسة تقريبية لِنماذِج.
- المَبْحَث الثّانِي: «في نَشْأَة ومَاهِيَة النّزعَة التَّجْرِيبيَة المَنْطِقِية»
- المَبْحَث الثَالِث: «الحقل الموضُوعاتي للنّزعة التّجريبية المَنْطِقِية»
- المَبْحَث الرَابِع: «المنهَج كأداة للفَلسَفة العِلْمِية لدَى أنصَار النّزعة التّجريبية-المنطِقِية.

1. «التَأسيس لِمفهوم التّحليل المنطقي في الفلسفات التقليدية والحديثة» دِراسة تقريبية لِنماذِج:

توطِئة:

لقد طَغَى التفكير التّحليلي بأشكالِهِ المختلفة على شَطر كَبِير مِنْ أَنْواع التَّفكير الفَلْسَفي، وذلِك مُنْذُ المُمَارَسَات الأولى لَهُ عَبْرَ مَا كَان يُسَّمى «الميتافيزيقا اليونانية» إلى آخِر استعمالاتِهِ ضِمْنَ ما يُعرَفُ بِالفلسفة التَّحليلية التي تميَّزَ بِها أنْصَار التَّيار الأنْجلُوسَكْسُوني، أيْنَ استمدَّت قُوَّتَها مِنْ استنادِها إلى مُرتكزات تَحْليلية، إذ كانَت الغايَة الأُولَى التي يَرمِي إلَيْهَا «التَّحليل» في هذه الفَتْرة، هِيَ تَحْديد المَعْنَى وضَبْط القَواعِد المُتَحَكِمة في السِّياق اللُّغَوي المُؤَدي لِوِحْدَة المَعنى. وما يَهُمُنا في سِياق بحثِنا هذا، هُوَ هذا النَّمط الأَخير الذي اهتمَّ بِوحْدَة المَعنى، والذِّي يُسَّمى في عُرْفِ الفَلاسِفة التَّحليليين بِـ: « التَّحليل المَنْطِقيAnalyse-Logique» والذي يُرادُ بِهِ «تحليل الألفاظ لِمعرِفة معانيها بِدِقَّة وإزالة ما فيها مِن لُبْسٍ.»[1](1) فالتحليل في الأصل، كلمةٌ يونانية(Analusis)استخدمت في الفكر الفلسفي اليوناني خاصّة في الفلسفة الأرسطية وبالذات في موسوعتِهِ المنطقِية: «الأورغانون» (من خلال مؤلفين أساسيين هُما: «أنالوطيقا»ـ أي التحليلات الأولى، وأنالوطيقا الثانية). كما استُخدِمت في العصور الوسطى بالمعنى الذي كان لها عند الرياضيين،وعلى حَسب ما قال بِهِ «إقليدس الميغاريEuclide le Socratique» (نَحْوَ450 ق.م/ 380ق.م) «التّحليل يبدأ بالتّسليم بِما يُفحَصُ عَنْهُ ويُنقَلُ مِنْهُ، إلى ما يَنْتُجُ عنْهُ خِلال نتائِج مُخْتلِفَة.»[2](2) لِيكون بهذا المعنى أو ذاك، محصوراً إمّا في حَلّ أو نشْرِ المُرَكَب إلى البَسائِط التي يتألَّفُ مِنها، وإمّا يكون عِبارة عن عملية رَّد منطِقي لِسِلسِلة من القضايا إلى قضِيَةٍ نسبِية، أو بِمعنى آخر رَّد الموضوع الذي نتناوَلُهُ بالبحث إلى مصادِرِهِ أو عناصِرِهِ الأولّية، سواءاً كان الموضوع فِكرة أو قضية أو عِبارة لُغَوِية. أمّا إذا انتقلنا في حديثِنا إلى مُستوى الأحكام مِن الناحِية المنطِقِية، فالحُكْمُ التحليلي يكون، عِندما يكون المَحْمُول موجوداً في الحَامِل. فالرَبْطُ بين الحامِل والمَحْمُول هُوَ رَبْطٌ بالهُوِيَّة، فهذا الحُكْم هُو حُكْمٌ تَفْسيرِي، لأنَّ المحمول لا يُضيفُ شَيْئاً لِما كان موجود في تَصَوُر الحَامِل.[3](3) وبِذلِك يكون الحُكْم التّحليلي مُقابِلاً للحُكْم التّركيبي الذي يُضيف فيه المَحْمول معرفة جديدة للتَصَوُر الذي كان يتضمنُّهُ الحَامِل، فهُوَ رَبْطٌ لِمحمولٍ على حَامِل لَم يَكُن موجوداً فيهِ، ولاَ يُمكِن استخراجُهُ بالتّحليل كَما هو الشأن في الحُكْم التّحليلي.

---

(1) إبراهيم، مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامّة لِشؤون المطابِع الأميرية، القاهرة، مصر، د(ط)، 1983م، ص، 40.
(2) بدوي، عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، ج1، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984م، ص، 422.
(3) أدهم، سامي، إبستيمولوجيا المعنى والوجود، نقد التطورية (دراسة نقدية للواقِعِية، والمنطِقانية، والترنسندتالية ونقد تطور المعاني)، مركز الإنهاء القومي، بيروت، لبنان، د(ط)، د(ت)، ص، 68.

في عرضِنا لهذا الموضوع، كانت رؤيتُنا لِمَوْضوع «التّحليل المنطقي للّغة» مَحصورة في نَزعة أو مذهباً فلسفياً مُعاصِراً، هو النَّزعة التّجريبية المنطقية، إذ التّحليل عِنْدَهُم يأخُذ مفهوماً وطريقاً جديداً غير الذي عَهِدْناهُ في الفلسفات القديمة وحتّى الحديثة مِنها، إذ صارت القضية التّحليلية هِي التي تُستَنْتَج مِن قوانين المنطِق الحديث خُصوصاً، والتي سَنَكْشِف عنها عبر مُحتويات هذا البّحث. ولكن تعامُلنا مع مُعطيات هذا الموضوع، دفعنا إلى ضرورة التأريخ لهذا لِمُصطلح أَيْ «التّحليل المنطقي» والمُرتَبِط بمَجال إشكالِي خاص باللُّغة والمعنى. فارتأينا كمُنطلَق لِهذا البَّحث، أَنْ نُمارِسَ خِطاب «العَوْد»، أي العَوْدَة بالإشارة العَامّة لأبرز النّماذج في كلّ حِقبة زَمنية، اعْتَنَى بهذا النّمط مِنَ الدِراسات، لِنَخُصَّ بالذِكْرِ هُنا : «أرسطوطاليس» في الفِكر اليوناني، « أبو نصر الفارابي» مع التّحليل المنطقي للّغة في الفكر الفلسفي الإسلامي، ثُمَّ «إيمانويل كانط» في الفلسفة الحديثة.

1.1 التحليل المنطقي للغة عند«أرسطو»(374ق.م / 322ق.م):

إنّ التدليل على أهمية اللغة عامّة واللغة اليونانية خاصّة، يكمن في ارتباطها الوثيق بالعِلْم المنطقي، فلقد طَرَح «أرسطو» النموذج اللُغَوي اليوناني مِن خِلال نُصوصه المنطقية الموسومة في كتابين، عَبّرا بِصدق عن تلك الأهمية هما: كِتَابَيْ «المقولات» (قاطيغورياس)، و«العبارة» (باري أرمينياس)، حيث بَرزت العديد من التعليقات خاصَّةً في الفِكر العَرَبي الإسلامِي والتي تَنَاوَلَتْهُمَا بالشَّرح والتحليل. فلقد سَبَقَ «لابن باجة» وأن عَلَّقَ على كتِاب «العبارة» بِفِكرة في غاية الأهميّة مِن حيث الدَلالة، تَتَّصِل اتصالا مباشرا بالموضوع الذي نحاول تحليله مُبيّنا علاقة هذا الكِتاب بكِتاب «المقولات» والغاية منه. يقول «ابن باجة» في تعليقه على كتاب «العبارة» الذي لخّصهُ «الفارابي»: «ولمّا أعطانا في كِتاب المقولات مبادئ الفِكر، فقد قَصَد في هذا الكِتاب إلى أن يُعرّفنا كيف نُفكّر بها. ولَمّاَ كانَت الفِكرة بها لا تَكُون إلاّ بِقَضايا، وكانت القضايا أقوالاً، وكانت الأقوال مُركّبة من ألفاظ، وَجَبَ أن يتكلّمَ أولاً في الألفاظ المُفردة، فَعرَفْنا ما هي، وكَمْ أجناسُها، أعطى في كلّ واحدٍ منها ما يتميّز بِه مِن جِهَة الدَّلالة، ثمّ أنّه ذَكَر الأحوال التي تَلْحَقُها مِنَ المَيْلِ والاستقامة وغير ذلك»[1](1). هذا النّص الأرسطي الوارد في كتاب «العبارة»، يعكس طبيعة المشكلات اللُغَوية التي طُرِحَت بهدف التأصيل والتّحليل المنطقي لها، وتِبيان العلاقة الحقيقية التي تربط الألفاظ بالمعاني والتي تَجاهَلَتْها المَدارس الخِطابية قبل «أرسطو»، إضافة إلى رَفْع اللُبْس عن كلّ ما له صِلة باللُّغة، كالكِتابة والخطابة مثلاً،«ومِنْ هُنا يُستَنْتَجُ أنّ مَوقِف أرسطو من اللُّغة، موقف التواطؤ والاتفاق والاصطلاح، لا

(1) ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في العبارة، تحق: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامّة، د(ط)، 1978، ص،ص 12،13.

موقف الوَقْفِ والطبيعة والضرورة.»[1](1)

لِتوضيح ذلك، يكون لِزاماً علينا التطَرُق إلى مسألة أساسية هِيَ علاقة اللغة بالتصنيفات المنطقية عِند «أرسطو»، وفي هذا الشأن «يرى «بنفينست» أنّ «أرسطو» قد استفاد كثيرا من دراسة اللغة اليونانية، لأنّ تحليل المقولات الأرسطية مُستوحى من البِنية الخاصّة للّغة اليونانية. ولكن «أرسطو» لم يُوّظِف كلّ ما هو موجود في اللّغة اليونانية، وإنّما انتقى بعض الجوانب لأغراض خاصّة، لأنّ ما كان يشغل فكر «أرسطو» ليس النّحو وإنّما المعايير المنطقية والأنطولوجية،بالرغم مِنْ وُجود فِكرة كانَت مُتداولة في تاريخ الفلسفة والمنطق على السواء،وَهِيَ أنّه ما دامت مقولات «أرسطو» هي مقولات اللّغة اليونانية وأنّ مقولات الفِكر هي مقولات اللّغة فإنّه بالنتيجة ستكون خاصّة باليونان فقط.»[2](2).

لِيَتبيَّن لنا أنّ نَظرية المَقولات الأرسطية، باعتبارها أُطُر عامّة للفِكْر، يُمكن الاعتماد عليها في تحديد ماهية الأشياء، ولهذا فقد بدأ «أرسطو» مَنْطِقَهُ، بإصلاح مُخَلَّفَات الاتجاه الأفلاطوني الجَدلي، وذلِك مِن خلال تَحليله للعناصِر الأولية للكَلام، إذ كان يرى أنّ الألفاظ والتّصُورات هي مادّته الأولية، حيث بَذَلَ «أرسطو» مَجْهودا كبيرا في إحصاء الألفاظ المستخدمة في المُناقشة وتَحديد معانيها، إذْ يَبْدُو هذا العمل واضحا في كتاب «المقولات»، وفي «مقالة الدّال» مِن كتاب الميتافيزيقا ـ[3](3)

ولكن ما يعكس أكثر العلاقة الوثيقة التي تربط اللغة بالتصنيفات المنطقية الأرسطية، هو مَبْحَث التَصورات والحدود، والذي اعتبره بَعض الدارِسين، مِنْ أَخْصَب أَبْحاث المَنطق الصوري.فمثلا «التصور من حيث هو يُعَبّرُ عَن إحساسات، يتّمُ التعبير عَنْه مِن خِلال إطار

لغوي معيّن، وبِهذا يتّصل مبحث التصورات اتّصالا وثيقا باللُغة وتقسيماتها.»[1](4)، ومِنْه كان التّحليل المَنطقي الذي مَارسَهُ « أرسطو» مُنحصِراً بدرجة وثيقة بِمجال اللّغة، مِنْ خِلال مُحاولته ضبط العلاقة بين اللّفظ والمعنى.

يتجلى لنا ذلك بِوُضوح، حين نتعرض فيه للجُزء الخاص بمَبحث الألفاظ المُفردة والمُرّكبة، حيث تتداخل فيه الدِّراسات المَنطقية مع القَواعِد النَّحوية. «فالمَنطق يتّفِقُ مَعَ النَّحْو (أي السَنْتَاكْس(SYNTAXE) الذي هو عِلْم قوانين اللُّغة) في النَّظر إلى الألفاظ من حيث

(1) الزواوي، بغورة ،» في مفهوم اللغة عند أرسطو»، مقال في مؤلف جماعي، «أرسطو في الفلسفة العربية الإسلامية، ج1، فلاسفة المشرق، مطبوعات جامعة متنوري، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2001م، ص 52.

(2) الزواوي، بغورة، المرجع نفسُهُ، ص 52.

(3) أبو ريّان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي الثاني، أرسطو والمدارس المتأخرة، دار النهضة العربية، بيروت، ط4، 1976، ص38.

(4) محمد علي، ماهر عبد القادر، المنطق ومناهج البحث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د(ط)، 1985م، ص 21.

التقسيم»[2](1)، أي قِسْمَة الألفاظ قِسْمَة ثُنائية (الألفاظ المُفردة/ الألفاظ المُركبّة).

إضافة إلى كِتابي المَقولات والعبارة، يُوجد كتاب آخر لأرسطو تناول فيه هذه المسألة، هو كِتاب «الخطابة»، أو ما سَمّاه البَعض بكِتاب البَلاَغَة. حيث تُعَدُّ الخطابة طريقة في التَّفكير بِاللُّغة، وما يدّل على عَراقَة هذه العلاقة، هو أنّ هذا المُؤلَّف الأَرِسْطي ما زال إلى حدّ الآن مَرْجَعاً أساسيا، في كلّ تفكير لُغَوي، ونَظَراً لأَهَمِيَّة اللَّفظ، لِمَا له من علاقة مُباشرة بِمَفْهوم اللُّغة ومكانتها عند «أرسطو»، نتساءل: كيف حلَّلَ «أرسطو» العلاقة التي تَربِط اللَّفظ بالخطابة ؟

لعلّ أفضل إجابة في هذا السياق، هي ما يراه «أرسطو» نفسه حيث يَقُول في نّصٍ لَهُ: «إنّ القَّوْل في أحوال الألفاظ التي تَكُون بها أتّم إبانة عَنِ المعاني وأَجْوَد تفهيماً لها هو ضَروري في المخاطبة البُرْهانِية، فضلا عن الأقاويل البلاغية والشِعرية وذلك من جهة استعمالها في المُخاطبة البُرْهانِية إنّما هو لأَنْ يَكُون بذلك حُصول البُرهان أيسر وأسهل وأوضح، مثل ما يُقال أنّه يَنبَغي أن تكون الألفاظ المُستعملة فيه مُتواطئة غير مُشتركة، مَشهورة عِند الجُمهور، أو عِند أهل تِلك الصِناعة التي يستعمل فيها ذلك البُرهان، وإن كانت مشتركة وتقسّم جميع المعاني التي يُقال عَلَيْها ذلك الأَلْسُن المُشترك ويُبرهِن على كلّ مَعنى مِنْ تِلك المعاني على حِدَا، لأنّ الألفاظ في ذلك مَعُونة في زيادة التَصْديق الحاصِل عَنِ البُرهان وقوّته كالحال في الصَنائِع الأخرى فإنّها يلقى لها مَعُونَة في إيقاع التَصديق المُسْتَعْمل فيها وإن كانت في ذلك تَختلِف.»[3](2)

خُلاصة هذا القَّوْل، تَنْحَصِر في أهميّة التَّحليل المنطقي الذي قدَّمَه «أرسطو»، والقائم حَوْل النتائج الخاصّة التي توصّلَ إليها أثناء دراستِه لمفهوم اللُّغة، والتي خَصَّها بمكانة فريدة في أكثر من مُؤلَّف، إذ يُمْكِن حَصْرُها فيما يلي:

- هناك شِبْه اتفاق بين الدارسين لفِكْر وفلسفة «أرسطو»، حول تحديد موقفه من أصل اللّغة، وهُوَ الموقف القائل بالاصطلاح والاتفاق والتواطؤ لا بِالوقف والضرورة والطبيعة. يقول «أرسطو» في هذا الشأن: «والقول إنّما يدُّلُ على طريق التواطُؤ لا بالطبع ولا على طريق أنّ لكُلّ معنى مُرَّكب لفظاً/ مركباً يَدُّلُ عليهِ بالطبع من غير أن توجد تلك الدلالة في لفظ آخر غيرُهُ كما لا يوجد فعل الآلة في غير الآلة»[1](3).
- لقد أشار «أرسطو»، إشارات مُتفرقة إلى القواعد النحوية للغة اليونانية، حيث قَسّم الجُملة في اللغة اليونانية إلى ثلاثة أقسام: الاسم والفعل والروابط أو الضمائر. «رُبّما

(1) المرجع نفسه، ص 22.

(2) ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في العبارة، المرجع السابق، ص 253.

(3) ابن رشد، تلخيص كتاب العبارة، ج3، تحقيق، محمود قاسم، تقديم وتعليق، تشارلسبترورث وأحمد عبد المجيد هريدي، مركز البحوث الأمريكي بمصر، د(ط)، 1981م، ص 66.

قصد به، تَمْييز مُكَوّنات العِبارة الخَبرية التي كان «أرسطو» أكثر اهتماما بها، بِوصْفه منطقياً»[2](1).

- إنّ الإنسان عند «أرسطو» حيوان يمتلك اللُّغة، فهِيَ جَوْهَر كلّ نَوْعٍ إنساني، اجتماعي،وسياسي.
- إنّ إشكالية العلاقة بين المنطق واللُّغة، من القضايا الأساسية التي تناولتها النصوص الأرسطية، والمطروحة خاصّة في مؤلفاته المنطقية، «كالعبارة» و«المقولات»[(2)] و«الخطابة» و«الشِّعر»، والتي مازالت قيْد دِراسة في كلّ تفكير علمي وفلسفي إلى اليوم، كمسألة العلاقة بَيْن الدّال والمَدْلُول، أو اللُّغة بِالفِكر فلا وُجود للمعنى إلاّ إذا ميّزته اللُّغة، حيث أنّ المعنى يتجلى ويتّضح بعلامة يُدركُها الإنسان، سواء كانت تعبيرا أو إشارة، ممّا يسمح للغَيْر بِمعرفتها وإدراكِها، إضافة إلى الحَقْل الجَديد والمُعاصِر في فلسفة اللُّغة، والمُتعلِق بِقَضايا « التحليل المنطقي للغة›› بمستوياتِها: العِلمية والفلسفية.
- ـ أبرز معالِم التوظيف لأدوات التّحليل المَنْطِقي في مَجال اللُّغة عِند «أرسطو» تكمُنُ في المَوقِف الباحِث في مَاهية التَّعريف وأصنافِه وعَن الخصائِص والشُروط المنطقية الخاصّة بِنظَريتِهِ في «التعريف»، وهُوَ (أي التعريف «Définition››) - بمثابة خِطاب يَعْمَدُ إلى تحليل طبيعة الشيء المُعَرَّف، أو إظهار معاني الحدّ- هذا التّحليل للحَّد المُعَرّف، لا يكون إلاَّ بتحديد الصِّفات التي تُكَوّنُه وتُمَيّزُه عَمَّا عَداه مِن الحدُود. «فالتعرف هنا؛ إمّا أن يكون دالاً على ماهِية الشيء، وإمّا أن يكون مُميّزا لَهُ عمَّا عداه فحسب، والدَّال على الماهِية مُميّزا أيضا، فهو أعلى مَرْتبَة إذن، ويسمّى الأوّل مِنها باسم الحّد التَّام، والثاني باسم الحّد الناقص، أمّا الحّد التّام فهُو القَوْلُ الدّال على ماهية الشيء، وفيه تُستوفي جميع الذّاتيات، إذ يتّمُ بالجِنس والفَصْل القَريبَيْن. أمّا النَّاقِص فلا يستوفيها جميعا، بل يَحْصُل مِنْه التَّمييز الذّاتي فَحَسْب دُون مَعْرِفَة الذَّات. لهذا فهُوَ يَتّمُ بالجِنس البَعيد والفَصْل القريب وحده.»[(3)]إذَن فالتَّعريف في عُرْفِ المنطق الأرسطي هو كلّ ما يُعبّر عن تصوراتِنا وأفكارنا بألفاظ دقيقة وذاتية، ودّالَةٌ على حقيقة الشيء. هكذا توَجَّهَ «أرسطو» بِبَحثه نَحْوَ اللغة والعناصر التي تتركّب منها، عارضا المسألة في صورة مركبّة تجمع بين التّحليل اللّغوي والتّحليل

(1) الزاواوي بغورة، أرسطو في الفلسفة العربية الإسلامية، المرجع السابق،ص 58.

(2) المقولات أو"قاطيغورياس"معناها العشرة مقالات، أو الوجوه العشرة التي مِنْها يمكن أن نَصِفَ موجود ما بصفة ما . وقد أسماه "ابن حزم الأندلسي": "الأسماء المفردة "، وبعبارة أخرى، المقولات هي أنـواع الصفات التي يمكن أن تُحْمَل على كائن أو شيء معيّن .

(3) Chenique, François, Elément de logique classique, tome1, Dunod, Paris, 1975, p.114.

المنطقي هذه هي المُهِمّة التي حاول أن يَنْهَض بها «أرسطو» في نظرية القياس، ولكنه لم يتجاوز حدود إعادة نسخ البِنية النحوية الأساسية في اللغة الطبيعية (ونعني هنا اللغة اليونانية القديمة)، وذلك باختزاله القضية المنطقية في الصورة الوحيدة: «موضوع محمول».[1] كما كان مِن وَراءِ اختِيارِنا لِـ«أرسطو» في الفكر الفلسفي القديم كنموذج، هدفٌ معرِفي خالِص، باعتبار أرسطو ذاته هو مِن الأوائِل الذين أكدّوا على المعرفة في العِلْم الطبيعي لا تَحصُل إلاّ بناءاً على تحليل التجربة الحِسِيّة، حيث نَجِدُهُ يقول في المقالة الأولى مِن كتاب: «السماع الطبيعي» ما يلي: «و على ذلِك فإنَّ الأشياء التي تكون، في بادئ الرأي أكثر وُضوحاً وقابِلَة لأن تُعْرَف على وجه مُباشِر بالنسبة لنا هِي الأشياء المحسوسة المشوشة المختلطة لا الأمور المُجردّة العامّة، ثُمّ مِن بعد ذلِك مِن هذا الاختلاط والتشويش، تصير عناصِر الأشياء ومبادئها بيّنة واضِحة، عِندما نُجْري عليها عملية القِسْمة والتحليل»[2][3]. فَعَلَىَ ما يبدوا هُنا، أنّ «أرسطو» يُؤكّد على أنّ طريق البَّحث، يجِبُ أن ينطلِق مِن عالَم الأشياء الكُلّية الموجودة في الواقع الحِسّي، فَهِي الأوضح والأبْيَن وتُعرَف بطبيعتها، حيث يقول في هذا الشأن: «لِذلِك ينبغي أن نتقدَّم مِن الأشياء الكُلّية إلى الجُزئيات، لأنّ الكُلّي مِمّا يُعْطى لنا في الإدراك الحِسّي يكون أكثر قبولاً للمعرفة.و إنّما سميت المحسوس المُشَخَّص «كُلّياً» لأنّه يحتوي في تركيبِهِ المُعَقَّد على مُكوّنات مُتباينة، مِن العناصِر والأحداث والخصائِص.»[3]

إذن، تبقى إشكالية العلاقة بين المنطق واللغة، من القضايا الأساسية التي تناولتها النُّصوص الأرسطية، والمَطروحة خاصّة في مؤلفاته المنطقية، «كالعبارة» و«المقولات» و«الخطابة» و«الشعر»، والتي مازالت قيْد دِراسة في كلّ تفكير عِلمي وفلسفي إلى اليّوم، كمسألة العلاقة بين الدّال والمدلول، أو اللُّغة بِالفكر، فلا وُجود للمعنى إلاّ إذا ميّزته اللُّغة، حيث أنّ المَعنى يَتجلى ويتّضح بعلامة يُدرِكُها الإنسان، سواء كانت تعبيرا أو إشارة، ممّا يسمح للغير بمعرفتها وإدراكِها.

1.1 التحليل المنطقي للُّغة بمنظور«أبوا نصر الفارابي»(259هـ / 339هـ):

إنّ المُتفَحِص لِمؤلفات» أبي نصر الفارابي» الفلسفية، سيجِدُها بنسبةأكبر مَحْصورَةً ضِمن حُقول المنطق وفلسفة اللغة. يظهَرُ هذا من خلال مصنفاته الكبرى ألاَ وَ هِي: «الألفاظ المُستعمَلَة في المنطق»، كتاب «الحُروف» وكِتاب «إحصاء العُلوم»، إضافة إلى العديد مِنَ الشُروحات التي خَصّ بِها أُمُور المَنْطق، كالمَسْند الصَغير والأوْسَط والكَبير.

(1) SCHMTZ François, Wittgenstein, éd. Les Belles Lettres, Paris, 2003, P. 67.

(2) أرسطو، الفيزياء السماع الطبيعي، المقالة الأولى، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، المغرب، د(ط)، 1998 م، ص، 11

(3) أرسطو، المرجع نفسه، ص، ص، 11، 12.

لقد كَشَفَت بِحّق هذه المُصَنَفات، على مَدَى أهَمِيَّة هاتين الصِناعَتَيْن (المَنْطِق والنَّحو) في فِكْرَ «الفارابي» وَ الذِي جَعَل مِن الُّلغة مَجالهُما الخاص الذي يَجْمَعُ بينهما. كما نجده يؤكد في العديد من المُؤلفات على هذه الصِّلة، باعتبار أنّ موضوعات المنطق هي المعقولات من حيث دلالة الألفاظ عليها، ولمّا كانت الألفاظ دّالة على المعقولات بذاتها، فإنّ ترتيبها وتقسيمها إلى أجناس وأنواع، تساعد الذهن على الوضوح والدّقة في بناء المعرفة اليقينية، وهذا من أهّم أغراض المنطق عِنْد الفارابي [1](1) هكذا تجسَّدَت العلاقة بين النَّحو والمَنْطق عند «الفارابي»، أَيْنَ أكّدَ على ضَرورة تَدَخُّلْ النَّزعة المنطقية، للبَّحث عَن دَلالة الأَلفاظ مِن حيث المَعاني. والقَصْدُ مِنْ ذلك جلّي، هو تِبيان علاقة اللَّفظ بمعناه أو ما يسّمى في لُغة اللِسَانِيَات «علاقة الدّال بالمدلول». وبذلك «تتجَّلى لنا قيمة أخرى للمَنْطِق في فكر الفارابي، باعتباره لا يَخْتَصُ بِأُمّةٍ بِعيْنِهَا، بل هو مُشترك بين الأمم كُلِّهَا،

ممّا أدّى إلى ظهور جهود أخرى في البحث المنطقي، والخاصّة بمجال اللغة».[1](2) ومِنْهُ كان التحليل المنطقي للُّغة عِند «الفارابي»، مَبْنِياً على المقارنة بين الأدوات اللغوية والفهم النحوي، وبين الأدوات المنطقية والتحديد المنطقي للمفاهيمـ هذه اللُّغة المَحْمُولِيَة بِعِباراتها السَليمة لاَ تزيد عَنْ كَونها تراكيب سليمة خَالِية مِنَ المَضْمُون وَ لاَ فائِدة مِنْ ورائِها بالنِسبة للتَعَابِير اللِسَانية التي تنقلُها إلاّ إذا اكتسبت دَلاَلة، ولاَ تَكْتسِب هذه الدَّلالة إلاّ إذا وُضِعَت لَهاَ قواعِد ـ[2](3)

يُمْكِن توضيح ذلك انطلاقاً مِنَ القول الآتي: «زيد إنسان». فالتحليل الذي يقدِّمُهُ «الفارابي» من الناحية اللغوية هنا: أنّها جملة تتألف من (زيد)، وهو المُسْنَدُ إليه أو المخبر، ومن (إنسان) وهُوَ المَسْنَدُ أو الخَبَرُ، ثمّ يواصل «الفارابي» تَحْلِيلُهُ، حيث يُقدِّم لنا فَهْماً لُغَوياً آخَرَ للجُمْلة، فهي تتألف مِن مَوْصُوف هُوَ «زيد» ومِن صِفَة وهي «إنسان»، أمّا مِن نَاحِية التَّحليل المَنطِقي للقَّوْل: «فإنّ الجُملة (زيد إنسان) عِنْدَه، هِي قَضيّة أو تَصْديق وهي تتألف من موضوع هو»زيد»، ومَحْمول هُو»إنسان»، ومن رابِطَة مَنْطقية ساهمت في رَبْط الموضوع بالمحمول هي «هو».»[3](4)

هكذا تَصِير اللُّغة مَوْضُوعا مُشْتركاً يَقُومُ بدراسته كلّ مِن المنطق والنَّحو، رغم اختلافهما في المفاهيم والأدوات أثناء التَّحليل. لقد لَخّص «الفارابي» ذلِك، في مقولة هذا نصّها: «وقد جرت العادة في صناعة المنطق أن يُسّمى المعنى الموصوف المفاهيم والأدوات أثناء التحليل والمُسْندُ

(1) الجليند، محمد السّيد، نظرية المنطق بين فلاسفة الإسلام واليونان، ص 24.
(2) الجليند، محمد السّيد، المرجع نفسه، ص ،ص، 25، 26.
(3) عبد الرحمان، طه، المنطِق والنحو الصوري، دار الطليعة ، بيروت، ط1، 1983، ص 23.
(4) فرحان، محمد جلوب، دراسات في علم المنطق عند العرب، الموصل، العراق ، د(ط، ت)، ص 51.

إليه والمُخْبَر عنه موضوعا، والمعنى المُسند، والمعنى الذي هو الصِّفة والمُخبِر محمولا،و ذلك مثل المفهوم من قولنا: «زيد هو إنسان»، فإنّ المعنى المفهوم من «زيد» هو الموضوع، والمفهوم من «الإنسان» هو المحمول فَإنَّ هذه وما أشبهَهَا تتألّف من معنيين أحدهما موضوع والآخر محمول».[4](1)

يكشف لنا مشروع «الفارابي» في هذا السِيَاق، على اتِّصَال ثلاثة حدود لا تقبل الانفصال هي: «اللفظ كوعاء نظري»، و» المعنى الذي يثيره اللفظ في الذهن»، و»الجانب الدلالي للفظ في العالم الواقعي «. مُصَرِّحاً عن موقفه في خطابه الآتي: «وكُلّ معنى معقول تَدُّلُ عليه لفظة ما يوصف به شيء فإنّا نُسمِّيه مقولة»[1](2)، والمَقُولاَت عِنده شَأنُهُ شَأن «أرسطو» عبارة عن مجموعة مفاهيم، التزمت شروط المنطق للتعبير عن خصائص الأشياء والعلاقات، هدفها الكَشْف عن العلاقة بين حدّين منطقِيَيْن: الأوّل يُسَّمى «الموضوع»و هُوَ عند «الفارابي» الجوهر تُحْمَلُ عليه بقية المحمولات والثاني هُوَ «المحمول».و عليه، تُصْبِحُ المُشكِلَة الأساسية التي تواجِه اللِساني أو النحوي حسب القراءة التي أورَدَهُ «عبد الرحمان طه»في كتابِهِ «المنطق والنَّحْو الصُوري» هِي وَضْع الأَحْكام المُناسِبة التي نَسْتطيع بِواسِطتِها ضَّبْط اللُّغة.[2](3).انطلاقا من هذا الأساس، نَرى أنّ قَصْد «الفارابي» من إخضاع اللغة للتحليل المنطقي هو تنقيتُها والكَشْف على المَفاهيم الغَيْر مُلتَزِمة بِشُروط المَنْطق، فكان هذا مُحاوَلَةٌ مِنه لبِناء نَسَق لُغَوي مُؤَسَّسٌ على قواعد عَمَلِية ومَنْطِقية تَتَّسِم بالدّقة والوُضوح، وخاليَة مِن كُلّ تناقُض. يتَرتب على هذه القِراءة، أنّ فكرة «الفارابي» هذه، «نَشَدَت أن تَضع أمام نَظَر المُتَعَلِم «مُودِيلاً» منطقيا لتحليل اللغة، والمُودِيل المنطقي الذي اقترحه هو «نظرية التعريف»».[3](4)

تحدّث «الفارابي» من خلال هذه النظرية، عن الشروط التّي ينبغي أن تكون عليها الألفاظ وكيفية اختيارها، والقوانين المنطقية التي يتوجب الالتزام بها أثناء عملية رَبْط الأَلفاظ بَعْضُها بِالبَعْض الآخر، والشُّروط التي يَنْبَغي الالتِزام بها لِتَشْكيل النَسق المنطقي للُّغة. ولا يُمكِن أنْ نُنْكر بأيِّ حال من الأَحوال المُعارضِة التي خصّ بها عُلماء النَّحو للمَنطق في بِداية هذه العلاقة ،غير أنّها لم تنجَح في إعاقة حَركة عِلْم المنطق ولم تَمْنَع تَطوره في العالَم الإسلامي، حيث كَثفَ المُهْتَمون بالمَنطق جُهودهم وأخَذوا يعْمَلُون على تَطويره وتوسيع مباحِثه، فلَم يَكُن تِبيان المعاني المنطقية في قالب اللُّغة العَربية، سَهلا في بِداية الأَمْر، لِعدم وُجود الاستعداد الكامل في هذه اللغة آنذاك لأداء مثل هذا الدور. غير أنّ الجهود التي بذلها «الفارابي» في هذا الشأن،

(1) الفارابي، أبو نصر، الألفاظ المستعملة في المنطق، تحق: محسن مهدي، دار المشرق، لبنان، ط 2، د(ت)، ص 58.
(2) الفارابي، أبو نصر، كتاب الحروف، تحق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، د (ط، ت)، ص ص 30، 31.
(3) عبد الرحمان، طه، المرجع الأسبق، ص 97.
(4) فرحان، محمد جلوب، دراسات في علم المنطق عند العرب، المرجع السابق، ص 55.

أسفرت بشكل تدريجي على تضَاؤُل المشكلات وِولاَدَة الأرضية اللازمة في العربية، لتبيان تلك المعاني والتعبير عنها. تتّضِحُ فعالية «الفارابي» في هذا المضمار(إقامة علاقة بين النَّحْو والمنطق)، مِن خِلال ماَ أنْجَزَهُ مِن مُؤلفات، كَكِتاب «الحُروف» وكِتاب «الألفاظ المُسْتَعْمَلة في المنطق»، «والشَّاهِد على ذَلِك هُو صِنَاعَته الشَّخْصِية لِمُفْرَدات مِثْل: «الهُويَّة» و»الإنيّة» واستخدامه لكلمة «أيْس» مُقابل «ليس» وغَيرها.»[1](1)

مِن هُنا انصرف «الفارابي» بعد محاولة «الكندي» لِترتيب العلاقة بين النِظامين المعرفيين (البيان والبُرهان). ففي كتابِهِ «إحصاء العُلوم» رَتَّبَ «الفارابي» العُلوم كما يلي: عِلْمُ البَيان، وعِلم المنطِق، عِلْمُ التعاليم (الرِياضِيات)، عِلْمُ الطبيعة، العِلْمُ الإلهِي، العِلْمُ المَدَني، عِلْمُ الفِقْهِ، عِلْمُ الكلام-ومنه يُمكِن الجزم بالقول أنَّ» الفارابي» كان من السَّباقين ولو بصورة نسبية، في مُمارسة التحليل على المنظومة اللغوية العربية بالخصوص،و ذلك بصورتِه المنطقية– فالعلاقة بين المنطق الأرسطي والنّحو العَرَبِي في رأي «الفارابي» ليست علاقة تداخُل، ولا تَعاَنُد، بَلْ هِيَ عَلاقة «تناسُب»-[2](2)إلاَّ أنّهُ لم يَكُن مِنَ السَّهل على «الفارابي» أن يقوم بإثبات التَقارب بَيْن المنطق واللُّغة، دون أن يهتَّم بمعاني الألفاظ ودلالتها والشروط التي يجب توافرها حتى يكون للكلمات أو الجُمَل معنى، ليس هذا فحسب بل كانَت محاوَلَتُهُ ضِدّ التيار الذّي أراد أن يُثبت تَعَذُر التَّوفيق بَيْن المنطق اليوناني والنّحو العربي، في جَوٍّ ساد فيه القَّول بأنّ «من تمنطق تزندق». فكأنّه أراد أن يثبت أن الفلسفة في نِهاية الأمر عَبْقَرِية لُغوية ويَقين مَنْطقي.[3](3)

هكذا يَتَبَيَّن لناَ أنّ «الفارابي» لَم يَكُنْ مُتَحَيِّزًا لِمَنطِقه على حِساب لُغَتِه، بَلْ إنَّه أراد أن يوضّح قيمة كُل عِلْم في الوُصول إلى المعرفة الصَحيحة، وِفْقَ قواعد لُغَوية مَنطقية سَليمة.

3.1 التحليل المنطقي من منظور« إيمانويل كانطKANT. E « (1724/1804م) :

بداية ينبغي أن نسأل: لماذا «كانط» بالتحديد هنا؟ وما علاقته بقضية «التّحليل المنطقي» ؟

في حوالي 1980، ظهرت هناك حركة فكرية واسعة، أعادت النظر في المنابِع الأساسية لميلاد حركة « التجريبية المنطقية»، حيث تجاوزت الرُؤية الضيِّقة التي سادت ولِمُدّة طويلة في تاريخ فلسفة العلوم والتي تخْتَزِل ميلاد الابستيمولوجيا العامّة لَدَى «جماعة فيينا groupe viennois» في تلك التركيبة الثُنائية مِن: «فلسفة التجريبية الكلاسيكية» البريطانية، و»

(1) حسين إبراهيم، غلام، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي، تعر: عبد الرحمان العلوي، دار الهادي، د(ط، ت)، ص 171، 172.

(2) «الساهل بوعزة»، العرب ومنطق اليونان، مِن مرحلة الانفتاح إلى مرحلة الرُكود والجُمود، إفريقيا الشرق، 2013، الدار البيضاء، المَغْرِب، د(ط،ت)، ص،ص،59،60.

(3) النشار، علي سامي، نظرية جديدة في المنحى الشخصي لحياة الفارابي وفكره، د (ط، ت)، ص 426.

المنطق الحديث «لكلٍّ مِن « فريجه Frege» و« راسل B. Russel «. لِتدعوا إلى طرح جديد يتمثّل في أهميّة التأثير لِبَعْض المَواقِف» الكانطية» و« الكانطية الجديدة Néo- kantisme»في انبثاق التجريبية الجديدة ـ[1] (أي التجريبية المنطقية)، رغم أنّ - «كانط» لَم يَكُن وضعِياً تجريبياً خالِصاً، ولا ميتافيزيقيا خالِصاً، بل كان مزاجاً مِن كِليهِما-[2] لذلِكَ يظَلُ في رأيِنا كتاب « نقد العقل الخالِص» أهّم عمل فلسفي في العصور الحديثة، فأيّ تَقَدُم في مسار البحث القائِم بين النزعتين: العقلية والتجريبية، يَجِبُ أن يتّخِذَ التّحليل الكانطي للمعرفة الإنسانية نُقطَة انطلاقِهِ، ونظراً لِما التمسناه في دراستِنا مِن تقارُب نِسبي يعكِس تأثُر الاتجاه التجريبي المنطقي واستفادتِهِ من التّحليل الذي طَرَحَهُ الموقف الكانطي حَوْلَ صِلة المعرفة بالحواس، إذ يرى «كانط» أنّ «مبادِئ الفهم يُمكِنُ أن تكون على صِلَةٍ بموضوعات الحواس وِفقاً للشروط العامّة لِتجربة مُمْكِنة وحسب، إنّما لا يُمكِن أن تكون قَطُّ على صِلَةٍ بأشياء عامّة بِصَرفِ النظر على الطريقة التي نَحْدُسُها بِها.»[3]

إنّ المُتَتَبِع لِموقف «التجريبية المنطقية» الذي تُؤَسِّس فيه للمعرفة العِلمية انطلاقاً من أدوات الحِّس، والخِبرة الواقعية، يكتشِف التقارب بينَهُ وبين موقِف «كانط» الذي يرى أنَّ مَلَكَة الفَهْم لا يُمكِنُها أبداً أن تتخطى تُخوم الحساسية التي بِها وحدها تعطي لنا الموضوعات، لأنّ ما ليس بظاهرة لا يُمكِنُ أن يكون موضوع تجربة ـ[4]ومنه، هُناك اتّفاق بين الطّرْحَيْن حَوْلَ مسألة أنّ ما ليس بموضوع للتجربة، ليس بموضوع لِمعرِفة عِلمية. لهذا نَجِد الرُّوح الذي استمدّت مِنْهُ «جماعة فيينا»فلسفتها: «آرنست ماخ»، يُعبّرُ بإعجابِهِ بذاك التَّمْيِيز الذي وَضَعَهُ «كانط» بَيْنَ عالَم الظواهِر (القابلة للمعرفة) وعالَم الشَّيء في ذاتِهِ (الغير قابل للمعرفة والذي يَجِبُ استبعادَهُ حسب «ماخ»). لقد انطلق «كانط» في تأسيسِه لنظرية المعرفة، مِن اعتقاد جوهري مفادُهُ ضرورة وضع خَط فاصل على سبيل التمييز بين الحقائِق التحليلية والحقائِق التركيبية وكان مصدر ذاك التمييز راجِع إلى كل من فلسفة «هيوم D.Hume» الفاصِلة بين عَالَم الأفكار وعَالَم الوَقائِع[5]وفلسفة « لايبنتزLeibnitz» المُمَيّزة بين حقائِق العقل والتي هِي صادِقَةٌ حسبَهُ في كُلِّ العَوالِم المُمْكِنَة وحقائِق الواقِع [6]فتاريخ الفلسفة التّجريبية عِنْدَ كُلٍّ

(1) Jean, Leroux, Une Histoire Comparée de La Philosophie des sciences, Volume Π, L′empirisme Logique en débat, Presses de L′université de Laval, Québec, Canada, 2010.

(2) هذه القِراءَة هِيَ لبدوي، عبد الرحمان، في الموسوعة الفلسفية، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984، ص، 270.

(3) كانط، إيمانويل، « نقد العقل المَحض» تر: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، مشروع مطاع صفدي للينابيع، بيروت، د(ط، ت)، ص 166.

(4) إيمانويل، كانط، المصدر نفسه، ص، ص، 166،167.

(5) ميّز "هيوم" شأنُهُ شأن "الوضعيين المنطقيين" بين قسمين مِن القضايا المُفيدة: "قضايا صورية"، وهِي المحصورة في قضايا المنطق والرياضيات (أي قضايا تحصيل حاصِل) و"القضايا الواقعية" وهي التي يُمكِنُ التَحَقُّق مِنها تجريبياً، بحيث افترض أنّ هاتين القضيتين شاملتين لجميع أنواع القضايا المُفيدة.

(6) ويلارد، فان، أورمان، كواين»، من وِجهة نظر منطقية، تر: يوسف تيبس، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص49.

مِن «هيوم» و«جون لوك»، يكشِفُ عَن مَدى قُدرتِهما على استبعاد القضايا التّحليلية مِن مجال اهتِماماتِهما، باعتبارِها قضايا تافِهة، وحُضورُها في مَجال المَعرفة مِن عَدَمِهِ. إلاّ أنّ رُؤيَة «كانط» اتجاهَهَا مُختلِفة خاصّة في المرحلة الأولى (أي المرحلة قبل النقدِية)، إذْ يفترِض أنّ الأحكام كُلُّها تحليلية، وَيَعتَبِرُها قضايا جوهرية يقوم عليها كلّ فِكْرٍ فلسفي، والتّحليلية عِندَهُ فِكرة تقوم على البداهة والوضوح الذاتي ـ[1]. فالأحكام التَّحْليلية (مِن نَحْو» العُزّاب غير مُتزَوجين») هِيَ أحْكَام يَكُون» المحمول» فيها مُتَضَّمِناً في «الموضوع» (على هذا النَحْو فإنَّ مفهوم غير مُتَزوج يتضَمَنُهُ مفهوم الأعزب)، ومِنْهُ فإنّ «كانط» هُنا، يرى أنَّ العِبارَة التَّحليلية هِيَ التي لا يُضيف مَحْمُولُهَا إلى مَوْضُوعِها شيئاً لَمْ يَكُن مُتَضَّمِناً فيه مِنْ قَبْل، فالقَّوْلُ يكون صحيحاً، إذا كان ثَمَّةَ هُوِيّة بَيْن تَصَوُّر المَوْضُوع وتَصَوُّر المَحمول.[2]

إضافة إلى هذه الرُؤية الكانطِية، والتي أعْطَت قيمة عَمَلِية للفِعْل التَّحليلي، باعتبارِهِ مصدراً مَوْثوقاً فيهِ لإصدار الأحكام. نَجِدُ جانِباً آخر، بَدت مِن خلالِهِ معالِم التداخُل بين الفلسفة الكانطية والفلسفة التجريبية المنطقية، هُوَ عُنصُرُ «التجربة أو الخِبرة الحِسّية» والتي كانت وراء منهج التَّحقق في هذا التيّار. يقول «كانط» في بداية كتابِهِ «نَقْد العَقْل الخالِصKritik Der ReinenVerfut(1781)»: «تبدأ كُلَّ معارِفِنا بالتجرُبة ولا ريْبَ في ذلِك البتّة، لأنّ قُدْرَتُنا المعرِفِيَة لَن تستيْقِظ إلى العمَل، إنْ لَمْ يَتِم ذلِكَ مِنْ خِلال موضوعات تَصْدُم حواسنا.»[3]

رغم أنّ المعرفة عند «كانط» تحصُل بطريقين لها: مقولات العقل والمُعطيات الحِسّية، إلاّ أنّ المُنطلقات الأولى لِلعملية الإدراكية عِنْدَهُ، تنطلِق مِن نشاط الخِبرة الحِسّية، وهُنا تظهر الرابطة القوّية بين هذا الفكر والتجريبية المنطقية. رغم هذا التعامُل الذي التمسناه عِند بعض أعضاء النّزعة التّجريبية المنطقية، مع بعض مُعطيات التراث المعرفي الكانطي، خاصّةً في القضية التي تُقِّر بضرورة التمييز بين الأحكام التّحليلية والتركيبية، وإعطاء الأولوية لمُعطيات الحِّس(الإدراك الحِسّي المُباشِر والذي يدعوه بالحدس)، والتي اعتبرها صالِحَةً في حَدِّ ذاتِها أن تكون أساساً للمعرفة، فالعقل مِن دون المُعطيات الحِسّية مِن شأنِهِ أن يكون عقلاً مِن دون مُحتويات عقلاً لا شيء عِندَهُ يُفكر فيه. لِهذا جاءت مقولة «كانط» الشهيرة: « الأفكار مِن دُون المُحتَوَيات فارَغة، والحُدوس مِن دُون المَفْهُومَات عَمْياء»[4]

(1) وداد الحاج حسن، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص 137.

(2) هذه الرُؤية عَبَّرَ عنها: بدوي، عبد الرحمان في الجزء الثاني مِن موسوعتِهِ الفلسفية، ص، 271.

(3) كانط، إيمانويل، « نقد العقل المَحض»، المصدر السابق، ص 45.

(4) جون، كوتنغهام، العقلانية فلسفة مُتجَدِّدة، تر: محمود منقذ الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط 1، 1997، ص، 100.

إنّ كتاب «نقد العقل الخالِص» يوحي في البداية بِموقِف مُضاد للعقلانية، و«كانط» يَهْدِفُ حقاً في الجُزء الثاني من الباب (المُسّمى «الجدل») إلى إضعاف إدعاءات الميتافيزيقا العقلانية بتمكينها من معرفة الواقِع النِهائي، ويؤكِّدُ «كانط» أنّ موضوعات المعرفة الوحيدة المُمكِنة هِيَ «الظواهِر Les Phénomènes». مَوْضُوعات العَالَم الفيزيائي القابِلة للمُلاحظة تجريبِيا.[1]

هذه الرُؤْيَة النَّقدية الكانْطِية الجَديدة للعَقل، والتَّحليلية لِبِنية المَعرفة، أسْهَمَت في تَجسيد المَشروع الفِكري والفَلسفي للبَيان التأسيسي لِجماعة فيينا ومنه لميلاد «المذهب التجريبي المنطقي» أو «الوضعي المنطقي»، - كما تُعتَبَرُ طريقة «كانط» Kant النقدية وموقِف «كونت» الوضعِي في الخَّط الفِكري للتجريبية المنطِقية -[2][3].

لقد تصدّى «كانط» بِذلِكَ، لِتحليل العقل المحض، حيث انتهى إلى القول بمقولات قبلية، استنبطها مِن العقل، حيث يُؤَكِّد لناَ(كانط) بأنَّ هذه المَقولات لاَ يُمْكِن استخدامُها وتَطْبيقها إلاّ في حُدود عَالَم الخِبرة، إذ ليس للمَقُولة مِن استعمال بِصَدد معرفة الأشياء سِوى تطبيقِها على مَوْضُوعات التَّجربة، فالتجرِبَة عِندَ «كانط» إذن مَقرّها القَبْلِي [4][3]

لِهَذا كانَ حاضِراً في عَملِنا هذا، لأنّناَ وَجَدْنا مواقِفُه في هذا السِياق، تسير في نفس المَنْحى المَعرفيللوضعية المنطِقِية خاصّةً فيما يتعلَّق بمشروعِهِ الذّي يستَبْعِدُ مِن القبليات(المعرفة القبلية) كُلّ الميتافيزيقا النظرية.كما وجدنا أنّ هناك نوع مِن الاتِّفاق أيضاً،في مسألة تَفسير القَضايا الدّالَة على أشياء في العَالَم الطبيعي على أساس الخِبْرة البَشَرية.

(1) جون، كوتنغهام، المرجع السابق، ص 99.
(2) ياسين ، خليل، المرجع السابق، ص 218.
(3) كانط، إيمانويل، نقد العقل المحض، المصدر السابق، ص، 105.

2. «في نَشْـأَة ومَاهِيَة النّزعَة التَّجْرِيبيَة المَنْطِقية»:

توطِئة:

كان للبِدايات الفَلسفية الأولى في حَقْل التَّحليل المنطقي، أكْبَر الأَثَر في تَحديد الأبعاد الجَديدة لِفَلسفَة القرن العشرين، وبِصورة خاصّة تِلك الفَلسفة التّي اهتمت بتَّحليل العِبارات الفلسفية والعِلْمِية، فارتبطت بالعُلوم ومناهجِها، مُحاولة تطوير منهج عِلمي جديد يأخُذ بالفلسفة نَحْوَ الاتجاه العِلمي القويم.[1](1) و في هذه الفترة والظُروف بالذّات، طُرِحت مسألة حاسِمَة في تاريخ الفِكر الفلسفي عموماً، هِي مسألة المَوْقِف مِن الميتافيزيقا(2)*، حيث كانَ «فلاسفة الميتافيزيقا يُناقشون مَسائل ومفاهيم بِوسائل فلسفية وتأمُلية بَحْتة، نرى فلاسفة التَّحليل يُبَرْهِنون بوسائل منطقية ومبادئ تجريبية أنّ مُعظم قضايا الفلسفة وجميع القضايا الميتافيزيقية لا معنى لها وذلك على أساس أنّها لا تستطيع تزويدنا بِخَبرات تجريبية يُمكِنُ التَثَبُت مِنها، كما أنّها ليست منطقية أو رياضية. وأهّم حَدَث في الاتجاه الفلسفي الذّي نَحْنُ بِصَدَدِهِ هُو الاستعانة بالمنطق الرياضي الجديد لِتطوير مناهج عِلمية جديدة وبِناء لغات.»[2](3)هكذا صارَت الرُّوح التَّحليلية العِلمية والمَنطقية، السِمةُ الغَالِبة وَ المُمَيِّزة للتيَّار التَّجْريبي -المنطقي. نستَكشِفُ ذلِك من خلال المُناخ العِلمي والفلسفي الذي سادت فيه هذه النَّزعة، أين لاقت الأبحاث المنطقية واللُغوية عِناية بارزة في مناطِق بُروز التَّجريبانِيين المَنْطِقيين (أي عاصمة النَّمسا « فيينا»)، أيْنَ شكَلَت انتماءاتِهم في مُختلف التَّخَصُصات، مَدرسة سُمِيّت بِـ: «حلقة فيينا Cercle de Vienne»، وكان ذلك في سنة 1907، حينما اجتمع عالِم الرياضيات «هانزهان Hans han» وعالِم الاقتصاد «أوتُونويراث Otto Neurath»(1882/1945م)و العالِم الفيزيائي «فليب فرانك Philipe frank»و الذّين صَاروا فيما بَعْد أعضاء بارِزين في الحَلَقَة. يقول « أوتونويراث»في هذا الشَّأن: «تَتَمَرْكَز في فْيِينَّا مُنذُ أمَدٍ بَعيد، الشُروط المُلائِمة لِتطَّوُر المَوْقِف التَّجريباني، مِثلَما تُجاهِرُ بِهِ الحَلَقَة بِصورةٍ جِذرية.»[1](4)فما هي ظُروف نَشأة جَماعة «فيينا» هذِه والتي تَجسدّت مَعَها الفلسفة التّجريبية المَنطقية؟

ظروف النشأة:

---

(1) ياسين خليل، مقدمة في الفلسفة المعاصِرة، دراسات تحليلية ونقدية للاتجاهات العلمية في فلسفة القرن العشرين، قامت بتنقيحها وإضافة السيرة الذاتية للمؤلف، فاتن خليل البستاني، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2012م، ص213.

(2) * - يُقصَدُ بها هنا الميتافيزيقا الكلاسيكية، أين يرجع الأصل في هذه التسمية إلى كتب «أرسطو» ، منظور إليه في : La Métaphysique LIVRE IV Aristote, Trad. nouvelle et commentaire par JEAN CACHIA, ELLLIPSES, Paris Cedex 15, 1999 pp, 34-36.

(3) [2] -ياسين ، خليل، المرجع السابق، ص 213، 214.

(4) الشريف زيتوني، «التجريبانية المنطقية، إشكالية حصر وظيفة الفلسفة في التحليل المنطقي للغة العِلم، مقالة بمجلة «أيس»،العدد الرابع، السداسي الأوّل ،2011م،ص،38، نقلا عن:: Otto Neurath, Le Développements du Cercle de Hermann Et Cie, Éditeurs, PARIS, Vienne et l'avenir de l'empirisme logique, Trad., du General Vuillemin 1935, P.8

إنّها «التَّجريبية المنطقية Empiricisme logique» [إنّنا نُفَضِّل هُنا وباللغة الفرنسية توظيف مُصطَلَح «Empirisme»كَدَلالة على التَّجْرِيبية، بَدَلاً مِن «Empiricisme» والذّي يتناسَبُ مَعَ مُصطلح» التَّجريبانية»] التِّي اتَّخَذت مِنَ التَّحليل المَنْطِقي للّغة مَنْهَجاً لها، وحَوّلت مُهِمّة الفلسفة مِن البَّحث في الوُجود، والقِيَم إلى مَنطِق للعِلْم، أو مَنْهَج تَّحليلي يَهْدِفُ إلى التَحَقُق مِن صِحّة ما نَبْحَثُ عَنْهُ، وذَلِك وِفقاً لِمعيار تَجْريبي مَنْطِقي يُؤكِّدُ ضَرورة المُطابقة بَيْنَ المَعنى والمُلاحظات الحِسّية. بِمَعنى أنَّ ما لا يُحَسُّ بِهِ - في مَنْطُوقِهِم – لا مَعْنى لَهُ، وأنّ ما لا مَعْنى لَهُ، كلامٌ فارِغٌ لا يُعبّرُ عَنِ الحَقيقة وبالتَّالي وَجَبَ إخراجُهُ مِنْ دائِرة المَعْرِفة -[1]هذه باختصار أهّم الأبعاد التي دَعَت إليها التّجريبية المنطقية، ولكِن ما هِي أبرز الظُروف والخَلفيات المَعْرِفية والمَنْهَجية التي أَصَّلَت لِميلاد الفِكر الفَلسفي والعِلمي والمنهجي داخِل هذه الحَركة؟

تعدّدت المذاهب الفلسفية وتنَّوعَت في الفترة التي تشكّلت فيها «جماعة فيينا»، أيْنَ انعَكَست مَعَهُم مَعالِمَ الحُضُور الكَبير للفلسفة التَّجريبية الإنجليزية، والتي أرْسَت البِنْية الميتودولوجية والإبستيمية للمَذْهَب التَّجريبي المَنْطِقي. ولعلّ السبَب الرَئيسي في خَلْفِيات هذا التَّبَني، يَرْجَعُ للمَضامين وللإرْث المعرفي، الذّي كانَت تَحْمِلُه الفلسفة التَّجريبية في التيّار الأنجلو.سَكْسوني، حيْثُ كانَت مَعْروفَة بمُعاداتها لِكُلّ الأنساق المُبالغة في تَقديس الكَيانات العَقْلية المُغْرَقة في التَّجريد. لذلك صَارَ للتَّجريبية الإنجليزية بأَعْلامِها المُؤسِسين: بداية مع «فرانسيس بيكون **Francis Bacon**» **(1561م/1626م)** ثُمَّ «جون لوك **Locke** .J» **(1632م/1704م)** و« دافيد هيوم **D.Hume**» **(1711م/ 1776م)**، و»جون. س. مل J.S.Mill»**(1806م/1873م)**، وُصولاً إلى أبْرَز مَنْ ساهَم بأفكارِهِ العِلمية والفلسفية في تأسيس المَنْظُومة الفِكرية للتيّار التّجريبي المَنطِقي: « آرنست ماخ Ernest Mach»، هذا الأخير بفلسفتِهِ المُوغِلة في الحِسّية ساهَم في بَلْوَرة وصَقْل الأفكار العِلمية والفلسفية لَدَى «جماعة فيينا»، حيث «استفادت مِنْ أَبْحاث «ارنَسْت مَاخ» في مُعالَجَة مُشكِلات مَناهِج البَّحث وفلسفة العُلوم، ونَظرتِه التّجريبية.»[2].

لقد كان إذن لِـ: «ارنست ماخ» اهتمام بارِز في مَجال الفلسفة رغم تخُصُصاتِهِ العِلْمِية كَفيزيائي (اشتغل أستاذاً للفلسفة في جامعة «فيينا»، وأستاذ للفيزياء بجامعة «براغ»)، إذ تَرْجِعُ أَهَمِيّة «ماخ» في كَوْنِهِ فيلسوفاً وباحِثاً في مناهِج العِلْم، ومَوْقِفُه الفلسفي العام كانَ «الوضعية». فتعامُلُهُ المُبَكِر مَعَ مُؤلفات كَ: مُقدمة «كانط»(1724/1804م)الميتافيزيقية المعروفة بِـ: « Prolégomèna to Évery future Métaphysics»و التي ألَّفها سَنة 1783م،

(1) المرجع، نفسُهُ، ص،38.

(2) ياسين خليل، المرجع السابق، ص 243.

وتَطَلُعاتِهِ على نَظَرِية «تشارلز داروين» التَّطَوُرِية، والتّي بَدَت مَعالِم التأثُر بها بِشَكلٍ بارز في فلسفة العُلوم عِندَهُ (أي عِنْدَ «ارنست ماخ»)، فَمِنَ الوِجهة الابستيمولوجية- حَسْبَهُ- أنَّ المَعْرِفة جَميعُها صَيْرورة مُسْتَمِرّة يُحاوِلُ بها الإنسان أَنْ يُلائِم أفْكارَهُ مَعَ الحَقيقة وأنْ يصِلَ بها إلى دَرَجَة عالية مِنَ الدِّقة. ـ[1]فالمَعرِفة الإنسانية عِنْدَ «مَاخ»، غَيْرُ ثابِتَة وهي دائِما في صَيرورة وتطوُر، فهِي تَتَلَوَن بألوان الخِبْرَة الحِسيّة التي نَمْتلِكُها، فكُلّما ازدادت معرِفَتُنا وإدراكاتُنا للعَالَمْ الخارجي كلّما تغيّرت مَعرفتُنا بِهِ. فالأفكار تصير ذات مَعنى حينما تُشير إلى الأشياء.

لقد ذَهَب «ماخ» إلى أنَّ «كانط» في مُؤلَّفِهِ «نقد العقل الخالص»، قد دَعى إلى تَجاوُز كلّ الأفكار الزائِفة التي أتَتْ بها الميتافيزيقا التَّقليدية، غير أنّهُ لم يُخَلِّص نهائِياً فلسفة العِلْم مِنها، إذ ما زال لَها وُجود حتّى داخِلَ العِلْمِ نفسُه. وبناءاً على هذه الرُؤية للطَّرح الكانطي، دَعى «ماخ» إلى ضرورة إعادة بناء أسُس العِلم وخاصّة عِلْم الميكانيكا، فَكان هَدَفُهُ الرئيسي يَكْمُن في تَقديم تَفسير لِطَبيعة العِلْم، حتَّى يَتخلّص نهائِيا مِنَ العناصِر الميتافيزيقية اللاَّ تَجْريبية، ومِنْ ثَمّةَ نُعيد بِناء العِلم وفق المَطالِب الفلسفية، بحيث لا يُصْبِحُ هناك شَكٌ في أنَّهُ وصْفٌ للوقائِع التي يُقَدِّمُها الحِّس.[2]

لقد تَوصّل «ماخ» إلى نتائج هامّة فيما يَخُصُّ قضايا المنهج والأسُس التي ينبَغي أن يقوم عليها العِلم المُعاصِر، بَعْدما كَشَف عَن عوائق تَطَوُّر المَعرفة العِلمية. هذه النتائج كان لها تأثير عَميق على المَنْظومة الفلسفية للتّجريبية المنطقية، وأهّم قضية تبنّاهَ هؤلاء: ضَرورة التخَلُص مِنْ جميع العناصِر الميتافيزيقية على أساس أنّهُ لاَ يُوجَد لَها ما يُطابِقُها في عالَم الوَقائِع الحِسّية.

لقد واصل «ماخ» رَفْضَهُ للقَوْل بِوُجود حقائق قَبلية وخالِدة، كما رَفَض فِكرة إطلاقية الزَمان والمكان التي ميّزت التَّصَوُر النيوتوني في فلسفتِهِ الميكانيكية، باعتبار أنّ التَّسليم بِفكرة «نيوتن» هذه ليس لها معانٍ تَجريبية. إذن ما يُمكِنُ إقرارُهُ بَيْنَ المَنْظومَتَين الفِكريَتَين لِكلٍّ مِن «ماخ» والفلسفة التّجربية المنطقية، هُو وُجود اتفاق بَيِّنْ بَيْنَهُما في مسائِل كُبرى هي وَ حَسب الأَهَميّة على التوالي: « دحض الميتافيزيقا»، «الخبرة الحسيّة المباشرة كأساس مُشترك لِكلّ معرفة عِلمية»، «الأساس التَّجريبي هو قاعدة البَّحث العلمي». وهذا يَدُّلُ على أنَّ فلسفة «ماخ» التَّجريبية قَريبة جِداً مِن هَدَف جَماعة فْيِينَّا في وِحْدَة العِلْم. وأنّنا نَجِد في المُحاولات الأولى

(1) المرجع نفسه، ص، 244.

(2) الموسوعة الفلسفية التي نقلها من الإنجليزية: فؤاد كامل وآخرون، راجعها وأشرف عليها زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د(ط)، 1963.

التي بَذَلَها أعضاء الجَماعة أمثال «كارناب»، مَوْقِفاً قريباً من «ماخ» ولَكنّه استنَدَ إلى انجازات المنطق الحديث في بَيان أنّ بيْن العُلوم المُختلفة وِحْدَة أساسُها الخِبرة، وأنّ القضايا العِلمية مُمكِنة الاشتقاق مِنَ القاعدة على مُستويات مختلفة.»[1]بَعْدَ «ماخ» احتَلّ»موريتسشليك» دائرة المَركزية في الحَلقة، أيْنَ صَار خَليفة لَهُ، إذ شَغَل كُرسي أستاذية فيّينا في فلسفة العُلوم الاستقرائية. لقد كان مَشْروعُهُ الفلسفي مَحْصوراً فِي وَضْعِ الحُدود لِفَوْضى المَذاهب والآراء الفلسفية، حيث أعْلَنَ وبِكُلّ يَقين في مَقال لهُ بِعُنوان «تحوُّل الفلسفة» سنة 1931 قائِلاً: «إنّنا صَميم تحَوُّل نِهائِي للفلسفة وإنّهُ يَحِقُ لنا النَظَر موضوعياً إلى جِدال المذاهِب الغَير مُجْدِي على أنّهُ انتهى»[2].و انطِلاقاً مِنْ ذَلِك، سَيُصْبِحُ للفلسفة أداة تَكْفُلُ هذا الجِدال الغَيْر ضَروري مِن حيث المبدأ، إنّها الأداة المَنْطِقية (وهُو يقصِدُ هنا آلِيات المَنطِق الحديث).إذن البداية الفِعلية التي تبلوَرت فيها «التّجريبانية المنطقية» كتيّار فلسفي هُو تشكيل «جماعة فيينا» حين قُدوم «شليك» إلى جامعة فيّينا سنة 1922م، وترأُسِهِ للحلقة، ونظرا لِما كان يمتلِكُهُ مِنْ قُدرات على تَسْيير طاوِلات النِّقاش، تَوَسَعَت دائِرة الانتماء في هذا الاتِّجاه، حيث انظَّم كلٌّ من « هربرت فايجل « و»فيكتور كرافت» و» فريدريك وايزمان « و» كارل منجر» إضافة إلى «كورت جودل». لكِن المُنعطَفُ الكَبير الذي حَدَث ضِمْنَ هذا الاتِّجاه كان سنة 1926م، لمَّا قَدِم «رودولف كارناب» إلى جامِعة فيينَّا لِتدريس الفلسفة وصار عُضواً بارِزاً في مَجالِس النِّقاش التي كانت تَعْقِدُها الجَمْعِية، لِدرجة أنّه «أصبح يُنظر لَهُ على أنّهُ المُعبِّر الحقيقي على فلسفتِها نظراً لِما يتميّز بِهِ مِن سُهولة وطلاقة في التَّعبير عَنْ أفْكارِها.»[3]

لقد اعتَمدَ «كارناب» شأنه شأن «شليك»، على التَطَوُرات التي لَحِقَت بالمنطق الحديث في مجال الرياضيات، مِن خِلال المَدرسة المنطقية والتّحليلية والذي كان مِن وراءها كُلٌّ مِن: «فريغه **Frege**»، و» راسل **B. Russel**»و» فتجنشتاين**Wittgenstein**»، الذّين اتَّخَذُوا مِن التّحليل المنطقي مَنْهجاً لِمعرفة المُقَوِّمات المنطقية في اللُّغة، مِمّا جعَل «كارناب» يُقِّرُ بِضرورة استعمالِه (أي التَّحليل المنطقي) في مجال الفلسفة، والذي أراد أن يُغيِّر مِنْ مَنْظورِها ليُحوّلها إلى عِلم صارِم (تأسيس ما يُسّمى بالفلسفة العِلمية على غِرار فلسفة العِلْم)أو بِعِبارة أدَّق: يصِف الفلسفة بالعِلم. وهنا وعَبْرَ هذا المشروع يُصبِحُ لاَ حاجة للفلسفة كميتافيزيقا، لأنّ

(1) ياسين خليل، المرجع الأسبق، ص 246.

(2) فرنرشنيدرس، الفلسفة الألمانية في القرن العشرين، تر: محسن الدمرداش،المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2001 م، ص129.

(3) عزمي إسلام، تجاهات في الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، د(ت)، ص 110.

الميتافيزيقا ليست عِلماً[1].

إنّ الفلسفة الحَقيقية في نَظَرِ «شليك» ليسَت هِيَ العِلْم، بل هِي ذاك النَّشاط الذّي يُمارَسُ في كُلِّ عِلْمٍ باستمرار لأنّه قبل أن تستطيع العُلوم اكتشاف صِحّة أو بُطلان قضيّة، فلا بُدَّ مِن معرفة معناها[2]. هذا الإدراك للمعاني لا يَحْدُثُ فِي رَأْيِ «شْلِيك»، إلاّ بمُمارَسَة ذاك النّشاط الفلسفي الذي تَكون مُهِمّتُهُ الإيضاح، وهكذا لا يستطيع العُلماء التخّلي عن هذه الأداة، لأنّ كشف الحقائِق يَستحيل في غِياب البَّحث عَنِ المعاني والتي صارَت مَوضِعاً للنَّشاط الفلسفِي.

إضافة لِبُروز كُلّ هذه الشّخصية في التأسيس للمَسار المَعْرفي والمَنْهَجي للتَّيار التَّجريبي المَنطقي، سَنَجِدُ مَنْبعاً آخر أثَّر في بِنيَتِه الفِكْرِية الداخِلية وذلك عَبْر «جماعة فيّينا»، حيث اعْتُبِرَ مِن الرَكائِز الأساسية للتَّجريبية المنطقية، تَمَثَّل هذا في الأبْحاث التّي قام بِها كُلٌّ مِنْ:»فرانز برنتانو**Franz Brentano**»(1838م ـ1917م)، والفيلسوف»بلزانو**Bolzano**» (1781م 1848م). حيث ـأخَذَت مِنَ**الأوّل (برنتانو)** فِكرة أنّ الطريقة الحَقّة في الفلسفة تختلِف عَنِ المنهج في العُلوم التّجريبية، إذ قام بِتَحليل الُّلغة مُعتَبِراً أنّها تحتوي على تصورات فارغة، كالعبارة «جبل من ذهب»، «مربّع مستدير»، وهذه التصورات«Représentation» سمّاها بالقَصْدِية « L′intentionnalité «، التي هي عِند «برنتانو» توجُه الشُعور نَحْو موضوع رُبَّما لم يكُن واقِعياً، لكنّه مُعطى تصوري في باطِن الشعور، وباعتبارها كذلِك، فإنّها تُبَرّر تحَوُّل تَصَوُراتِنا مِن مُجَرّد إشارات إلى اعتبارها واقِعاً حقيقياً[3]1. فالقَصْدِيَة عِندَهُ مَحْصُورة في تِلك العلاقة الواقِعية بَيْن الظاهِرة العَقلية والظاهرة الفيزيائية، فلقد أراد «برنتانو» من خلال مُمارَسَته للتَّحليل على الُّلغة، أن يكشِفَ على الأساس والمَرجَعِية التي تسْتَنِدُ إليها تلك التَصَوُرات الخَاليَة مِنَ المَعنى.

أمّا فيما يَخُصُّ « بولزانو» فاستفادوا من قُدرتِهِ واهتماماتِه في مجال التّحليل العِلمي للقَضايا الفلسفية، إذ اعتنى بِنُظُم الُّلغة مِنْ أجل ضَمان وِحدة الخِطاب العِلمي، حيث دَعى إلى ضرورة إصلاح لُغة الفلاسِفة. فكان تَوَجُه التَّجْربيين المَنْطِقيين هُنا نَحْوَ مسألة هامّة جِدّا هي تَنْقِية الُّلغة الفلسفية مِنَ المفاهيم الغامِضَة. وهذا يُبيّن مدى تأثُر التَّجريبانية المَنطقية بالتَّحليل الذي قام بِهِ «بلزانو» لُّلغة الفلسفية مُعتمِداً في ذلك على طريقة تَحْليل المَعاني، على اعتبار أنّ

(1) فرنر شنيدرس، الفلسفة الألمانية في القرن العشرين، المرجع السابق،ص 132.
(2) بدوي، عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة،ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص 152.
(3) الشريف، زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا مِنَ الناحية المنطقية، تصدير، محمود اليعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د(ط)، 2006، ص،182.

موضوعات المنطق ما هِيَ سِوى معانٍ أي: قضايا وتَمَثُلاَت في ذاتِها، تَتأسّس على عَمَلِية استبدال، تَقُوم على تَحليل الإشارة، ومَفْهوم الحقيقة، الأمر الذي يُساعِدُ على الكَشْف عَن الأخطاء التي تَتَضمَنُها التراكيب النَّحوية، وتُلغي لُغة الفلسفة التي لا تكون مُتطابِقة مع لُغة العِلم.»[1]

إذن فَشُعور هؤلاء الفلاسفة والعلماء بمُختلف تخصُصاتِهم، بتحمُل مسؤولية تطوير المعرفة العِلمية وضرورة تنقيتِها من أوهام الميتافيزيقا بمعناها التقليدي حَفّزَهُم إلى مُمَارَسة التّحليل المنطِقي على اللُّغة، لتطهيرها أي تطهير المعرفة العِلمية مِن أزْمَتِها التي طالَما قَيَّدَتْها، والمَحْصُورة في دَلالة المعنى، وضَرورة رَبطِها بِما هُو حِسي تجريبي.

إضافة إلى هذه الإسهامات ، نجد أنّ هناك جماعة من أعضاء حلقة فيينَّا تُقِرُ بتأثيرات العديد من الفلسفات السابقة في فلسفتهم، ويصرّحون بهذا من خلال البَيَان Le Manifeste الذي أعدّوه سنة 1929م، تحت شِعار «النَّظْرَة العِلْمِية عِند جَماعة فيّينا»، حيث أرادوا أَنْ يُؤصِّلوا لِموقف المَدرسة بِشَكلٍ عام.[2]و قد جاءَ في البَيان، النّص الآتي: «لقد مَيَّزْنا التَّصَوُر العِلْمِي للعالَم بِميزتين: **أولاً**، أنَّهُ تَجريبي ووَضْعي. لا توجد سِوى معرفة مُتَأتِيَة مِن التّجربة، تقوم على ما هُوَ مُعطى مُباشِرة، بهذهِ الطريقة يتِّمُ تعيين الحُدود التي تضْمَنُ كُلَّ معرِفَةٍ مشروعة. **ثانِياً**، يتَمَيَّز التصَوُر العِلمي للعَالَم بتطبيق منهج مُعيّن هُوَ التّحليل المنطقي. أمّا هدَف الجُهد العِلمي، وهُوَ وِحدة العِلم، لا بُدَّ أن تحصُلَ بِتطبيق هذا التّحليل المنطقي على المواد التجريبية.»[3]وكما كانَ هُناك اختِلاط في الأَنْسَاب المَعرفية في هذا الاتِّجاه (الفيزيائيين، الرياضيين، علماء الاقتصاد، المناطقة.)، فإنَّ ما يُمكِن قولُهُ ونَحْنُبِصدد تَحديد المَرجَعِيات الفِكرية والميتودولوجية لِلتّجريبية المنطقية، أنَّ هُناك اختلاط في المصادر والمنابع التي أنتجت هذا التيّار العلمي والفلسفي، يُمْكِن تلخيصُها في **الخُطاطة رقم (01)**[4] الآتية:

(1) الشريف زيتوني، «التجريبانية المنطقية، إشكالية حصر وظيفة الفلسفة في التحليل المنطقي للغة العِلم، مجلّة «أيس»، المرجع السابق، ص 39.

(2) حمود، جمال، مقال: «انفصال الفلسفة عن العلم عند فتجنشتاين»، حوار الفلسفة والعِلم، العدد الأوّل، 2012م، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ص،ص، 77-72.

(3) HAHN NEURATH, CARNAP, «La Conception Scientifique Du Monde», IN Soulez, A Le MANIFESTE DU CERCLE DE VIENNE, OP.CIT. P115.

(4) خُلاصة ما تمّ تقديمُهُ في العنصر (1.2)، في الفقرات السابقة الذِكر مِن الحديث عن ظروف النشأة، وهِي مِن اجتهاد الباحِث.

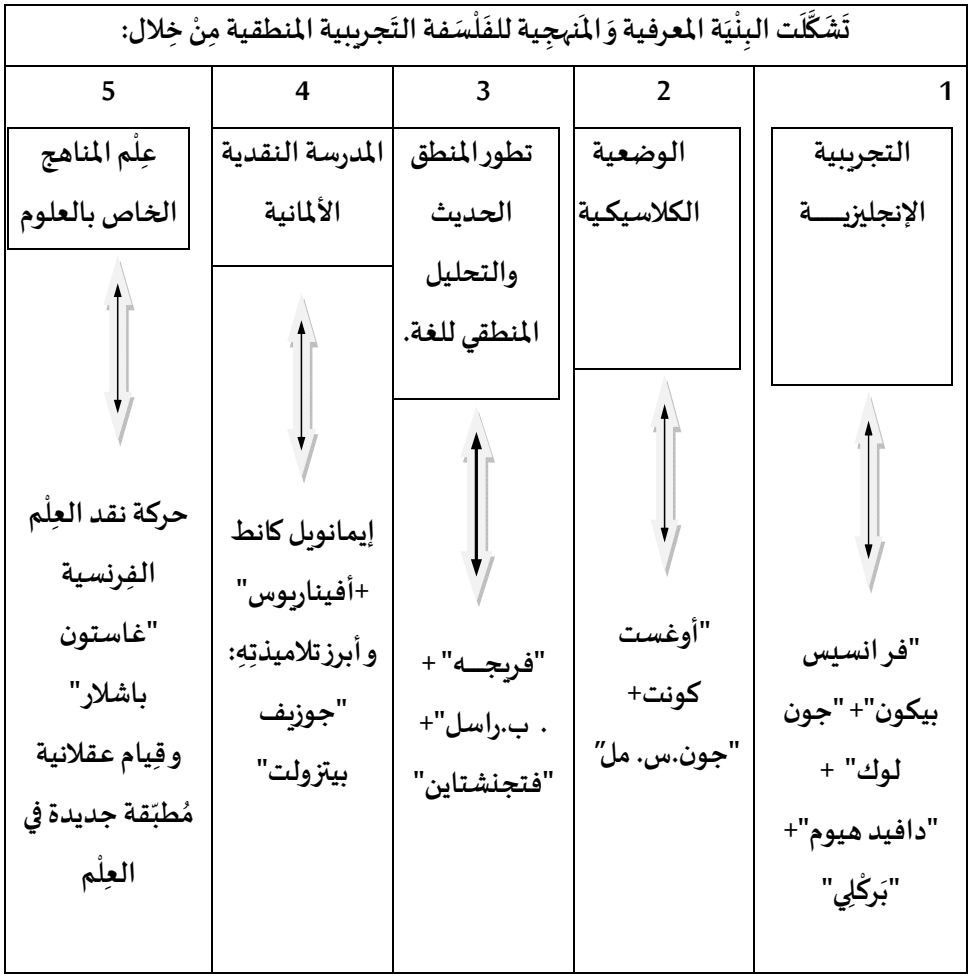

لقد كان المُنطلق الذي تأسّست عليه معالِمُ «التجريبية المنطقية»: الفلسفة «التجريبية الإنجليزية»،حيث كانت بداية التأثر تَكْمُنُ في تمسُكَهُم بِعِلم المناهِج الخاص بالعِلم التجريبي. إضافة لهذا التيّار، فلقد كان لِحُضور الفلسفة الوضعية الكلاسيكية في التأسيس للنَّزعة التّجريبية المنطقية الفضل الكبير فيما حقّقَهُ التيّار التجريبي المنطقي من انجازات، إذ كان هذا الأخير نِتاج التطورات التي لَحِقت بالوضعية الكلاسيكية، والتي كان مجال بَحْثِهاَ مُركّزاً بالخصوص على حدود وإمكانات، ومصادِر وطبيعة المعرفة الإنسانية. لِهذا بَقِيَ لفظ «وضعية» بِكُلّ خصائِصِهِ، حاضِراً في التيار الجديد الذي نتحدّثُ عنه، سواءاً على مُستوى التَّسمِية(وضعية منطقية)، أو على المُستوى الضِمني وبِكُلّ ما يَحمِلُهُ اللّفظ مِنْ دَلالة. هكذا صارت تُسّمى «التجريبية المنطقية» بِـ «الوضعية المنطقيةpositivisme Logique»أحياناً، و«الوَضعِية المنطقية الجديدة Néo-positivisme Logique» أحياناً أخرى، نتيجة تأثُرِها

بمُنجزات المنطق الرمزي، ومشاريع التحليل المنطقي للّغة عِنْد كلّ مِنْ «فريجه»(1848/1925م) و«برتراندراسل (1870م /1972م)» وبالخُصوص «لودفيج فتجنشتاين»(1889م/1951م).

2.2 الاستعمال التداوُلي لِمُصطلح« التجريبانية المنطِقية «- التأصيل للمُصطلح-

هناك استعمالات كثيرة، لِمُصطلحات مُتَعَدِّدة تَفِي بِغَرَض المَعنى القائِم حوْلَ «التّجريبانية المنطقية»، إذ غالِباً ما كانت تُسْتَعْمَل للدلالة على مفهوم واحِد، إذ فَرَضَ هذا الاستعمال نفسَهُ بداية من سنة 1935[1](1). لذا كان لَازِماً علينا أن نتطرق إلى هذه الاستعمالات المُتعدِّدة والتي وُظِّفت للدلالة على هذا المُصطلح في تطوراتِهِ عَبْرَ مُختلف الَحقبات الزَمنية التي ميّزت بُروز هذه النزعة (أي التّجريبانية المنطِقية)، ومِنهُ شُرِعَ لنا التعامُل مع هذا الطرح التأصِيلي للمَفهوم، مِن خِلال التطرُق لِتحليل التساؤلات التالية:

2.21. لماذا تجريبية؟ ولِماذا منطقية؟

يؤُكِّد أصْل تَسْمِية «التّجريبية» هذا النّص المُقتَبس مِن كتاب «هيوم» (مقالة في الفهم البشري) حيث يقول: «عندما نَجُوب المكتبات وقد اقتنعنا بهذه المبادئ، فأي تدمير يتعيّن علينا القِيام بِهِ؟ إذ أخذنا في أيدينا مُجَلّدا في اللاهوت أو الميتافيزيقا المدرسية على سبيل المثال، دَعُوناَ نتساءل: هل يَحتوي على أيّ تفكير مُجرّد يتعلق بالكّم أو العدد؟ كلاَّ. هل يحتوي على أيّ تفكير يتعَلَّق بِشُؤون الواقع والوُجود؟ كلاَّ. فَلْنُلْقِي بِه إذن في اللَّهَب، فليس بِمقدورِهِ أن يَحْوي سِوى التُرَّهات والأوهاَم».[1](2) هكذا تبَّنى أنصار هذا المذهب، «التّجريبية» كدَلالة لِكلّ مَعرِفة تَتَأَتَى لنا عن طريق الخِبرة الحِسيّة المُثبتة. فالمعرفة العِلمِية عِنْدهُم مَحْصورة في مجالين أساسِيين: المجال الذي يتعامل مع القضايا التي تَدرُسُ المَقادير القابِلة للقِياس، وهِي المعرفة الرِياضِية والفيزيائِية(عِلمَي الرِياضِيات والفيزياء)، والتي تُمَثِّل اليقين والدِّقة، والمجال الذي يتعامَل مع قضايا الواقِع الحِسّي- التجريبي (العلوم الطبيعية الاستقرائية) والتي هِي مِعيار للوضعية والموضوعية، فالطُرُق العِلمية المعروفة حتّى الآن، هِي إمّا الطريقة الرياضية والتي تعتمِد على آليات المنطق الرياضي الحديث، أو الطريقة التجريبية التي سَمت بالعلوم الطبيعية خاصّة والعلوم الإنسانية عموماً إلى أعلى درجات التطور. هكذا تُعَدُّ الوضعِية المنطقية نموذجاً مُتَطَوِّراً للمذهب التجريبي، وقد اختار الوَضْعيون المَناطِقة المُصطلح «منطِقي» لِكَي يُوَضِحون أنّهُم مَعْنِيون أساساً بالتحليل المنطِقي، أكثر مِن إعلانِهِم عن أُطْروحات تَدور حول الحقيقة النِهائِية أو المُطْلَقَة، أو إعطاء اعتِبارات سيكولوجية لأُصول

(1) CHRISTIAN BONNET, et PIERRE WAGNER,L'âge d'or de l'empirisme logique, Vienne – Berlin – Prague (1929/1936), Éditions Gallimard, 2006,P.07.

(2) [1] أي جي مور ،»كيف يرى الوضعيون الفلسفة، مُختارات مترجمة من كتاب، الوضعية المنطية، للناشِر: أي جي مور، ترجمة وتقديم، نجيب الحصادي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط1، 1994، ص30.

أفكارِنا وقوانين ترابُطِها ـ[1][2]

2.2.2 لماذا وضعية منطقية[2] positivisme Logique؟

يقول «ألفريد آير A. Ayer»: «يرجع مُصطلَح الوضعية المنطقية إلى العِشْرينات مِن القرن الماضي، وكان هذا المُصطلَح مُمَيّزاً لجماعة من الفلاسفة والعلماء والرياضيين الذين أَطلقوا على أنفسهم جماعة فيينّا.»[3][3] وفي نفس المنحى الفِكري، يَضيف» زكي نجيب محمود» في كتابِهِ «نحو فلسفة علمية» قائِلاً: «ولمّا كان وضع الأمور في عَالمَ الوقائِع هُوَ وحدَهُ مجال البحث العلمي، فقد أُطلِقَ على النظرية العِلمية اسم: الوضعية..»[4][4]

إذن ورغم أنّهُ كان هناك اتجاهات وضعية في مجال تاريخ الفلسفة الحديثة خاصّةً، والتي كان موضوع التحليل عندها هو عَالَم الأشياء والوقائِع، إلاّ أنّ الوضعية المنطقية قد نقلت موضوع اهتماماتِها وبحثِها نحو مجال «تحليل العبارات اللُغوية والألفاظ». «فإن كان الوضع القائم الذي يشغل الباحث عبارة من عِبارات اللغة، أو لفظة من ألفاظِها، كانت الوضعية على هذا النحو وضعية منطقية، ومِن ثمّة كان الواقع الذي يختَّصُ بِهِ أعضاء هذه الحركة هُوَ اللغة التي يصوغ فيها جميع العلماء علومهُم على اختلاف موضوعاتِها وتبايُنِها.»[1][5]

فَمُصْطَلَح «الوضعية» فإنّه دلالة على انساب هذه الحركة إلى المذهب التّجريبي التقليدي. لِتُصْبِحَ المسألة الرئيسية عِند التّجريبية التقليدية، هِي التأكيد على أنّ كُلّ القضايا الهامّة إنّما تعتَمِدُ نظرِياً على الإدراك الحِسي «Sens- Perception»، الذي يُعْتَبَرُ مِعْياراً للوُضوح النظَري، حيث صارَ بإمكان الوضعِيون المناطِقة، أن يُعْلِنوا أنَّ كُلّ القضايا النظرية الهامّة تعتَمِدُ على الإدراك الحِسيّ، فيما عدا قضايا تحصيل الحاصِل، التي تُعَدُّ فارِغة مِن المضمون الواقِعي، وهِيَ القضايا التي استنفدت بالفِعْل حقائِق الرياضِيات والمنطِق جميعاً ـ[2][6]، فَعِبارة «وضعية منطِقِية positivisme Logique» إذن، تسْتَلْهِمُ ثَرائها ووُجودَها مِن خلال الترجمة التي قَدّمها

(1) رودولف كارناب، الأُسُس الفلسفية للفيزياء، تقديم وترجمة وتعليق: السيِّد نفادي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص، 09.

(2) '' Doctrine philosophique défendue par des philosophes Allemands et surtout Autrichiens dans les Années 1920 et 1930, elle mets l'accent sur L'analyse logiques des Énoncés de la science et de la philosophie", VOIR: LAROUSSE, Grand Dictionnaire de philosophie, sous la direction de Michel Blaye, CNRS ÉDITIONS, P. 832.

(3) AYER, Language, Truth and Logic, England, Penguin Books, 1972, P3.

في هذا الكتاب، يعكِس «آير» اهتمام حلقة فيينا في الثلاثينات مِن القرن الماضي، وقد خَصّه بعرض برنامج الوضعية المنطقية، إلى درجة أنّه لم يترك أي تفاصيل حول هذا التيّار، إذ قلّما وجدنا جديداً حول هذه المسألة فيما تَمّ التطرق إليه عند «كارناب» من خلال مؤلّفِهِ «الأسس الفلسفية للفيزياء»، أو «كواين» من خلال مؤلّفِهِ «فلسفة المنطق» إلاّ على سبيل الأسلوب.

(4) [4]زكي نجيب محمود،»نحو فلسفة علمية»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1980م، ص 30.

(5) زكي نجيب محمود، نحو فلسفة عِلْمِية،المرجع السابق، ص 30.

(6) مقدمة كتاب، الأُسُس الفلسفية للفيزياء، للمؤلف: رودولف كارناب، تقديم وترجمة وتعليق: السيِّد نفادي، ص، 09.

في سنة 1931كُلٌّ مِن «هربرت فيجل» و«آلبرت بلومبرغ». أمّا في الثّقافة العربية، فإنّ أبرز مفهوم نرجِعُ إليه في التعريف بالوضعية المنطقية، هُوَ ما وَرَدَ على لِسان «زكي نجيب محمود» والذّي مَيّزَ بين مفهومين لها هُما: الوضعية المنطقية كمذهب، والوضعية المنطقية كمنهج، إذ نَجِدُهُ يقول في مقدمة مُؤلَّفِهِ « المنطق الوضعي»: «لمّا كان المذهب الوضعي بِصِفة عامّة والوضعي المنطقي الجديد بِصِفة خاصّة»[3](1). لكِنّهُ وفي مَواقِع مِن مؤلفاتِهِ الأُخْرى، نَجِدُه يميل إلى وصف الوَضعية المنطقية بالمَنهج، حيث يقول مثلاً في مؤلّفِهِ «وجهة نظر» ما يلي: «ماذا يقول هذا المذهب أو بتعبير أدَّق هذا المنهج لأنّه ليس مذهباً ذا فلسفة إيجابية بِقدر ما هُوَ طريقة للنَّظَر بالنسبة إلى كُلّ ما تُستخدَمُ فيه اللُّغة والرُموز الأخرى»[4](2). كما وَجَدنا أنّ «زكي نجيب محمود»، يستخدِم في أكثر مِنْ مَوْقِع في تَعامُلِهِ مَع مُصطلح وضعية منطقية مُصطلح تجريبية عِلْمِية للدلالة على اتّجاه الوَضْعِية المَنطقية، مِمّا يَدُّل على أنّ المُصطلحين عِندَه يُمكِن استعمال أحدِهِما بَدَل الآخر دون إخلال بالمعنى والدّلالة، وحُجّتُهُ في ذلك، هو الاتفاق بَينهُما في أنّ مِعيار الحَّقِ هُو شهادة الحواس.أمّا في تعليقِه حَوْل أسباب تَسمية «الوضعية المنطقية» فإنّه يرى أنّه سُمِيّت بالوَضعية، لأنّها تشرط في صِحّة كُلّ عِبارة تشير إلى عَالَم الأشياء، قُدرة تِلْك العِبارة على تقديم ما يُمكِن التحقُّق مِنه بواسطة الحواس. وسُمِيّت بالمنطقية لأنّها تكتفي بتحليل لغة العِبارة نفسها، وهذا التحليل نفسه كفيل بإرشادِنا إن كانت العِبارة مقبولة مِن ناحيتِها المنطقية أو غير مقبولة ـ[1](3).

وهكذا كان اسم»الوضعية المنطقية» دالٌ على تِلك الطائفة مِن المُفكرين الذّين صَمَّموا على أن لا يُجاوِزوا بِوُجهات نَظَرِهم حُدود الواقِع، شريطة أن يكون هذا الواقِع الذين اختصوا بِهِ، هُوَ اللّغة التي يصوغ فيها سائِر العلماء علومَهُم على اختلاف موضوعاتِهِم ـ[2](4). إذن فالوَضْعية المنطقية، هي ذاك المذهب الفلسفي الذي دافع عنه فلاسفة ألمان وبالأخّص نَّمساوِيين، في العِشرينيات مِن القرن العِشرين (1930- 1920)، حيث ركزَّ على قضية التّحليل المنطقي لقضايا العِلم والفلسفة (l'analyse logique des énoncés de la science et de la philosophie)[3](5).

3.2.2 لماذا وضعية منطقية-جديدة Néo -positivisme Logique؟

ظاهِرِياً، تُشيرُ هذه التَسْمِية إلى تِلْك النّزعة التّجريبية العِلْمِية، التي تبنّت آليات التّحليل

(1) محمود، زكي نجيب، مقدمة كِتاب «المنطق الوضعي»، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1951، ص،
(2) محمود، زكي نجيب، وجهة نظر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د(ط)، 1967، ص،ص، 23،-24.
(3) [1]–زكي نجيب، محمود، وجهة نظر، المرجع السابق، ص، 26.
(4) زكي نجيب، محمود، نحو فلسفة علمية، المرجع السابق، ص، 30.
(5) LAROUSSE –Grand Dictionnaire de la PHILOSOPHIE-,Sous la direction de Michel Blaye, CNRS EDITIONS 2005, MONTREAL, (QUEBEC), P, 835.

المُستنبطة مِن أسُس وقواعِد المنطِق الجديد (المنطق الرياضي)، فَمِن أهداف الميثاق العِلْمِي لجماعة فيينّا والمُعبّرة بِصِدق عن هذه النزعة (الوضعية المنطقية)، تَخليص الفلسفة والعُلوم مِن شوائِب الميتافيزيقا والتي هِي في صورتِها، جُملة مِن القضايا المُفرغة مِن المعنى، وهكذا حسبَ أنصار هذه النّزعة الجديدة، يتِمُ تكوين قاعدة عِلمية عامّة لِجميع العُلوم، والتي تُكَوّن الأساس لِوِحْدة العِلْم. هكذا وَجَدت هذه الجماعة نفسها، أمام طريقة جديدة ومُثلى لتَحقيق هذا المشروع، إنّها طريقة التّحليل المنطقي للُّغة، ففي منظورهم تحليل القضايا بتطبيق هذه الطريقة، يسمح بالبرهنة وبوسائِل منطِقية وتَجريبية بِخُلُو القَضايا الميتافيزيقية مِن المعنى. وبالتالي فإنّ الاستبعاد الجِذري للميتافيزيقا، هُو ما أدّى إلى خَلق فلسفة عِلمية جَديدة وإحلالِها مَكان الميتافيزيقا، فالوضعيين المنطقيين وفق هذه الفلسفة الجديدة يرفضون كُلّ معرفة تُجاوِزُ التَّجربة، مُستندين في ذلك على المَنطق الرمزي الحديث، وهكذا صار هذا الاتّجاه الجديد منطِقاً للعِلْم. فالوَضعيون الجُدُد يتَّفِقون على رَفض الميتافيزيقا التّقليدية كما أَوْضَحْنا، ويتَّفِقون أيضاً حَوْلَ إمكانية الوُصول إلى لُغَةٍ عِلْمِية واضِحة وُضوحاً كُلّياً وكامِلاً، والتي سَتَسْمَح بِدَوْرها على تَحقيق وِحدة لِكُلّ العلوم (خاصّة الرياضيات والعِلم الطبيعي). أمّا في المُعجم الكبير للفلسفة لاروس فقد وَرَد مُصطلح «الوضعية الجديدة» كَمُرادِف لِـ: «الوضعية المنطقية»و اللَّذان يُشيران إلى أعْمال حَلقة فيّينا (شليك، كارناب، نويراث)، والتِّي ليْسَ لَها صِلة مُباشِرة مَع وَضْعية «أوغست كونت». رَغم وُجود لِبَعْض علامات التَّبَني لها، ولكن هذا لا يُغَطِّي على نِقاط الاختلاف الكَبيرة، بَيْنَ وَضْعِية القرن التاسِع عَشر(XIX) والوَضعية المَنْطقية الجَديدة، مِن النّاحية الابستيمولوجية بالخصوص.ـ[1] إنّ الوَضْعية الجديدة، تؤكِّد وبِشِدّة عَلـى تَحْقيق مَا يسّمى بالعِلْم المُوَحَّد والجَهْر بِتَبَنِّي التّجريبية والمَنْطِقانية معاً.[2]

إذن فَإضَافة لَفْظَة «جديدة» للوَضْعِية المَنْطقية،كان يَهْدِف إلى تَمْييزِها عَنِ الوَضعية الكلاسيكية أولاً، وإشارة إلى الجَديد الذي حَمِلَتْه هذه النّزعة مِن مضامين وأبعاد استَنْبَطَتْها مِن التَّطَورات الكبيرة التي لحقت بِحَقل العلوم الطبيعية، ودَعْواها القائِلة بإمكانية تَحقيق وِحدة العُلوم ثانِياً.

(1) LAROUSSE –Grand Dictionnaire de la PHILOSOPHIE, OP.CIT, P. 834.

(2) -l'existence d'une science unitaire et professe conjointement l'empirisme et le logicisme.

3. الحقل الموضوعاتي للنزعة التجريبية المنطِقية:

1.3 انتشار فلسفتها:

تُعتَبر «حلقة فيينا» العُش الذّي نَشَأَت في أحضانِهِ النّزعة « التجريبية المنطقية»، إذ أنَّ مُختلف أعلامِها هُم المُشّكِلون الفِعلِيون لجماعة فيّينا. وبالرُغم ممّا شهِدته هذه المدرسة مِن تشَتُّت ومُلاحَقة مِن طرف السلُطات النّازِية لاعتبارات أهّمُها وجود أعضاء مِن أصْلٍ يَهودِي فيها، إلاّ أنّها بَقِيَت مُتماسِكة ومُحافِظة على مبادِئ ميثاقِها، وعلى أصولِها المعرفية والمنهجِية خاصّة ما تعلّق مِنها، بِقضِية تخليص الفلسفة واللُوم مِن جَميع القضايا الميتافيزيقية، باعتبارِها قضايا خالِية من المعنى.

لقد انحصَر نَشاط بَرْنامج « التّجريبية المنطِقية» مُنذ البِداية في مجالات الفَلسفة العِلمِية، وكُلّ ما لَهُ صِلَة وثيقة بِفُروع العِلْم. فكانت السبّاقة بامتِياز إلى تحويل مسار الفلسفة مِن مجالِها التقليدي إلى طريقها الجديد والمُتَمَثِّل في خِدمة المعرِفة العِلمية والعِلم. هُنا ونتيجة هذه الرُؤية الجديدة في مجال البحث الفلسفي، ونتيجة شُعور أعضاء «جماعة فْيِينَّا» بِتأليفهم لِجماعة فلسفية، لها طَرِيقِها ومَنهَجُها الخاص، ولأَجل أن تكون فلسفتُهُم معروفة في الأوساط العَالَمِية، قامت المدرسة باتصالات كثيرة أسفَرَت عن لِقاءات عِلْمِية هامّة. ومن بين تِلك الاتصالات كان العمل المُشْتَرَك بين جماعة «فيينا» وجماعة مِن الفلاسِفة والعُلماء أطلَقوا على أنفُسَهُم تسمية «جماعة برلين Groupe de Berlin « والذين أسّسوا جمعِية للفلسفة التجريبية تَضُمُ كلٌّ مِن: «هانز ريشانباخH. Reichenbach « و» هيرتزبرك A. Herzberg»، فَكان مِن ثِمار هذا اللِقاء المُشترك، قِيام مُؤتَمَر فلسفي خُصِّصَ للبَّحث في نَظرية المعرفة في حُقول العُلوم المَضْبُوطَة وذلِك في سنة 1930.[1](1)

فتَح هذا اللِقاء المُشترك، شهِيّة هذه الجماعة، أين كثَّفت الاتصالات مع أساتِذة معروفين على المُستوى العالمي في هذه التخَصُصات المُتعلِقة بفلسفة العِلم وحتّى على مُستوى العلوم الدقيقة، فكان عقد مؤتمر عالمي في مدينة باريس وذلِك سنة 1935، وذلِك بقاعات جامعة السُرْبُون. ثُمّ تَوالَت اللِقاءات، فَفِي شَهْرِ تَمُّوز مِن سنة 1936، عُقِد المؤتمر العَالَمي الثاني في مدينة «كوبنهاجن» حول: «البحث في وِحدة العِلم» أَيْن ناقَشَ المُؤتمِرون مُشكِلة السَبَبِية في الفيزياء الكَمّية والبيولوجيا. وفي نفس الشَّهْر مِنَ السَّنة الجارية – أي سنة 1937 – عُقِد المُؤتمر الثالِث لِوِحدة العلوم في «باريس»، ودائِماً في نَفْسِ الشَّهر مِن سنة 1938، عُقِدَ المُؤتمر العالَمِي الرابِع لِوِحدة العُلوم في «كمبردج».[2](2)

(1) ياسين خليل، مقدمة في الفلسفة المعاصِرة، دراسات تحليلية ونقدية للاتجاهات العلمية في فلسفة القرن العشرين، المرجع الأسبق، ص، ص219، 220.

(2) ياسين خليل، المرجع السابق، ص، 220.

لقد تُوِّجَت نِهاية أعمال جَماعة فْيينَّا في النَّمْساَ وألمانِيا وقَبْلَ تَشَتُّتِها عَبْر دُوَل العَالَم، بعَقْد آخِر مُؤتمر في أَيْلُول سنة 1939م، وذلِك في «كُمبردج» بِأمريكا. إلاّ أنَّ انتشار فِكر هذه المدرسة لم يَكُن فقط عبر المُلتقيات والمُؤتمرات التي كانت تعقِدُها في كُلِّ مَرّة، بل أيضاً عرفت انتشار لأفكارِها والتي لا يكاد واحِدٌ مِن الدارسين والمُتَخصِصين في الفِكر الفلسفي للقَرن العِشرين يتطَرَّقُ لَهُ دون أن يذكُر هذا التيّار أو المدرسة مِن خِلال مجموعة الكُتُب والمقالات التي ألَّفَها أعضاءُها وقاموا بِنشرِها والتي عالجت العديد مِن القضايا والمُشكِلات الفلسفية. وفي هذا السِياق ينبغي أن نُشيدَ إلى أهّم إنجاز عَمَلي قامت نَتَج عن المَجْهودات الخاصّة التّي قامت بِها تِلك الجماعة مِن الأعضاء، المُتَمَثِّل في إصدارِهِم لِمجلّة فلسفية، ناطِقة بأفكارِهِم وتُساهِم في نشر أبحاثِهِم. ولم يكتفوا بهذا الإصدار فقط، بل قامَت الجَماعة بالاشتراك مَعَ «جماعة برلين»، بإخراج مجلّة فلسَفِية باسم، «أخبار الفلسفة» والتي ترأسها كُلٌّ مِن: «رودولف كارناب» و«هانز ريشانباخ»، لِيَتَحَوَّل اسمُها فيما بَعْد إلى «المعرِفة Erkenntnis» والذي كان تأسيسُها سنة 1930، حيث عبّرت بِصِدقٍ عن جُملة الأبحاث والآراء التي كانت يُؤمِنُ بها أعضاء هذه المدرسة، مِن خلال سِلسِلة المنشورات في وِحدة العِلم. إلى أن جاءت سنة 1934، أين توقفت عملية النشر في المجلات، نتيجة مُتابعة السلطات النازية لأعضاء الجماعة ومُراقبتِها لِنشاطاتِها. فكانت عَملية الهِجرة إلى الخارِج، بمثابة الحَّل الذي وَجَدَهُ هؤلاء الأعضاء لِمواصلة نشر فلسفتِهِم وآراءِهِم العِلمية. هذه النُقطة بالذّات كان لها عَظيم الأثَر في توسيع نشاطات الجماعة، مِن خلال نقل أفكارِهِم إلى جامِعات عالَمِية كُبرى، حيث ذهب «موريس شليك» إلى الوِلايات المُتحِدّة الأمريكية، و« كارناب» تَوَجَّهَ إلى جامِعة «براغ» في سنة 1931، أين ساهَم في انضِمام «فيليب فرانك» أستاذ الفيزياء إلى الحلقة، حيث أسّسا فَرْعاً لجَماعة فيّينا في «براغ». وفي سنة 1934 فقدَت الجماعة عُضو نشيط في الجماعة هُو: « هانز هان» والذّي كان بارِزاً في فلسفة الرياضِيات حيث كان على دِراية واسِعة بِكتاب «أصول الرياضِيات» لِـ: «راسل» و«وايتهيد». أمّا الفاجِعة الكُبرى الذي هَزّت جَماعة فِيّيناَ، فَهِي مقتل مُؤسِّسُها وباعِث حركَتِها «موريتس شليك» مِن طرف طالِب مُصاب بِمرض عقلي، وكان السّبَبُ الأرجَح في ذَلِك هُوَ رَفْض «شليك» لأُطروحَتِهِ التي قدَّمَها في عِلم الأخلاق. في نفس المُدّة – أي سنة 1936- هاجَر «كارناب» إلى جامِعة «هارفارد» بأمريكا، ثُمّ انتقل إلى جامِعة «شيغاغوا». وتَوالت عَمَلية الهِجرة لَدَى جَميع أعضاء الحلقة تقريباً، إذ تَوَجَّهَ « أوتوا نيوراث» إلى هولندا، و«فريدريك وايزمان» إلى «كمبردج»، ثُمّ مِن بعدِها إلى «أكسفورد». إلاّ أنّ مِن أنشط الأعضاء تعبيراً عن الخَط الفلسفي الوارِد في ميثاق «جماعة فيينا» من حيث النشر وفي تطوير الخُطّة الفلسفية التجريبية المنطقية هُوَ «كارناب». وِناءاً على هذا الانتشار لِهؤلاء الأعضاء عبر مُختلف الجامعات العريقة في العالم، كسبت التّجريبية المنطِقية باعتِبارِها

اتجاهاً فلسَفِياً وعِلْمِياً، الكثير مِن العلماء والفلاسِفة في جميع أنحاء العالَم ولا يزالُ لها الكثير مِن المُدافعين عنها، والكثير مِن المُريدِين، ولا تزال أفْكارُها حَيّة مُتنامية رَغْم التيّارات المُعارِضة لها باستِمرار-[1](1)

هكذا كانت المسيرة الفِكرية للتجريبية المنطقية، والتي لاحظنا أنّها كانت في صيرورة مُتقَدِمة في كُلّ المراحل التي مرّت بِها، إلاّ أنّه في آخِر مسيرَتِها شَهِدت تشَعُباً في نشاطاتِها، حيث اتخذت مُختلف الفروع المُشَكِّلة لها، الأسلوب الفردي على يَد مفكرين وفلاسِفة بارزين. وما يُمكِن قولُه في الأخير: أنّ هذه الحركة الفِكرية صَاحَبتها مُنذ نشأتِها انتقادات أحيانا والكثير مِن التأييد في الأحيان الأخرى، وذلِك خلال طريقِها في تأسيس نظرتِها الفلسفية. وبالتالي ومِن أبرز العوامل التي ساهمت في التسهيل مِن انتشار هذه الفلسفة الجديدة كان مُنحَصِراً في المبدأ الأساسي التي تقوم عليه «التجريبية المنطقية» والقائِم حول الفكرة المِحورية التالية: المُعْطى الحِسي هُو أساس المعرفة، وقَوْلٍ آخر: إنّ صِدق كلّ الأحكام وكذبها ومِن ضِمْنِها تِلْك المُتعلِقة بِحقيقة موضوع فيزيائي يمكن اختِبارُها في المعطى فقط، وبالتالي فإنّ مدلول كُل القضايا يُمكِن أن يُصاغ ويُفْهَم فقط بِمساعدة المعطى وغالِباً ما يُساء فَهْم هذا المَبْدأ على أنّهُ يزعَمُ أنَّ المُعطى فقط هُوَ الحقيقي وذلِك في مُقابِل الواقعِية التي تقول بِوجود عالَم خارِجي حقيقي مُستقِل عن مُعطياتِنا الحِسية، أو في مُقابِل المثالية التي تقول بحقيقة أفكارِنا وتصوُراتِنا عن العالَم فقط -[2](2).

2.3 أهدافُــها:

كَكُلّ مَدرسة أو جَماعة ذات طابِع فلسفي وعِلمي، تَرْمي مِن خلال مَساعيها إلى تَحقيق أهداف رئيسية وانشغالات ثانَوِية، إلاّ أنّنا في حُدود هذا البَّحث، سَنُرَكِّزُ على الأهداف الذي رامَت إليها هذه المَدرسة أو النَّزعة - أقصِد التَّجريبانية المنطِقِية- والتي كانَت تَبْتَغي هَدَفاً عظيماً: هُو جَعْل الفلسفة عِلْمِية لَها مكانتُها وَسَط العُلوم الأخرى. ومِنهُ جاءت أهدافُها الجَوْهرية مَحْصورة في النِقاط الآتية:

1.2.3 تقويض الميتافيزيقا:

مِنَ الكَلِمات الخالِدة لأرِسْطو: «إنَّ الحياة الخالِية مِن التأمُل والنَظر، لَحَياةٌ لاَ تليق بالإنسان ».[1](3) هذِهِ إشارة قَوِّية إلى الدور التي تقوم بِهِ «الميتافيزيقا» في الحياة النظرية (على

(1) ياسين خليل، المرجع الأسبق، ص، 222.

(2) هاشِم، رافد قاسم، مقال: «رودولف كارناب والوضعية المنطقية»، مجلة جامعة بابل، العراق، كلية العلوم الإنسانية، المُجلّد 18،العدد الرابع، د(ط،س)، ص، 1057.

(3) أرسطو، دعوة للفلسفة، كتاب مفقود لأرسطو، قَدَّمَهُ للعربية مع تعليقات وشروح: عبد الغَفّار مَكاوي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د(ط، ت)، ص، 7، نقلاً عن (دِفاع سقراط - الأبولوجيا -38أ).

مُستوى الفِكر) والعَمَلِية للإنسان، والمُشكِل المطروح هُنا: كيف تسنى لِهذا النمط مِن التفكير القائِم على أساس التأمُل والذي استَّمَرَ طيلة عُقود مِن الزمن (حوالي خمسة وعِشرين قرن) أن يُقَوَّضَ ويُثْبَت عدم جدواه وصلاحِيَتِهِ كتفكير فلسفي مُعاصِر وَمُلازِم لِتطورات الكبيرة على مُستوى العُلوم خُصوصاً ونظرية المعرِفة عموماً؟ وما هِي الدعامات والبراهين التي استدلّت بِها «الوضعِية أو التجريبية المنطِقِية»على فساد وخُلُو العِبارات الميتافيزيقية مِن المَعنى؟

لقد اتَّسَمى النشاط الفلسفي في مطلع القرن العشرين بالطابع العِلمي، والتحليل اللغوي والمنطقي للعِبارات العِلمِية، حيث ساد في الرُبع الثاني من هذا القرن، تيّار فلسفي رئيسي في فلسفة العِلم، أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسم: « التجريبية المنطقية» أو حركة «الوضعية المنطقية «كما سَبَقَ وأَنْ أشرنا، فكان أنْ أَعلَنَت هذه الحَركة أهّمَ مَبْدَأ لها، وهُو اعتبار الفلسفة كمنطِق للعِلْم، إذ اختزلت مُهمتُها في التَّحليل المنطِقي الذي يُمارَس لَيْسَ على قضايا العِلْم فقط، بل على كُلّ أنواع المعرفة. إلاّ أنّ تَقريب الفلسفة مِنَ العِلم عِند الوضعيين المناطِقة، لا يكون إلاّ باستبعاد الميتافيزيقا مِنْ مَجال هذه الفلسفة الجديدة، حتَّى يكون هُناك الْتِفَات حقيقي للمَسائِل التي تَدُورُ حول التَّطوُر التاريخي للعِلم الواقِعي. لكِن قَبْل أَنْ نَخُوضَ فِي مسألة الكَيفِية التي تَمَّ بها تجاوُز الميتافيزيقا عِند هذه الحركة، يَجْدُرُ بِنا أن نَعْرِف المقصود مِنها ونُحدِّد موضوعها ؟ فحسب ما - يقول «كُولَنْجْوُود»: إنَّ فلاسِفة كثيرين قد أنتَجوا في الميتافيزيقا إنتاجاً غزيراً، لَكِن هذا الإنتاج كُلُّهُ لَم يَشْمُل قَط مُراجَعَة أساسِية للجَواب على سُؤالِنا: مَا الميتافيزيقا؟ -[1][2]

استِطلاعاتُنا حول هذا الموضوع، سواءاً في الفِكر الغَربي الذي أنتَج المفهوم، أو الفكر العربي- الإسلامي بِحَقَباتِهِ المُتعدِّدة، جعلتنا نَجِدُ صعوبة في إيجاد اتفاق بين المُشتغلين في دائرة هذا البحث حول مفهوم مُوَّحَد للميتافيزيقا، لِدرجة أنّ هناك مَن ميَّز بين أنواع بل أنساقاً كثيرة مِنها، وذلك حسب تَغيُر مجالات البحث الميتافيزيقي ومناهِجِهِ. إلاَّ أنَّ تعامُلَنا مع هذه القضية، واستقصائِنا لها، حَتَّمَ علَيْنا النظر إليها مِن زاوِية واحِدة، قائِمةٌ على استقراء التجربة الميتافيزيقية التي تعامَلت مَعها «التّجريبانية المنطِقية»، وهِيَ مِن دون شَكٍ » تِلك التجربة التي كانت تَحْمِلُ سُؤال البحث عن الوُجود بِعِلَلِهِ القُصوى، ذاك الوُجود مِن حيث هُوَ عُنصُر مُشتَرَك بين الموجودات المُخْتَلِفة، والذّي مِن خصائِصِه: «الكُليّة» و«التجريد» و«البساطة»، ولِهذا فإنّ المعرفة الميتافيزيقية في بِداية تَشَكُّلِها كانت تسعى إلى الكشف عن الوُجود العام والمبادِئ التي يقوم عليها دون النظر إلى الوُجود الظاهِري المُتغيِّر، ومِن ثَمَّ كان

(1) محمود، زكي نجيب، قُشور ولُباب، دار الشروق، القاهرة، د(ط)، 1988، ص، 162.

موضوع الميتافيزيقا هُوَ المَعاني الكُلّية»[1][1] .لهذا ينبغي أن نسير وِفقَ هذهِ الرُؤية التي أدركها مُؤَسِّسُو الحَركة التَّجريبية المنطقية، وهِي الميتافيزيقا الكلاسيكية كَمَا وَردَت في العُرف الأرسطي، باعتبارِها العِلْمُ الأوَّل، والذي كان سائِدا في الفلسفة اليونانية بجميع أطوارِها مُنذ «أرسطو»، وُصولاً إلى الفلسفة الإسلامِية، حتّى الفلسفة المَسيحية الوَسيطِية، حيث كان يهتَّم الخِطاب الميتافيزيقي طيلَة هذه الحَقَبات الزَمَنِية بِالبَّحْث في الوُجود بِما هُوَ مَوْجود. هذِه الطبيعة التي امتازت بها الميتافيزيقا والتِّي تَعْلوا عَنْ كُلّ ما هُوَ حِسّي، فَهِيَ كما يرى «أرسطو» أعَّم العُلوم، لأنّها تبحَثُ في أعَمّ العِلل، إذ العِلل والمبادئ الأولى شامِلَة لِجميع أنواع العِلَل الأخرى. وهِي أكثر العلوم تجريداً لأنّها تبحَثُ في أكثر الأشياء بُعْداً عن الواقِع العَيْني، ومِن هُنا كانت أصعب العُلوم -[2][2] إذن الميتافيزيقا بهذهِ الصورَة هِيَ– مجموعة أقوال قالَها قائِلوها، لِيصِفوا بها أشياء لا تَقَعُ تحت حاسّة مِنَ الحواس -[3][3]

هذا توضيحُ عام لِنوع الميتافيزيقا المطلوبة هُنا، والتي كانت «التجريبية المنطِقِية» أو لِنَقُل في هذا المقام «الوضعية المنطِقِية»، والتي كانت تُناصِبُها العداء. دعت هذه الحَركَة (الوضعية المنطقية) وبِمُطْلَقِ الصراحة ضرورة استِبعاد الميتافيزيقا استِبعاداً تامّاً وإلى الأبد. فكُلّ نظرية ميتافيزيقية بل وكُلّ عِبارة منها مستحيلة أصلاً وخالِية مِن كُلّ دلالة، فلَم يَكُن هناك داعٍ فيما رأت الوضعِية المنطِقِية إلى دراسة كُلّ نظريةٍ على حِدَا مِن أجل تفنيدِها، إذ لا ضرورة حسبهم إلى هذا التفصيل، فبِمُجَرد اصطِدامِنا بِعبارة أو عِبارات تحمِل بُعدا ميتافيزيقِياً، يَجِبُ في الحين تجاوُزها وإلغاءها.«يرى «كارناب» في مقال له بِعنوان: « استبعاد الميتافيزيقا من خلال التّحليل المنطقي للّغةThe Élimination of Metaphisics through logical Analysis» أنّ قضايا الميتافيزيقا مُضلِّلة أو زائِفة، وأنّها لاَ تَكادُ تَخْرُج عَن نَوْعَين مِن القضايا:

أ- قَضَايا تَحْتَوي على لَفْظَة يُعْتَقَدُ خَطَئاً أنَّ لَها مَعْنَى.

ب- قَضَايا تَحْتَوي على ألفاظ لها مَعْنَى، ولكِنّها وُضِعَت مَعَ بَعضِها بِطريقة لا تُخالِف قواعِد اللُّغة ورُغْمَ ذلك ليس لها مَعْنَى كقَضَايا.[4][1]

هذا مِن بَيْن أهّم ما أُطْلِقَ عليه وَ في عُرْفِ فلاسِفة هذه النّزعة وأعلامِها مَنطِق المُشكلات الزائفة Pseudo Problems والذّي نَشَأَ في الأَصْل عَنْ سُوء استخدام وفَهْم لِمنطق اللُّغة أيّا

(1) زيتوني، الشريف، «تهافُت القَوْل بِموت الميتافيزيقا»، مقال منشور بِمجلّة: دراسات فلسفية، العدد 07، 2011، إصدار: قسم الفلسفة بِكُلِية العلوم الإنسانية والعُلوم الاجتِماعِية، جامِعة الجزائِر 2، ص، 65.

(2) عبد الرحمان، بدوي، موسوعة الفلسفية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص، ص، 493، 494.

(3) زكي نجيب، محمود، قُشور ولُباب، المرجع السابق، ص، ص، 163، 164.

(4) ياسين خليل، المرجع السابق، ص، 232.

كانَت هذه اللُغة. وبالتالي جاءَ مَشْروع « التَّحليل المنطقي للألفاظ والعبارات « كأساس لِدَحْض الميتافيزيقا التَّقليدية باعتبار جميع قَضاياها فارِغَةٌ مِن المَعْنى، بِحيث كان الرَّفض لِهذه القضايا الميتافيزيقية بمثابة ضرورة حَتْمِية لتفعيل برنامج خاص بتطوير الفلسفة وجعلِها عِلمية.« وهكذا فَقَد جعل الوضعيون المناطقة مِعيار التحَقُّق جُزْءاً لا يتَجَزأ مِن «نظرية المعنى» عِندَهُم، ونظريَتُهُم هَذِهِ، تُفَرِّقُ تفريقاً حاسِماً بَيْنَ ما يَحْمِلُ مَعنى نَظري أو معرِفي، وبَيْن الفارِغُ مِنَ المَعنى النظري أو الذي يَفْتَقِرُ إلى المعنى المعرِفي»[1][2] إذن فمبدأ «القابلية للتحقق» كان بمثابة الأداة التي اتَّخَذَتْها «التّجريبية المنطقية» مِحوَراً جوهَرِياً ومركَزِياً في فلسفتِها بغرض تقويض الميتافيزيقا، إذ لا يتحَدَّدُ وبِدِّقة المعنى الواقِعي لِعبارةٍ ما، إلاَّ مِن خلال تَحَقُّق معناها، هكذا كان الرفض التَّام لِجَميع التأمُلات الفلسفية التي ينقُصُها التَّحليل والدِّقة والوُضُوح، وبذلك لا تَجِد الميتافيزيقا التقليدية مَكاناً لها في المَعرفة العِلمية[3][2].

لِنَنْتَقِل إلى الطابِع الاستدلالي الذي وَضَّحت مِن خلالِهِ «التجريبية المنطِقية «، مَدى خُلُوِ العِبارات اللُغَوِية في أيّ نظرِية ميتافيزيقية مِن المعنى، وذلِك وِفق صُوَر استدلالية مُتباينة:

أولا: إنّ التثَبُت مِن صِدق أو كَذِب عِبارة واقِعية، يعتَمِدُ على الاكتشاف - بواسِطة المُلاحظة طَبْعاً– أنّ الموقِف الذي تُؤكِّد وُجُودَهُ مَوْجود أو غير موجود، والقول أنّهُ لا يُمكِن مِن حيث المبدأ التَثَبُت مِن صِدق أو كَذِب عِبارة مِنَ العِبارات معناه أنّهُ لا وُجود للموقِف الذي تُؤكِّد العِبارة حُصولَهُ، وأنّ العِبارة خالِية مِن المعنى. فإذا أراد الميتافيزيقي أن يُحافِظ على مبادِئِهِ، وَجَبَ عليْهِ أن يُبَيِّنَ أنّها إمّا نظريات مُجَرَّدة خالية مِنَ مُحتَوى واقِعي أُسْوَةً بالرياضِيات البَحتَة، أو عِبارات واقِعِية يُمكِن اختِبارُها بالتّجرِبة[1][3] فالعِبارات الميتافيزيقية بهذا الشَّكل، تَقَعُ في نِطاق العِبارات العامّة، وهي لا تُعبِّرُ عن شيء، مِمّا يجعَل صِدقها أمراً شكلِيّاً، لأنّ الميتافيزيقي في نظر الوضعيين المَنْطِقيين، لم يَكُن في إمكانِهِ لا أن: يُخضِع مبادئه للتَّحَقُّق التّجريبي، ولا إلى تِبيان أنّها عِبارات تِكرارية شَكلية وخالية من كلّ مُحتوى واقِعي كما هُو شأن العِبارة في الرياضِيات البَحْتَة.

ثانياً: نَفْي وُجود الميتافيزيقا، والقَوْل بِتهافُتِها انطلاقاً مِن التّعريف الذي قُدِّم لها، باعتِبارِها تُعْنى باكتشاف «المبادئ الأولى»، والعمل على فَهْمِ الكَوْن بِما هُوَ كُلّ، على نَحْوِ ما لاَ أجزاء

---

(1) السيّد نفادي، «اتجاهات جديدة في فلسفة العِلم»،مجلّة عالم الفكر، المُجلّد 25، العدد2، أكتوبر/ديسمبر 1996، الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص، 89، 90.

(2) ياسين، خليل، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 224.

(3) جي. جي. وارنك G.J. Warnock، مقال: «نقد الميتافيزيقا»، نقلاً عن كِتاب: طبيعة الميتافيزيقا، تأليف: جماعة مِن الفلاسِفة الإنجليز المُعاصرين، تر: كريم متّى، مراجعة، كامِل مُصطفى الشيبى، منشورات، عويدات، بيروت، لبنان، د(ط)، 1981، ص، ص، 143، 144.

مُتفرِقة كما قال «برادلي Bradley»، أو كما وَصَفَها «جون وِزدَم ohn WisdomJ « بأنّها كِذْبَةٌ بَلْقاء وتَناقُض ظاهِر يَسْتَغِلُ اللُّغَة بِشَكلٍ عَجيب ـ[1][2] أو بتعريف الوضعيون المنطقيون أنفسهُم والذّين اعتَبَرُوها مُجرّد عِبارات حائِدة عن كلّ كلام مُفيدٍ وذو معنى، وخالِية مِن كلّ دَلالة على الإطلاق. كما أنّ الميتافيزيقي في تأسيسِهِ لِفِعل المعرفة، يتجاوَز حُدود كلّ معرفة مُمْكِنَة، تَتَأتى لَنا عن طريق الخِبرة الحِسّية، مِمّا يجعل محاولاتِهِ تُؤَدّي إلى اللّفِ والدَوران اللفظي، هذا ما اضطَّرَ بالوضعيين المنطقيين إلى وضع تصنيف لأنواع العِبارات المُفيدة والتي لا تخلوا مِن المعنى، هكذا أكدّت الوضعية المنطقية على عدم تأسيس النظريات العِلمِية على نظريات ميتافيزيقية. إضافة لِضرورة التفرقة بين الميتافيزيقا في السِياق التجريبي المنطقي وبين الفلسفة، فالتجريبية المنطقية لم تأتي لِهدم كل الفلسفة، بل جانب من الجوانب الأولى المُشكِلة لها (الميتافيزيقا البحتة المتعلقة بالوجود والمطلق والعلل الأولى والحقيقة الكليّة والعدم وغيره، أين يغيب مِعيار الحُكْم بالصدق أو الكذب على أشباه القضايا).

ثالِثاً: التجريبية المنطقية كنزعة فلسفية وعِلمِية، ترى أنَّ الميتافيزيقا لا يُمكِنُ أن تُؤسَّس على قواعِد عِلْمِية، وأنّ كُلّ قضية ميتافيزيقية هِي قضية خالِية مِنَ المَعْنى، لأنّ المعنى في اعتقادِهِم هُوَ المعنى المَنْطِقي أو التّجريبي، فَهِي بِذلِك ترفُض القَّول أنّ بالإمكان تكوين ميتافيزيقا أساسُها العِلْم.[3][2]،فَقَضايا الميتافيزيقا الخالِصَة، كانت تُناقِش مَوْضُوعات لا يَستطيع العِلْم رُغْم تَطَوُر وسائِلِهِ ومَناهِجِهِ أن يَخُوضَ فيها.

رابِعاً: لَمّا تحَوَلَت مُهِمّة الفلسفة نَحْوَ التّحليل المنطِقي للعِبارات العِلمية، تَغيَّر مَجْرى اليَقين المعْرِفي، فَلَم يَعُد محصوراً فيما تَمُدُّنا بِهِ التَصَوُرات العَقلية، ولا فيما تُثْبِتُهُ مُعطيات التَّجربة الحِسّية عَنْ طريق عَمَلِية الاستقراء، بَل أصْبَح اليَقين مُستَمَداً فيما تحمِلُهُ اللُغة مِن مَعاني. هكذا وبِفضل «التحليل المنطِقي للّغة» نستطيع الكشف عَنْ تهافُت العِبارات الميتافيزيقية وبُطلانها، فمفاهيم الميتافيزيقا لا معنى لها، وذلك لِعدم وجود معنى تَجريبي لها. يقول «كارناب» في هذا السِياق:« بِفضل تطَوُر المنطِق الحديث، أصبح مِن المُمْكِن تقديم إجابة جديدة وأكثر دِقّة عنِ السؤال المُتَعَلِق بِصلاحِية الميتافيزيقا ومشروعِيتها. إنّ الأبحاث في المنطق التطبيقي أو نظرية المعرفة، التي تُحَدِّدُ مُهِمَتُها بِتوضيح المُحتوى المعرِفي للألفاظ العِلمِية عن طريق التحليل المنطقي، ومِن ثمّة توضيح التَصوُرات الوارِدة فيها، قد أدّت إلى نتيجة إيجابِية، وأخرى سِلْبِية، أمّا النتيجة الإيجابية فقد تَحَقّقت في العِلْم التجريبي، فاتضَّحت التصَوُرات الخاصّة بِمُختَلَف فُروع العِلْم، وتحدّدت اقتِراناتُها مِن وِجهة نظر المنطِق

(1) «طبيعة الميتافيزيقا» تأليف جماعة من الفلاسفة الإنجليز المُعاصِرين، المرجع السابق، ص10.
(2) ياسين، خليل، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 223.

الصوري، ونَظَرِية المعرِفة، أمّا في مَجال الميتافيزيقا(بِما فيها فلسفات القِيَم والعُلوم المِعيارية)، فإنّ التَّحليل المنطِقي قَدْ أفْضَى إلى نَتيجة سِلْبِية مفادُها أنّ العِبارات المَزْعُومَة في هذا المَجال لا مَعْنى لها.»[1](1)

نستطيع القول كخلاصة لهذا الطرح، أنّ إشكالية رفض الميتافيزيقا التقليدية، إشكالية سبقت بِفترة، الطَّرح الذي رأيناه هُنا مَعَ « التّجريبانية المنطِقية»، ولكِن الاستدلالات حَوْل ذلِك، مُخْتَلِفة مِن نظرةٍ لأخرى، فقد سبَقَهُم في ذلك «الوضعيون الكلاسيكيون أو التجريبيون السابِقون أبرزُهُم «أوغست كونت»، الذي اعتبرها مُجَرّد مَرحلة مِن المراحِل التي مَرَّ بِها الفِكر البشري، سُرعان ما انتهت لِتُعَوّض بالمرحلة الحاسِمة والأساسِية، أَيْ المرحلة العِلمِية (الوضعية). أمّا «هِيوم» فقد وَصَفَها بأنّها مُجَرّد وَهْمٍ وسَفسَطَة. كما رَفَض «كانط» و«الكانطيون الجُدُد الدَعوى القَائِلة بِأنّ الميتافيزيقا صُورة مِن صُوَر المعرِفة النظرية، حيث استبدَلَها «كانط» بِميتافيزيقا شَبيهة بالعِلم (Métaphysique autant que Science). كما سَعى «ماخ» إلى استِبعاد كلّ العَناصِر الميتافيزيقية مِن مجال المَعرفة العِلمِية. أمّا الرَّفض الذي قَدَّمَهُ «الوضعيون أو التَّجربيون المنطِقِيون» للميتافيزيقا، فقد كان باعتبارِها خالِية مِنَ المعنى ومُجَرّد لغوٍ، فقضاياها لا تقبل الصِّدق ولا التكذيب، لأنّها في مُجْمَلِها مُجرّد أشباه قضايا كما قال «كارناب» إذ هِي جَميعُها بِدون مَعْنى. وهذا مَعناه أنَّ كُل قضايا الميتافيزيقا ليست ذات أُسُس منطِقِية (كالعُلوم التَّجريدية وأبرزُها الرياضيات) ولا ذات أُسُس تَجريبية (العلوم الإمبريقية كالفيزياء مثلاً)، وبالتالي وكما يرى «راسل» عَبْرَ مؤلَّفِهِ « المنطق والمَعرفة Logic and Knowledge «أنّ تحليل الفلسفة التّجريبية المنطقية للميتافيزيقا بيَّنَ أنَّ قَضايا الفلسفة الميتافيزيقية فارِغَة وزائِفة وأنّها ناتِجة عن أخطاء في النَّحْو Syntaxe، ومِنْهُ يأتي استبعاد «الميتافيزيقا» الذّي هُو مَطْلَبٌ أساسي للوَضْعِية المَنطقية، وهذا تَأكيداً على ذاك التَّوَجُه العِلْمي لِفلسفة تِلْك النّزعة، حيث يَرْفُضون كُلّ معرفة لا تتطابق مَعَ المَعايِير التَّجريبية، وكلّ المُلاحظات التي لا تنطَبِقُ مَع معطيات الوقائع الحِسية.

2.2.3 التأسيس القاعدي والمنهجي للعلوم:

يقول «موريس شليك» مُحاوِلاً تحديد طبيعة الفلسفة التي تَتبناها حَلَقة فيّينا والتي دعت إلى ضرورة مُمارستها أنّ: «الفلسفة ليست عِلْماً، وإنَّما لها وظيفة مُحدّدة ودقيقة، إذ يتحَدَّد مَوْضوعها ويَتَعيَّن، لأنّ موضوعات الفلسفة الوضعية هِيَ كُلّ قضايا العلوم مِن حيث

(1) الشريف، زيتوني، «تهافت القول بموت الميتافيزيقا»، مقالة: بِمجلة «دراسات فلسفية»، المرجع السابق، ص68، نقلاً عن: CARNAP, ''Le Dépassement de la Métaphysique par l'analyse logique du langage" in Soules, A. Le Manifeste du Cercle du Vienne. Textes traduit de l'allemand par Barbara Cassin, et autre, PUF, PARIS, 1956, P155.

توضيحها للمفاهيم العِلْمِية مُعْتمِدةً في ذلِك على التَّحليل المنطِقي الصارِم مَنْهَجاً. إنّ قضايا الفلسفة تُصبِح على إثْرِ ذلك، قَضايا واضِحَة وذات معنى، لأنّها تَقول شيئاً عن الواقِع ، أو بالأَحْرى فإنّها أي الفلسفة، تُحَلِّل ما تَقولُهُ قَضايا العِلْم عَنِ العَالَم. فالوظيفة التَّحليلية هِي خاصِيَّة الفلسفة، وهُوَ ما جَعَل «راسل» يقول إنَّ «هذا المَنْهج يُعْرَفُ بِالمَنهج العِلْمي في الفلسفة.»[1](1)

هذه العلاقة التي تربِط العِلم بالفلسفة عِند الوَضعيين المَناطِقة، نابِعة مِن رُوح « البَيَان Le Manifeste » الذّي أرْسَت مَبادِئهُ، فَلْسَفَة «حلقة فيينا»، حِين طَرَحَت في أهَّم بُنودِهِ فِكرة تَصْنيف العُلوم إلى: «علوم إمبريقية تركيبية» و«علوم تحليلية» وفِكرة رَّد الفلسفة إلى نَظَرِية المَعرفة. فتبني «التجريبية المنطقية» للدِّراسات المَنطقية ونَظَرِية المَعْرفة، دَفَعَ بِهَذه المَدْرَسة في اتجاهِها الفلسفي إلى تفعيل أوتار الصِّلة بَيْنَ الفلسفة ومُختلف العُلوم الإمبريقية خاصّةً، وذلك مِن خلال جَعْل الفلسفة عِلْمِية. فَمِنَ المَبادئ الجَوْهَرِية المُؤَسِسَّة لِلميثاق العِلْمِي «لِجماعة فيّينا» (التي هِيَ كَما أشرنا المُتبني الأصلي لفلسفة النَّزعة التَّجريبية المَنطِقية) تخليص الفلسفة والعُلوم مِن الميتافيزيقا الفارغة وتَكْوين قاعِدَة عِلْمِية عَامّة لِجَميع العُلوم، بِحيث تَكون أو تَصْلُح لِأَنْ تَكون أساساً لِوحدة العِلْم ـ[1](2). فكيف سَعَت هذه النَّزعة إلى تجسيد هذه المطالِب؟

مِمّا لا شَك فيه أنّ أسلوب الرّفض الذي تَبَنَّتْهُ الفلسفة التجريبية المنطقية في دعواها المُفَنِّدة للميتافيزيقا، كان بِناءاً على اعتماد وسائِل بَرْهَنة مَنطِقِية (التَّحليل المَنطقي لِلُّغة) وتَجريبية (الابتعاد عن التأمل والاستعانة بالمنطق التطبيقي أو نظرية المعرفة والتي تهدِفُ إلى توضيح مُحتوى القضايا العِلمية عن طريق التحليل المنطقي)، هذا ما دَفَع بِحَرَكَة سَيْر وتَقدُّم العُلوم نَحْوَ بُلوغ دَرجات أرقى مِن الوَضْعِية والمَوْضوعية. فَتَجلَّت بِذلك وَظيفة هذه الفلسفة العِلمية الجديدة، مِن خلال توضيحها للمَفاهيم والفُروع المُختلفة للعُلوم. هكذا يَصير» التَّحليل المَنْطِقي للمعرفة العِلْمِية « تحليلاً خاصاً لِمفاهيم وقضايا المَنْطِق والرياضِيات والعُلوم التجريبية.

إنّ تأسيس منطق للبَّحث العِلمي، من خِلال بِناء القوانين عَنْ طريق ما يُسَّمى المَنهجية الاستقرائية، هو أساس البَّحث الفلسفي للتّجريبية المنطقية. هذا ما يُؤدي حَسْبَهُم إلى تطوير وخَلْق مَنْهج جَديد في التفلسُف. لقد - بَدَأت مَعَالِمُ الجِدّة هُنا تَظْهَر مِنْ خِلال الاستفادة مِن

(1) مليكة اولباني، «حلقة فيينا أو.. دِفاعاً عن الفلسفة العِلمِية»، إعداد: سعاد تونسي، مقال بِمجلّة «أيس»، العدد الرابع، السداسي الأوّل، 2011،ص، 85.

(2) ياسين، خليل، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 229.

الأبْحاث المَنطِقية الجديدة التي حقّقها « لابنتزLeibniz» سنة 1917م، عِنْدَما طَرَح أفكارهُ المَنطقية وبَرْنامَجَه الخَّاص بِبناء لُغَة رَمْزية عَامّة، والتي كان بمثابة الأساس العَام لِبناء منطق مُختلف عَنْ منطق «أرسطو»، أيْنَ تَركزّت جُهوده في وَضْعِ برنامج شامل للُّغة، حيث تَسْتخدِم هذه الأخيرة الرُموز بَدل الكلمات، واشترط أن تكون اشتقاقية شأنُها شأن الرياضِيات، دون أن تكون هِيَ بذاتِها، فَمِن مُميزاتِها أنّها لُغة عامّة تستخدِمُ مفاهيم منطقية-[1][2]. وكانت الخُطوة التطورية الثّانية في الاتجاه - الاستفادة من الطريقة والرموز الجبرية في المنطق، مُتمثلَّةً في الانجازات التي حقّقها «جورج بول J. Boole في سنة 1845 م مِن خِلال مؤلَّفِهِ الشَّهير:»بَحْثٌ فِي قَوانين الفِكْر»، وإنجازات «دي مورغان De Morgan سنة 1848 م.-[2][3]

معلومٌ إذن كم هُو الدور الذي لعبَهُ ميلاد المنطق الجديد في بناء قواعد العِلم، ولكن لم يتوقف هذا التأثير في هذه الحُدود بل استمر مفعول هذا التأثير في المرحلة المُعاصرة، والتي امتازت بثراء كبير في مجال الإنتاج المنطِقي، لدرجة أنَّنا لم نَعُد نتحدث عن منطق واحد أو إثْنَيْن فِي المُقابِل، بل أصْبَحْنا أمام أنْمَاط عِدّة مِنَ المَنْطِقيات. فإضافة إلى «جَبْر المنطق» كانت هناك ظهور جديد لمرحلة مُتقدِّمة في المنطق على يَد « غوتلوب فريجه G.Frege»، حيث استطاع بناء أوّل نظرية استدلالية لمنطق القضايا ودالات القضايا في كتابه «اللغة الرمزية» وهو حَصيلة محاولات «فريجه» في اشتقاق علم الحساب من المنطق.[1][3]

إضافة لهذا الإنجاز في الحقل المنطقي، نجد أعمال الرياضي «بيانو Piano» في ابتداع لُغة رمزية، وإقامة عِلْمُ الحِساب على قواعد منطقية، ولقد استفاد «برتراند راسل» كثيراً من اللُّغة الرمزية التي طوّرها «بيانو»، وأُعْجِبَ بالطَّرِيقَة التّي عالَجَ بها هذا الأخير قضايا الرياضيات والمَنطق. ولم تتوقف جُهود المَناطِقة عِنْدَ هذا الحَّد، بل شَهِدَ القرن العشرين، ظهور دراسات ومَدارس واتّجاهات منطقية جديدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحَصْر: مدرسة «غوتنغن Gothingen» مِنْ بَيْن أعضائِها «دافيد هلبرت» [4]*D. Hilbert[2][5] هذا بالإضافة إلى «المَدرسة البُولَنْدِية»، والتّي مِن أبرَزِ أعضاءِها» يَانْ لوكَازيفيتش» و»تارسْكِي» وآخَرون، وكذلك مَدْرَسَة كومبردج» التّي تَمَيَّزَت بِظُهور فلاسفة كِبار أمثال «لودفيج فتجنشتاين» و»رامزي-Rams

(1) جابري، محمد عبد الرحمان، نظرية العلامات عند جماعة فيينا، رودولف كارناب نموذجا، دراسة وتحليل، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس، الجماهيرية الليبية، ط1، 2010، ص، 112، 113.

(2) Carnap, R, «The Old and The New Logic» , in: Ayer, Logical positivism, Op. cit , P.133.

(3) جابري، محمد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص،113.

(4) زعيم المدرسة الشكلية الصورية، فهُو يَرَى أنّه إضافة إلى الرياضيات الاعتيادية، هناك رياضيات من نَّوع جديد، هي الرياضيات الفوقية، والتي تستخدم لإثبات متانة الأنظمة الرياضية وخلوها من التناقض.أين عرض الرياضيات في صورة أبنية أو متواليات رمزية، وهذا ما يعرف بالطريقة أو المنهج الأكسيومي.

(5) -Carnap, R, ,Op, cit, P.135.

sey». كلّ هذه الأبحاث الجديدة في الحَقْل المَنطِقي ساهمت في حَلِّ الكَثير مِن المُتناقِضات والمُتَضادات Antinomies التي عرفتها العلوم وخاصّة الرياضيات. كما ساهمت هذه الدراسات المنطقية كثيراً في علم اللغة وبالذات في عِلم الدلالة Semantics، أين تمّت تنمية مفاهيم منطقية كثيرة في هذا الحقل. فَمُؤلَّف «كارناب» «مقدمة في عِلْم الدلالة Introduction to Semantics (1942)» كان مِن وراءِهِ حُدوث تَطَوُّر بير في أُسلوب البَّحث الدلالي. إضافة إلى ذلك تَمَّ تكسير مبدأ الثُّنائية في المنطق(القضية إمّا تكون صادقة أو كاذبة)، أيْنَ صِرنا نَتحدَث عَن منطق مُتعدِّد القِيم، هذا ما خَدَم كثيراً التَطوُرات التي حدثت في الفيزياء والقائمة على مبدأ الاحتمالية، الذي صار لَهُ الأهمية القُصوى في صِياغة القوانين الفيزيائية، هذا ما دفع أحد أبرز فلاسفة النّزعة التّجريبية المنطقية «رودولف كارناب يُنجز مُؤلَّفاً خاصاً بِمُشكلة الاحتمال أسماه: « الأُسُس المَنْطِقية للاحتمال» فَفِي نَظَر الوضعِيُون الجُدُد، يجِب أن يقوم المَنْهَجُ على قاعِدتين أساسِيتين هُما:

أ- قاعِدة التحليل المنطقي اللُغوي.

ب- قاعِدة التحقيق التجريبي.

ومِن هاتين القاعِدتين، أطْلِق على الوضعية الجديدة اسمٌ آخر هُو « التجريبية المنطِقية»ـ[1]

3.2.3 تحقيق وِحدة العلوم Unifications des sciences:

مَعلومٌ كَمْ هُو الدَّور الذي قامت بِهِ الدِّراسات المنطقية في الفترة المُعاصرة مِن الفكر الفلسفي، حيث ساهمت وبصورة جِدُّ مُتقدِمة في بناء القاعدة المنهجية للعلوم، وخاصّة العلوم التجريبية أي الطبيعية وخاصّة الفيزياء، والعلوم التجريدية ونقصد هنا الرياضيات في مراحِلِها المُتأخرة، إضافة إلى علوم الُّلغة وبالذَّات في الحَقْل السيمنطيقي، ولَكِن هل أسهمت هذه المُحاولات في بِناء قاعِدة مُشتركة للعُلوم التَّجريدية والطبيعية والإنسانية الحَضارية ؟

مِن المؤكّد أنّه - لَمْ يَسبق وأن عَرَفْنا في تاريخ الفلسفة بالذّات مُحاولة جادّة لِتَوحيد العُلوم، ما عَدى تِلك التي قامَت بِها «جماعة فيينا» في هذا المَجال والمُتَجَلِّيَة في الاستفادة من التَّحليل المنطقي للّغة العِلمية، مُعتمدة على الآليات التي يُزَوِّدُنا بها المنطق المعاصر، حيث أصدرت مجلّة بعنوان:» الموسوعة العِلْمِية لِلعِلْم المُوّحد» والكائن مقرُّها بمدينة «شيكاغو» بالولايات المُتحِدة الأمريكية.- [2]

(1) ليدفيكوغيمونا، « موقف من الوضعية المنطقية «، مجلة «الفكر» العدد 230/1982، الصفحات مِن 77 إلى 84، الترجمة بِتصرف: بغورة، الزواوي، نُشرَ في المؤلف الجماعي، تحت إشراف: زواوي بغورة، الموسوم بـِ: مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، دراسة تاريخية نقدية مع نصوص مُترجمة، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، د(ط،ت)، ص، 314.

(2) جابري، محمد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص، 117.

ففِكرة توحيد العلوم، هِي فكرة شَغلَت بَال الكثيرين مِن أعضاء الجَماعة، وأبْرَزُهم «موريس شليك» و»رودولف كارناب»، و»أوتو نويراث»، هذا الأخير الذي ألَحَ على الفِكرة، حيث كان هناك إجماع على أنَّ فُروع العِلم التجريبي ما هي إلاّ أجزاء لِعِلم واحِد، مَوحَّد وشامِل. ولكن كيف يُفسِّر أنصار»التجريبية المنطقية» هذا الانفصال الجَلي بين العُلوم مُنذ بداية نشأتِها إلى اليوم؟ وما هِي دواعي التسليم بِهذا الموقِف؟

يرى «نويراث» أنّ - انفصال العلوم عن بعضِها البعض راجِعٌ إلى غايةٍ عملية ، الهدف منها توزيع المهام فحسب، فهو أي «نويراث» يُؤكِّد على التَّطَوُر الوَاحِدِي للعُلوم، وأنَّ أي شيء يَحْدُث هو جُزءٌ مِن الطبيعة، بمعنى أنّهُ جزءُ مِن العالَم الفيزيائي، فَبِناء العِلم المُوحَّد في تصوُرِهِ يتطلَّب بِناء لُغَة مُوَحدَّة بِبِناءِها المُوَحَّد-[1]. وحتّى «موريس شليك» ذاتُهُ يرى أنّ العِلم المُوحد يتضمّن كُل القوانين العِلْمِية، وهِي قادِرة بدون استثناء على التوحيد مع بعضِها البعض، لِهذا وجدنا أنّ تِلك الجَماعة من أنصار الفلسفة التجريبية المنطقية، تُرّكِز اهتمامها في جُل مناقشاتِها على مسألة طبيعة اللُّغة التّي ينبغي تَبنيها لِتحقيق وِحدة العِلْم. إنَّها تَسْتَعين بِتَحليل اللُّغة وعلاقتها بالعالم الخارجي، ولا نقصد باللغة هنا لغة الحياة اليومية فحسب، بل اللُّغات العِلمية أيضاً، وهذا أمر يَجْعَل هذا الاتجاه التجريبي قريب الصِّلة بالعُلوم التَّجريبية والنَّظريات العِلمية، وذلك عن طريق إيجاد صِيَغ مُختلفة تَرْبِط عَالَم المُعْطيات الحِسّية بالنَّظريات العِلْمِية ومَا تَحْتوي مِن مفاهيم تَجْرِيبية، وبذلك تُحَقِّقْ هذه التّجريبية هَدَف الفلسفة والعِلْم في وِحْدَة العُلوم التَّجريبية.

كما أنّها تستعين أيضاً بالمنطق والرياضيات دون الأخذ بالرأي القائل أنَّ أساس الرياضيات هو التّجربة، بل إنّها على العكس تَرى أنَّهُ ليس للمَنطق والرياضيات علاقة بالتّجربة، ولكن الطريقة الاشتقاقية التي يُوَفِّرُها المنطق تستطيع أن تُساعِدنا في بِنـاء المعرفة التَّجريـبية على أسُس مَتينة وَ واضِحة. وذلك عن طريق اختيار بعض المفاهيم الأساسية البسيطة وتعريف المفاهيم المُعقدَّة بِواسطتِها حتىَّ يَتِّمُ بِناء المعرفة العلمية، شَريطَةَ أنْ لا يَكون بَيْنَ المفاهيم المُشتقة ومفاهيم النَّظريات العِلمية الحديثة تناقض، بل على العكس يجب اشتقاق النَّظريات العِلْمية مِن قاعدة تَجريبية مُعيَّنة، فالاتجاهات التّجريبية والوضعية العِلمية، في نَظْرَتِها للوُجود لا تتعامل معَهُ إلاّ باعتباره عَالَم التّجربة الطبيعية الفيزيائية، ولا تقبل سِوى بِما يَمُدُّنا به الحدس الحِسّي كطريق للمعرفة. لقد كان توحيد العلوم يُمثِّل أبرز الاهتمامات التي شغلت فِكر الوضعيين المناطِقة، وتعود معالِم ذلك الانشغال إلى نظرة «آرنست ماخ»، نَظْرَتِهِ الرافِضة للطَّرح الجاعِل مِن عِلم النَّفس عِلْماً يتعامَل مع العالَم الباطِني فقط، وهذا

(1) Otto, Newrath, «Sociology And Physicalism», in, Ayer, logical Positivism, op, cit, P.287.

الأخير يختلف عن العالَم الخارِجي الذي يتناوَلُهُ العِلْم الفيزيائي بالبحث[1]. فهُم يَقْبَلُون بفكرة أنّ هناك تقارب بَيْن كلّ مِنْ عِلْم الفيزياء وعِلْم النفس، فكِلاهُما يَصِف خبرات وتجارب، هذا ما يدفع للقول بإمكانية التوحيد بينهما، فحسب أكثر من اهتمّ بفكرة توحيد العِلْم مِن بين الوضعيين الجُدُد «رودولف كارناب»، فإنّ العالَم يُمكِن بِناءُهُ مِن التجربة أو الخِبرة وذلك على أساس مِن علاقة التماثُل التي تربِط بَيْن أنحاءِهِ.[2]

لقد أوضح «كارناب» أنّ تحليل مفاهيم العِلْم قد أوضح أنّ جميع هذه المَفاهيم على اختلاف انتماءاتِها، سواءاً تعلّقت بالعلوم الطبيعية، أو بِعِلم النفس أو بالعلوم الاجتماعية- إنّما تُرَدُّ بالأساس إلى أسُس مُشتركة تتعلّق بالمُعطى الحِسّي، ومنه يمكن إقامة نَسق واحد لِجميع الأفكار العِلمية، على أساس مُوحَّد ومُشترك، ومِنْه تنتهي بنا عملية التّحليل المنطقي إلى العِلْم المُوحد، فلا وُجود لعُلوم مُختلفة ذات بِنية منهجية مُختلفة، فجميع المعارف تجِدُ لها مكاناً في هذا العالَم. وهِي ذات نوع واحد، وما الخِلافات الرئيسية بَيْن العُلوم، إلاّ على المُستوى الشَّكلي، وهِي نِتاج التوظيفات المُظَلِّلَة للُّغة المُستعملة في التعبير عَن هذه العلوم -[3]

لقد اتّخذت الفيزيائية التي هِي طريقة التّفكير التي ميّزت «حلقة فيينا»، هِي الأساس المُناسِب لضمان وِحدة العلوم، فاللغة الفيزيائية حسب «نويراث»، هي الأنسب لِضَمان عَدَم تَسرُب العناصر الميتافيزيقية إلى العِلْم المُوحّد، كما أنّ اللّغة الفيزيائية تُلَبّي المطالب العَمَلية للقَّول العِلْمي. إذن تبني «وحدة العِلْم» مُؤَداه أنّ جُل العلوم التجريبية هِي في أساسِها عِلْم واحِد، وما قضية التقسيم إلى فروع، إلاّ أمر عملي اقتضته الطبيعة، حيث كانت هذه الدعوة (وِحْدة العِلم) مُوجَّهَةٌ أساساً ضِدَّ الدَّعوة الحادّة للتَّفرِقة بَيْن العُلوم الطبيعية والعُلوم الاجتماعية والإنسانية. فقد كان «نويراث» يعتقِد أنّ مِثل هذا التَّمييز يَمنَع ويُعيقُ تَطبيق مَناهج العِلْم الطبيعي في مِثْل هذه العلوم. في نفس هذا السياق، يقول «عبد الرحمان بدوي» عن وِحدة العِلْم عند جماعة فيّينا ما يلي: «اهتمت دائرة فيينا بفكرة وحدة العِلْم، وفي سبيل ذلك طالبت بِلُغة مُوَحدّة، بها يُمكِن التعبير عن كُل قضية عِلمية، ولغة كهذه لا بُدَّ لها أن تُحقِّق شرطين: إذ ينبغي أولاً أن تكون لُغَةً بَيْنَ الأفراد أي لغة مَيْسُورة لكُلّ إنسان، وعَلاماتُها تَدُّلُ على نَفْس المَعنى عِند الجميع، وينبغي ثانِياً أن تكون لُغة عَالَمِيَة، يُمْكِن بِها التَّعبير عَن أيّ موضوع نشاؤُهُ.»[4]. إنّ اللُّغة المقصودة هُنا، هِي اللُّغة الفيزيائية أو لُغة الأشياء- حسب كُلٍّ

(1) هاشم، رافد قاسم، « رودولف كارناب والوضعية المنطقية «، مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية، المجلد / 18/ العدد 04/ العراق، د(ط، ت)، ص، 1062.

(2) عزمي، إسلام، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980، ص، 79.

(3) عزمي، إسلام، المرجع السابق، ص، 146.

(4) بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص،252.

مِن «نويراث»، و«كارناب»- لِهذا سُمِّيَ مذهبُهُما بالفيزيائية. لقد قَامَ «كارناب» بِبَحْثٍ ساعِياً إلى تأييد هذا المبدأ، مَفادُهُ أنَّ جُملة لُغة العِلْم يُمكِن إقامتُها على أساس فيزيائي، ولقد قدّم «كارناب» هذا الموقِف وتطبيقه بالنِسبة إلى عِلْم النفس في مقالتين منشورتين عام 1932: الأولى بِعُنوان: «اللغة الطبيعية بوصفِها اللغة الكُلِّية للعِلْم» وقد تُرْجِم إلى اللغة الإنجليزية بعنوان: «وِحدة العِلْم The unity of science» والثَّانية بِعنوان:» عِلْم النَّفس باللُّغة الفيزيائية Psychology in physical language»ـ[1].

هذا المُعْتَقَدُ الهَامْ (وحدة العِلم) الذّي التَّفَتْ حَوْلَهُ الوضعية المنطقية لَهُ جانِبان[2]:

الأوّل: يتلخص في أنّ جميع العلوم التجريبية مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء وعِلم النفس، إنّما يشتركون في مُفردات واحِدة. حيث أنّ لغة الفيزياء مثلاً تُكافئ مُفْردات لُغة أو عِبارات البروتوكول[3] الفيزيائية، ولكِنّها لا تتماثل مع لُغة الفيزياء الجارية لأنّ الفيزياء يُمكِن أن تتعدّل (فنظرية الكّم التي تُعَدُّ الآن «احتمالية» يُمكِن أن تصير «حتمية») بينما تَظَّلُ لُغَة البروتوكول الفيزيائية تحتفِظُ بالمَضْمون الواحد للمُفردات العِلْمِية الأساسية. وفي هذا السِياق يَرى «شليك»، أنّها أي العِبارات البروتوكولية عِبارات تَتَمَيَّز بِيقين مُطلَق، وذلك لأنّ النَّظرية والواقِع يُصبِح كلّ مِنْهُما في اتصال مُباشِر معَ الآخر في هذه العِبارات.

أمّا الجانِبُ الثاني: فَيُعْلِنُ أنَّ جميع القوانين التي نجِدُها في جميع العُلوم التّجريبية إنّما يُمكِن اشتِقاقُها فَرَضاً مِن القوانين الفيزيائية. ولكن يظّلُ هذا أملاً افتراضِياً، يتحدَّدُ صِدقَهُ أو كَذِبَهُ كما يقول كارناب بأن نَنْتَظِر حتّى نَرى كَيْفَ تتطوَّر العلوم في الواقِع.

(1) عزمي، إسلام، المرجع الأسبَق، ص، 169.

(2) رودولف، كارناب، الأسس الفلسفية للفيزياء، المصدر السابق، ص،ص، 12، 13.

(3) - عبارة البروتوكولProposition Protocolaire هِي عبارة تعين بوضوح المعطى التجريبي، غير أنّها ليست موضِع اتفاق بين الوضعيين المناطقة، حول طبيعتها ومجالها.

4. المنهَج كأداة للفَلسَفة العِلْمية لدَى أنصَار النّزعة التّجريبية- المنطِقية.

1.4 مصطلح التّحقق في فلسفة التجريبية المنطِقية:

إذا ما حاولنا التعامُل مع مُصطلح «التحقُّق» مِن ناحِية الترادُف اللُغَوي، سَنَجِدُ أنّ هذا المُصطلح وَرَد مُتَكافِئاً مَع مُفردات مُتعَدِّدة، فكما أورَدَهُ «أندري لالاند» في موسوعتِهِ الفلسفية[1]، بِمعنى البرهنة والفحص. أمّا مِن حيث الكِتابة الأبجدية، فنَجِدُهُ باللغة الفرنسية (Vérification) ونفس نمط الكِتابة الأبجدية باللُغة الإنجليزية رُغم اختِلاف النُطْق، إلاّ أنّها تُتَرجَم أحياناً وفي نفس اللغة إلى كلِمة (Examination). وكِلا المُفردتين باللغات الأجنبية مُشتّقَة مِن المُفردة اللاتينية Vérificare)) أو (Vérificatio). هذه الكَلِمة الأخيرة، نقلها العَرَبُ مِن اللغة اللاتينية، واللغة الانجليزية، وترجَموها إلى كلمة « تحَقُّق» وهِيَ مِن (أحْقَق) و(تَحَقّق). فقد وَرَدت في « لِسان العَرب» لابن منظور عِبارة «أحقَقْتُ الشيء » بِمعنى «أوجَبْتُهُ»، و« تَحَقَّق عِنْدَهُ الخَبَر»أي «صَّحَ»، و«حَقّق قوْلُه وظَنّه تحقيقاً»، أي «صدَقَ وظَنُّهُ كلامٌ مُحَقَّق ورَصين» ـ[2]أمّا التّحقُق في الطريقة التّجريبية هُوَ كُلّ ما يقوم بِهِ العَالِم مِن أعمال لامتِحان النّظرِية، أو هُوَ التَصديق أو التوكيد أنَّ عَمَلَيْن مُخْتَلِفَيْن يُنْتِجان نتيجة واحِدة. ـ[3]هذا من الناحية الاصطلاحية واللُّغوية لِمُطلح «التّحَقُق» أو «التحقيق»، فكيف تناولت ووظّفت التّجريبية المنطقية أو الوضعية المنطقية هذا المبدأ؟

لَقَد عُرِفَ «مبدأ التّحقق» في دَوائر الفِكر المَنطقي لِمَدرسة الوَضعية المنطقية وتحديداً مع «موريس شليك» الذي يُعتبر أوّل من قام بِصياغة هذا المبدأ، فلا يُصبِح للقَضية مَعنى إلاّ عِنْدما نتأكّد مِن تطبيقها تَجريبياً، وقد طبّقَهُ على تعريف الألفاظ المستخدمة في الميكانيكا[4]

أمّا التّحقيق، فَبِالطريقة التّجريبية هي كُلّ ما يقوم بِهِ العالِم مِن أعمال لامْتِحان النَّظريات العِلمية، أو هُوَ التَّصديق أو التَّوكيد أنَّ عَمَلَيْن مُختَلِفَيْن يُنْتِجان نَتيجة واحدة.[5]

إذن لا يُمكِن نُكْران مَكانة «مبدأ التّحقيق» في فلسفة الوضعية المنطقية، وذلك كأبرز المبادئ الرئيسية التي قامت عليها. فقد انتَهَجَتْهُ كَمِعيار لِكشف صِدق أو كَذِب القَضايا العِلْمية، وانتَهُوا إلى أنّ كلّ ما يَحْمِلُ مَعنى، يُمكِن الحُكْم عليه بالصِّدق أو الكَذب، وبالتالي لا

(1) لالاند، أندري، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب:خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2000 م، ص، 721.

(2) ابن منظور، لسان العرب، المجلّد1، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العِلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص، 305.

(3) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية، الفرنسية، الانجليزية واللاتينية، ج1، دار الكِتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ص، 254.

(4) ماهر، عبد القادر محمد علي، فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د(ط)، 1985، ص، 279.

(5) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د(ط)، 1982، ص، 254.

يخرُجُ عن نَوعين من العلوم[1][2]:

أولاً: العلوم الصورية: وهي التي تُزَوِدُنا بما نُسمّيه «الصِّدق الصوري» وهو الذي يُمكِنُنا التوصُل إليهِ مِن خلال الأنساق الرياضية والمَنطقية المُختلفة.

ثانيا: العلوم الواقعية أو الإمبريقية: وهي التي تتعامل مع «الصدق الواقعي»و ذلك الصِّدق يُمْكِن الوُصول إليه مِن خلال قضايا العلوم الإمبريقية المختلفة كالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا وعلم النفس. إنّ تأثير «كارل بوبر» على أعضاء حلقة فِيينا، دفَعَ «كارناب»، إلى وَضْع تصَوُر جديد لِمِعْيار المعنى التّجريبي، حيث حدّدَ جُملة مِن القواعِد لهذا التصوُر الجديد تتلخَّص فيما يلي:

أ- كلّ الأقوال التّركيبية يجب أن تكون قابلة للتحقيق تحقيقاً تاماً وهذا مبدأ التحقق التام.

ب- كلّ الأقوال التّركيبية يجب أن تكون قابلة للتأييد تأييداً تاماً وهذا مبدأ التأييد التام.

ج- كلّ القضايا التّركيبية يجِبُ أن تكون قابِلة للتحقيق، وهذا هو مبدأ التحقيق.

د- كلّ القضايا التّركيبية يجِبُ أن تكون قابِلة للتأييد، وهذا هو مبدأ التأييد.

و في كُلّ هذه الأحوال يجب أن تكون الصِفات متعلقة، بما هو قابل للملاحظة.[3][2]

2.4 منهج القابلية للتّحقُق(الفِكرة والتجسيد):

لعلّ أبرز ما يُظْهِرُ وبِوضوح علاقة الفلسفة بالعلوم عِند أنصار الاتجاه التجريبي المنطقي، هُوَ «مبدأ التحقُق» الذي اعتبروه الأداة المُثلى لِتوضيح المعنى، وهُوَ وحدَهُ أي منهج التحقيق يكفَل إمكانية رَدّ كلّ المفاهيم إلى الوقائِع التي تُطابِقُها، وبالتالي تصير أي تِلك المفهومات ذات معنى. وما عدى ذَلِك، أي في حالة عدم إمكانية التحقق التجريبي من تِلك العِبارات أو القضايا، فإنّها تصير بنظر الوضعيين المناطقة مُجرّد لَغْو وفارغة مِن كُل مُحتوى أو معنى. مِن خلال هذا الطرح، نتَساءل عَن الجُذور التي أَنْتَجَت مِنْها التّجريبية أو الوَضعية المنطقية ذاك المبدأ؟ وكيف وُظِّف كإجراء للكَشف عَن صِدق القضايا؟ وما هي نتائج مُمارستِهِ في قَضيّة استبعاد الميتافيزيقا بالأخّص؟

لقد قادَت فِكرة الهجوم على الميتافيزيقا والأخلاق، إلى توسيع دائرة الاستخدام لمنهج «القابلية للتّحقيق» أو «المِعيار التّجريبي للمعنى» كما كان يُسمّى في عُرْف الوَضْعيين المناطقة، والذّي يقوم على رفض الاعتراف بوجود معنى لأي عِبارة لُغوية سِوى العِبارات أو الأقوال

(1) السيّد، نفادى، معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية، مبدأ التّحقيق عند الوضعية المنطقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د(ط)، 1991، ص، 07..

(2) بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، ج 2، ص، 252..

التّجريبية والرياضِية. لقد مثَّل هذا المِعيار قرابة روحية مع مِعيار الفيلسوف الأمريكي» تشارلز سندرس بيرس» CH.S.PEARCE» الذَرائِعي، والذي صاغَهُ فيما بَعْد فيلسوف العِلْم «بريدمانPRIDMAN «، حيث انتشَر هذا المَبدَأ في أوروبا مِن جرّاء النتائج التي حَدَثت على مُستوى المَنهجية المُتبناة خاصّة في الفيزياء المعاصرة، ولا سِيَما مِن خِلال النَتائج المُتوصّل ليها مِن طَرَف العَالِم الفيزيائي «آلبرتآنشتاين» بشأن مذهب «المُطْلَقية النيوتوني Newto-nien Absolutisme» والذّي أعطاه طابِعاً إجرائِياً في مجال الفيزياء بعد أن نَسَجَهُ في نظريتِهِ النِسبِية.[1]

فنجِدُ بذلك، أنّ التّجريبية المنطقية، قد تأثّرت بصورة خاصّة بالمنهج العِلمي لهذه الفيزياء الجديدة والتي مارست بطريقة مُتقدمّة جِدّاً، النَّقد على الفيزياء النيوتونية بقوانينها التي صارت حسبهم تقليدية. فقد بَرْهَنت فيزياء آنشتاين، أنّ قوانين الحركة والتزامُن والزمان والمكان، إذا ما استعملت بالمفهوم النيوتوني (بالمعنى المُطْلَق)، أي مِن دون أن تعرف ضِمن مُصطلحات نِظام أو مَرْجَع مُعَيَّن فإنّها تكون بِلا مَعْنى.[2]فمَفاهيم العِلم الفيزيائي كما وضَّح ذلك «آنشتاين» تكون ذات معنى في حالة ما إذا استطاع المرء أن يُحدِّد الإجراءات التجريبية المُؤدية إلى التحقيق مِن هذه المفاهيم.[3]كما نَجِد في السِياق نفسُهُ الأب الروحي للنزعة التّجريبية المنطقية «آرنست ماخ» ينزع إلى القول بأنّ الفيزيائي يُعرِّفُ الجِسْم بأنَّهُ: هيئة ثابِتة نِسبياً من كما نَجِد في السِياق نفسُهُ الأب الروحي للنزعة التجريبية المنطقية «آرنست ماخ» ينزع إلى القَوْل بأنّ الفيزيائي يُعرِّفُ الجِسْم بأنَّهُ: هيئة ثابِتة نِسبياً من إدراكات اللَّمس والبَصَر، وهِي مُرتبطة بِنَفْس إدراكات الزَمان والمكان. هذا النّوع من التّعريفات هِي التي أسماها «برجمان» فيما بَعْد بِـ «التّعريفات الإجرائية» واعتبرها الوِحدة التي لها معنى وأنّ الأشياء التي لا يُمكِن قِياسُها ليس لها مَعنى، فكان هذا السَّبب الذي تَوَصّلت مِن خلالِه «الوَضعية المنطقية» إلى المبدأ القائِل: بأنّ معنى قضية ما يتوقّف على التحقيق منها، إذ أنّ هذا المبدأ مُرتبِط بتقديم التَّعريف الإجرائي.

ومِن ثمّة نَجِد أنّ المِعيار الوَصْفي لِمعنى «واقِعي» قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمَذهب البراغماتي والمذهب الإجرائي، بَيْدَ أنَّ الوَضعيين على خلاف «آنشتاين» و«بيرس»ـ استخدموا هذا المبدأ كسِلاح رئيسي ضِدَّ كافة المذاهب والأفكار الميتافيزيقية[4]. إضافة لِهذه المَرجَعِية، وجدنا أنّ هناك أساس لِمبدأ التحقيق في الطرح الذي قَدَّمَهُ «دافيد هيوم» في كتابِهِ الرئيسي: «مقالة في

(1) السيّد، نفادى، معيار الصِدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية، المرجع السابق، ص، 08.
(2) آنشتاين، آلبرت، النِسبية: النظرية الخاصّة والعامّة، ترجمة: رمسيس شحاتة، الهيئة المصرية للكتاب، ليبيا، د(ط،ت)، ص، 26
(3) المرجع نفسه، ص، 70.
(4) السيّد، نفادى، المرجع السابق، ص، 09.

الفهم البشري›› سنة 1748م، حيث يقول: «إنّ المَوضوعات الوَحيدة للعِلْم المُجرّد أو البرهان هو الكميّة أو العدد، وأنَّ جميع المُحاولات التي تَرمي إلى تجاوُز هذه الأنواع الأكثر دِقّة للمعرفة فيما وراء هذه الحدود إنّما هي مُجرّد سفسطة وَ وَهْم، فعِندما نُطالِع المكتبات، علينا أن نقتنِعَ بهذه المبادئ. ما الذي ينبغي علينا أن نعمَلَ فيه التّدمير؟ فإذا طالت أيدينا أيّ مِن كُتُب اللاهوت أو الميتافيزيقا المدرسية مثلاً، ورُحْنا نتساءل: هل يتضمّن أي تعليل مُجرّد متعلق بوقائِع الواقِع والوُجود؟ كَلَّا. إذن فلنَقذِف بِهِ في النّار لأنّهُ لا يَتَضَمَن سِوى الأوهام والسَفْسَطة.[1]فحسب «هيوم›› كلّ بحث أو دِراسة خارِج دائرة المعارِف القبلية (الدراسات الرياضية)، والبعْدِية (الدراسات التجريبية)، وبالتالي فالأقوال الحقيقية عِندَهُ لا تكاد تخرُج عن صِنفين:

أ- الأقوال المُسبقة A Priori: وهي التي تُعْرَف قَبْل الخِبرة، وتتضمّن أحكاماً تَّحليلية، كقولِنا مثلاً: «المشروبات كُلُّها سوائل»، فمعنى «مشروب» يتضمّن معنى «سائل» كَجُزء مِنه. وتُعتَبَرُ الرياضيات النَّموذج الأَسمى لِمِثْل هذه الأَقوال التَّحليلية. إذن فَجميع الأقْوال التي هِي تحليلية فقط هِي أقوال مُسبقة.[2]

ب- الأقوال المُلْحَقة Posteriori: هِي التي تتضمّن أحكاماً تركيبية، وتعرف عن طريق الخِبرة المُباشرة، مثل قولِنا: « العازبون كلّهم شواذ «، فمعنى «شاذ» لا يؤلِّف جُزءاً مِن مَعنى المُبتدأ «العازب».

وهكذا ورغم هذا التَّمييز الذي قدَّمَهُ «هيوم›› بين الأقوال، إلاَّ أنّه رَكَّزَ على أَهميّة الإثنين معاً: الدِّراسات القَبلية، والمُرتكِزة في أساسِها على الرِياضِيات والمنطق، والدراسات البَّعْدِية المُرتكِزة على الدراسة التّجريبية.

إضافة إلى امتدادات هذا المبدأ في الفلسفة التّحليلية، مع آراء: «لودفيج فتجنشتاين›› الذّي أرسى القواعد الأساسية لهذا المبدأ مِن خلال مُؤلّفِهِ الرئيسي («رسالة منطقية فلسفية») والذي خَدَم كثيراً المسار الفلسفي والمنهجي لحلقة «فْيِّينا» وبالتالي الفلسفة «التجريبية-المنطقية››، فحينما لا يُمكِنُ التحقُق التجريبي مِن ملفوظة ما، فإنّها تكون بالنِسبة للمعرفة ملفوظة لا معنى لها أي مُجلرّد لغو، وحصول ذلك المعنى لا يَتِمُ إلاّ حينما يُثْبَتُ إمكانية التحَقُق تجريبياً مِن مضمونِها.

3.4 مبدأ التَحَقُق والقضية الميتافيزيقية:

في هذا الصَّدد يقول «زكي نجيب محمود: «إنّ معنى القضية ووكيفية إثبات صِدقها شيء

(1) لطفي بركات، جمعة، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، تقديم: زكي الفتوح رضوان، دار النهضة العربية، القاهرة، د(ط)، 1968م، ص، 49.

(2) المرجع، نفسه، ص، 228.

واحِد، فما يستحيل علينا أن نُثبِت صِدقه مِنَ القضايا لا يكون ذو معنى على الإطلاق، إنّنا إذا سألنا ما معنى هذه العِبارة؟ كان سُؤالنا معناه بِصيغة أخرى: كيف يُمْكِن أن نُحقِّق هذه العبارة»[1]هذا بِحَق ما أراد أن يُعبِّر عنْه صاحِب هذه المَقولة والتي تُبيِّن وتؤكِّد القيمة العِلْمية لمبدأ التحقق، فهُو الذي يُضْفي على القضية معنى. كما يُشير إلى أنّ القضية التي لا نستطيع أن نتحقّق مِن صِدقِها أو كذِبها، هِي قضيا فارغة مِن المعنى، فهِي وبتعبير «كارناب» مُجرّد «أشباه قضايا»، لأنّها تتضمن معاني مخالفة للواقِع. وبِما أنّنا ميّزنا بين نوعين من الصِدق للقضايا حسب «زكي نجيب محمود» (صدق القضايا التّركيبية وصدق القضايا التّحليلية)، فإنّنا وبالتالي سنكون أمام نوعين من التحقُق: الأوّل متعلق بصِدق القضايا التّركيبية والذي يكون في مُطابقتِها للواقع، والثاني متعلّق بصِدق القضايا التحليلية والذي يكون من خلال عدَم تناقض النتائج مع المقدمات.

ومِن ثمّة فإنّ مُهمة منطق المعرفة العِلْمِية عِند أصحاب الوضعية المنطقية، تأسيس مِعيار يُتيح مِن خِلال مجموعة مُحدّدة من الإجراءات إثبات صِحّة المُحتوى التجريبي للنَّظريات العِلْمِية، وِثل هذا المعيار ضروري لتفسير طبيعة المعرفة وخاصِيتِها، وقد اقترح أنصار الوضعية المنطقية «مبدأ التحقق» حلاً لهذه المُشكِلة-[2].

يستند معيار القابلية للتّحقق حسب «بوبر Popper.k» إلى افتراض مسبق يقرّر أنّه بالنسبة لِكُلّ قضية ينبغي أن يكون مُمْكِناً، حتّى إن لم يكُن عملِياً، إقرار ما إذا كانت القضية صادقة أو كاذبة-[3]وسَنَكْتَفي في هذا الطَّرح التَّحليلي بِالإشارة إلى مَوْقف أحَد أبرَز المُناصرين للوَضعية المنطقية، إنّه « آلفريد آير». إذْ نَادَى هذا الأَخير بمبدأ «إمكانية التّحقق» سنة 1936، حيث رأى أنّ القضية التّجريبية إنّما هِي فَرَض ينتظِرُ التَّحقُق، وأنّ تَحقق هذا النّوع من القضايا ليس باليُسْر الذي تصوّرَهُ «بيكون» و«مل»، وقد جعل « آير» هذا المبدأ مِعياراً لتَمييز القَضايا التي لها معنى، من القضايا عديمة المعنى (و هُوَ يقصِدُ القضايا الميتافيزيقية)، أي أنّ مبدأ إمكان التَّحَقُق عِند «آير» يُعَدُّ موقِفَهُ مِن نَظرية المعنى، تِلك التي تبْحَثُ في مِعيار الحُكم على صِدق قضية ما لِتَمييزِها مِن القضيّة الكاذِبة.[4]

ومنه يُمكِن صياغة فكرة خُلُو القضية الميتافيزيقية من المعنى واعتبارِها أشباه قضايا، في القياس المنطقي الآتي:

(1) محمود، زكي نجيب، المنطق الوضعي، المرجع السابق، ص، 17.

(2) عوض، عادل، منطق النظرية العلمية المعاصرة، وعلاقتها بالواقع التجريبي، دار الكتب والوثائق العلمية، الإسكندرية، مصر، د(ط)، 2000، ص، 288.

(3) المرجع نفسه، ص، 289، نقلاً عن منطق الكشف العِلْمي، كارل بوبر، ص، 20.

(4) محمود، فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العِلْمي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1966، ص، 189.

- كلّ قضية لا يُمكِنُ التَحَقُّق من صِحتِها بالرجوع إلى الوقائِع الملاحظة هِيَ شِبْه قضيَّة.
- القضايا الميتافيزيقية هِي مِمّا لا يُمكِنُ التحقُق مِن صِحتِّهِ بالرجوع إلى الوقائِع الملاحظة.
- إذن فالقضايا الميتافيزيقية أشباه قضايا.[1]

إذن فمِعيار القابلية للتحقق لا ينصّب إلاّ على القضايا القابلة للاختبار التجريبي، وما عدى ذلِك فهِي عبارات خارج دائرة العِلم، أو مُجرّد أشباه قضايا. فكطُلّ ما يَكْمُنُ مِن حيث المبدأ خلف نِطاق الخِبرة المُحتملة، غير قابل لأن يُقال أو يُفكّر فيه أو يُسأَل عنْهُ كما يرى «كارناب، وبالتالي يُعتبر منهج القابلية للتحقيق هو المنهج الذي يُحقِّق معنى القضية. لهذا نَجِده يُميّز بين **نوعين من التَّحقيق:**

الأوّل: التحقيق المباشر (الكُلّي أو القوّي): وهو الذي يتِّمُ فيه البرهنة على صِحة القضية أو فسادها بناءاً على الرجوع إلى الوقائع والملاحظة والخِبرة الحِسّية.

الثاني: التحقق الغير مُباشِر (الجُزئي أو الضعيف): وهو الذي لا يُمكِن التحقق من صِدق قضياه أو كذبها مباشرة، وذلك لاعتبارات عِدّة أبرزُها كَون مضمون العِبارة ميتافيزيقي ليس له دَلالة حِسّية.[2]

إذن العِبارات التي ينبغي أن تكون موضوع اختبار وتحقق، هِي القضايا العِلْمِية لا غير. ومن هذا التحليل نخلُصُ وكما يقول «كارناب»، إلى أنّهُ «إذا كانت (س) كلِمة وكانت(ص) الجُملة الأولّية التي تَرِدُ فيها، فإنّ كِلا مِن الصِيغ التالية التي تقرّر الشيء نفسه تحدّد الشروط الضرورية التي تكفَل استحواذ (س) على معنى:

1- معرفة مِعيارِها الإمبريقي.
2- اشتراط القضايا البروتوكولية التي تستَلْزِم ((ص س)).
3- تثبيت شروط ((ص س)).
4- معرفة منهج التحقق من ((ص س)).[3]

ونظراً لِعجز الكثير مِن المُفردات الميتافيزيقية على استيفاء هذه الشروط، فإنّنا نُجزِم بِخُلُوّها مِن المعنى، وبالتالي فإنّ القضايا التي تحويها، هِي جُمل زائِفة. هذه في مُجملِها ، الشروط التي تُحَقِّقُ المعنى عِند الوضعِيون المناطقة.

(1) زكريا، ابراهيم، دراسات ف الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، د(ط)، 1986، ص،31.
(2) لطفي بركات، جمعة، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، تقديم: زكي الفتوح رضوان، دار النهضة العربية، القاهرة، د(ط)، 1968، ص،17.
(3) ردولف، كارناب، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة، نقلاً عن: نصوص مترجمة مِن كتاب: كيف يرى الوضعيون الفلسفة، للناشر أي جي مور، ترجمة وتقديم، نجيب الحصادي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط1، 1994 .

الفَصْل الثَّاني:

« فتجنشتاين» وأثَرُهُ على بِنْيَة الخِطاب الإبستيمولوجِي والميتودولوجي للتجريبية المنطِقِية.

ـ مدخل عام:

- **المبحث الأوّل:** « التَيّار التّحليلي: الروح المُطْلَق للفلسفة النّمساوية».
- **المبحث الثاني:** التراكتاتوسLe Tractatus » » وانعكاساته على البِناء القاعِدي للفلسفة التجريبية المنطقية.
- **المبحث الثالث:** التّحليل المنطقي والقابلية للتحقُق بين «فتجنشتاين» والتجريبية المنطقية «- دِراسة مُقارِبة -
- **المبحث الرابع:** «الأبحاث الفلسفية» ومنطق اللغة عِنْدَ التجريبية المنطِقِية - جدلِية العَوْد والتَجَاوُز-

مدخل عام:

حينما نتَحَدَّث عَنْ أَهَّم انجازات»النّهضة المنطقية والتّحليلية المعاصرة»، سنَخوض لا محالةَ في المَسائِل التي تناولَت أبرز الأفكار المنطقية التي مَيّزت تِلْك الانجازات والتِّي ظَهَرت في نِهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العِشرين: كالنّفسانية المنطقية عند «ميل»، والاتّجاه الجَبري عِنْد «بول»، والنّزعة اللوجستيقية عِند «فريجه»، وتحليلات «راسل» المنطقية. هذا الأخير الذي كانَ أبرز فلاسفة التّحليل المنطقي اللّذين كانت تربِطُهُم بالفيلسوف «فتجنشتاين» علاقات صداقة، تطوّرت فيما بعد إلى علاقة الأستاذ بِتِلميذه، حيث أنّه (أي»فتجنشتاين») قضى ثلاثة سنوات في صُحبة «راسل» وكتِلميذ لَهُ.

انطلاقاً مِن هذا، كانت مسألة الخَّوض والتناوُل للفلسفة التّحليلية المُعاصرة وكَيفيَة توظيف مفهوم التّحليل لَدَيها، بالإضافة إلى أهّم الأفكار التي نادَت بها، وطريقة «راسل «في التّحليل، وأثرُهُ على «فتجنشتاين» في تناول التّحليل المنطقي للغة في «الرسالة»، وما قدَّمَهُ هذا الأخير مِن نَظريات هامّة أقَّرَ بِها في رِسالتِه: كالنّظرية التَصويرية للّغة، ونَظرية المعنى، وعلاقة الفكر باللغة، والمنطق بالميتافيزيقا، واللغة بالوقائع، كُلُّها شَكَّلَت مَسائِل أساسية في بحثِنا. إلاّ أنّ موضِعَ اهتِمامِنا وتركيزنا سَيَكونُ مُتَمَحْوِراً بِدرجة كُبرى، حول علاقة «فتجنشتاين» بالوضعية المنطقية، وكيف طوّرت هذه الجماعة منهجُهُ في التّحليل، والأثر الذي مارَسَتْهُ الرسالة في مبدأ التّحَقُق عِندهم، هذا مِن جِهة، أمّا مِن جِهةٍ ثانِية فسَنُبْرِز جَدلِية العَوْد والتجاوُز التي ميّزَت النقْلَة الثانية لِفتجنشتاين في «الأبحاث الفلسفية» ومنطِق اللُّغة في الفلسفة التّجريبية المنطقية. إذ اعتبِرَ كتاب «بحوث فلسفية» كنموذج ناضج لِمنهج التّحليل لدى «فتجنشتين» لهذا التّطور، فلقد تطرَقَ عبر هذا المؤلّف إلى أهَّم النّظريات التي اعتمد عليها هذا الكتاب كنَظرية المعنى في الاستخدام، ونظرية الألعاب اللُغَوية.

لقد جَعَل «فتجنشتاين» مِنَ الفلسفة طريقة مِن التّحليل وأداة مُثلى لِلتوضيح المنطِقِي للفِكر واللُغة وكشف الحقيقة، والتي حوّلها عَن مَسارِها المُطلَق والثابِت، وجعلها تابِعةً للمسار والسِّياق الذي تَرِدُ فيهِ. لذلك كانت فلسفة الذّرية المنطِقية، أي فلسفة «راسل» و»فتجنشتاين» المبنِية على المنطِق تسعى نحْوَ تقديم مِنْهاج للعُلوم المختلفة، حيث حاوَل دُعاة هذه الفلسفة تَحقيق ذلِك مِن زاويتين: الأولى تمثّلت في اتّخاذ التّحليل المنطقي واللُّغَوي كأداة لِفهم طبيعة الكَوْن والأشياء. أمّا الثانِية فكانت تهدِف إلى تطوير جِهازنا الفِكري مِن خِلال تطوير لُغة سليمة ودقيقة نستطيع أن نُعبّر بِها عن أفكارِنا ونَصِفُ بِها الأشياء في العَالَم وَصْفاً عِلْمِياً دقيقاً.[1](1)

(1) [1]–عبد اللّه محمد توم، (المُحاضر بجامعة الخرطوم وجامعة صنعاء)، انظر مقدمة كتابه: المنطق واللغة والواقع دراسة في

إنّ المُتَتَبّع لِخُصوصِية العلاقة التي كانَت ترْبِطُ الفيلسوفين: البريطاني «راسل» والنّمساوي «فتجنشتاين»، يكتشِف حقيقة الجِدال الفِكري الذّي ميّزَ الخِطاب الفلسفي الدائِر بينهُما. إذ كان لِذِهن «راسل» الفعّال الفَضْلُ في إثارة تِلْك التّساؤلات في فِكر «فتجنشتاين، خاصّة في مَرْحَلتِهِ المُبَكّرة، والتي غالِباً ما انتهت بِتقديمِهِ لِجُملة مِن الحُلول والإجابات البديلة للتّي قَدّمها «راسل» حول بعض الجوانب في فلسفتِهِ الذّرية المنطِقية. لِتبقى مسألة التّحليل هِي المسألة الأساسية التي طبَعَت فِكر هذين الفيلسوفين. لقد امتازت ذَرِيّة «فتجنشتاين» بالدِّقة والتفصيل والاتّساق، فهِيَ لم تأتي إلاّ لِتُكَمّلَ مُقترحات «راسل» وبرنامَجِهِ ولِتَحُلّ تِلك الصُعوبات التي جعلت مِنَ التحليل الذي اقترَحَهُ «راسل» للغة شيئاً لا ينطَبِق على بعض الحالات مِن أهَمّها: القضايا السالبة، والقضايا القَصْدِية ثُمَّ القضايا العامّة، إذ استعصت تِلْك القضايا على التّحليل المُقترح مِن طرف «راسل» بحيث أنّ تحليلِها فيما يبدوا لا ينتهي بِنا إلى الذَرّات أو الوقائع الذَرّية .[1][2]

هذه إشارة إلى ما كان يربِط «راسل» بِفتجنشتاين فلسفياً، سنزيد في تفصيل ذلك في عناصِر لاحِقة خاصّة بهذا الموضوع.

أمّا فيما يتعلّق بِالمُنجزات الكبرى لِفتجنشتاين حول قضايا التّحليل المنطقي للغة، فإنّ الحديث والخوض في هذه المسألة الصارِمة، يدفَعُنا وكمدخل رئيسي لها، إلى القول بأنّ هذا الأخير قد عَمِل على تطوير فَلسفَتَيْنِ مُختلِفَتَيْن في اتّجاهِهِما لِدرجة أنّ الكثير مِن الدِراسات لَهُما، وعِنْدَ ذِكْرِ خَصائِصِهِما، فإنّهُما يُلَمّحَان لِوجود قَطيعة بَيْنَهُما،إلاّ أنّنا سَنَكْشِفُ عن حقيقة العلاقة بَيْن المرحلتين وعَنْ ما إذا كانَت الثانية استكمال للأولى أم لاَ، عَبْرَ العَرْض الذي سنُقَدّمُهُ لاحِقاً.

أمّا الفلسفة الأولى لِفتجنشتاين، فقد عَرَضَها في كِتابِهِ «الرِسالة المنطِقية – الفلسفية» الذي نشَرَهُ في حياتِهِ سنة 1919م واشتُهِرَ بِهِ، أمّا المرحلة الثانية مِن تفكيرِهِ الفلسَفِي، فَميّزها مُؤَلّفُهُ «أبحاث فلسفية» والذي نُشِرَ بَعْدَ وفاتِهِ سنة 1953م، والذي كان بمثابة نقطة تحوّل كبرى في فلسفتِهِ.

لقد كانت انجلترا عموماً و« كمبردج» بالخصوص مركزاً للحركة الفلسفية التّحليلية، وكان «مور» و«راسل» ثُمَّ «فتجنشتاين» قادّة تِلْك الثورة الفلسفية التي عُرِفَت باسم «الفلسفة التّحليلية» ـ[1][2]هذه الأخيرة، طالما وَجَدَ الدارسون لها، صُعوبة في تحديد وتقديم تعريف

فلسفة الذّرية المنطقية عِند كُلٍّ من راسل وفتكنجنشتاين ط1، 1987، ص، ص، 05، 06.

(1) المرجع نفسه، ص، ص، 64، 66.

(2) A. J. Ayer, ''Logical Atomism, Russell and Wittgenstein '' - The Revolution in Philosophy - Macmil-

دقيق لها. وذلك لاعتبارات كثيرة لعلَّ أبرزُها إمكانية حَصْرِ جَميع خصائِصِها في عِبارة واحِدة تُحَدِّدُ ماهِيَتَها في تعريفٍ جامِعٍ مانِعٍ كما يقول المناطِقة. فليس هناك في الواقِع اتِّفاق عام حتّى على الاسم الذّي يُمَيِّزُ تِلْك الحركة الفلسفية، فتُسّمى « التّحليل اللُغوي « حيناً، و» التحليل المنطِقي» أحياناً، وكانت تُسّمى في مرحلة مِن المراحِل باسم «فلسفة مدرسة كيمبردج»، وتُسّمى الآن في تطَوُّرِها الأخير «فلسفة أكسفورد» أو « فلسفة اللُّغة الجارية»ـ[2](1)

لقد توَجَّهَ مُعْظم أعلام الفلسفة التّحليلية نحوَ وَصف الكثير مِن مُشكِلات الفلسفة انطِلاقاً مِن تاريخِها العريق إلى راهِنِها، بأنّها في مضمونِها مُجَرَّد قضايا وهمِية وزائِفة، فَهِي لا ترتقي إلى مصَّف المُشكِلات الحقيقية.

هكذا فُتِح باب الدَّعْوى التي رَفَعَها فلاسِفة العِلْم والمنطق واللُّغة، والتي مفادُها أنّ العديد مِن المُشكِلات الفلسفية التي طُرِحت عبر مسار حركة الفِكر الفلسفي، استعصى وجود حَلّ نِهائي فاصِلٌ فيها، ويرجِعُ ذلك كما يرى «فتجنشتاين» في كِتابِهِ «تحقيقات فلسفية»ـ إلى سُوء استخدامِنا وإدراكِنا لِمنطق لُغَتِنا.فَفي رأيِهِ كُلَّ المَشاكِل الفلسفية، وليست مَشاكل فلسفة الذّرية المنطقية وَحْدَها من النَّوع الذّي نَكُونُ فيه أَسْرَى صُور مُعينة تُؤدي بِنا إلى طريق مُحَدَّد وغير سليم. إذ يَصِفها(أي المشاكل الفلسفية) بِشكل عام بأنها مَشاكل غَيْر واضحة، فَهِيَ مَشاكل مُمَوّهة، تبْعَثُ بالباحِث فيها إلى ظَلال الطريق، وهذا بالنِّسبة إليه (أي «فتجنشتاين») ليس عَن جهل،لأنَّ المَشاكِل الناشِئة عَنْ عَدَم مَعْرِفتنا بأشياء مُعَينة- كما يقول- ليست مشاكل فلسفية .

فمِن وقتٍ لآخر وعَبْرَ مسارِهِ الفلسفي، ظَلَّ «فتجنشتاين» مُقتنِعاً وواثِقاً بِفِكرة أنَّ جُل المشاكِل الفلسفية، تَعودُ إلى سوءِ فَهْمٍ لِـ «منطِقِ لُغَاتِنا» والتّي يَجِبُ حسبه إيجاد حُلول لها (أو بالأحرى ضرورة إبعادها)، وهذا لا يكون بِتقديم تفسيرات عِلْمِية أو أشباه عِلْمِية لها، وإنّما بِتحديد أو وَصْف صَحيح لِهذا المنطِق. انطِلاقاً مِن هذه الرُؤية فإنَّ القَّوْلُ بِـ «فلسفة للغة»عِنْدَ «فتجنشتاين، هُو قول زائِف، لأنَّ هَدَفَهُ الأسمى والمُتجَلِي لَمْ يَكُن بِناء نظرية في اللُغة أو فلسفة لها، ولَكِن فقط إيجاد حُلول للمشاكِل الفلسفية عُموماً، بِما فيها مشاكِل فلسفة اللغة. وذلك بالتَّحليل لِوظائِف (أو انتظام سير) مُختلف عِباراتِنا اللُغوية الغير مُسلّم بِها (أو الغير مُفترضة)، وإنّما على العكس تِلْك التّي اعتبرت قبلِياً كعائِق يَنبغي تَجاوُزُه، هذا ما نُسّميه عادّةً «فلسفة اللّغة» أو على العُموم ما نسعى إلى قَوْلِهِ على اللّغة «حينَما نَتَفَلْسَف»ـ[1](2)

---

lan Co., 1957, P. 41.

(1) مهران، محمد، ، فلسفة برتراند راسل، دار المعارف ، القاهرة، مصر، د (ط)، 1976، ص، ص، 09، 10.

(2) Jacques Bouveresse, HERMÉNEUTIQUE ET LINGUISTIQUE, suivi de WITTGENSTEIN ET LA PHILOSOPHIE DU LANGAGE, Éditions De L'ÉCLAT, 30250 combas, 1991. P. 73.

لقد صارت مُهّمة الفلسفة الأجدر هُنا، هِي التّحليل بأكمل صُوَرِهِ، وعلى حدِّ تَعبير «فتجنشتاين»، فإنَّ هَدَفَ الفلسفة - كما يَجِب أنْ تُمارس في رأيه – هو» إعادة الكلمات مِن استخداماتها الميتافيزيقية إلى استخداماتها اليومية، ويُعتبر كتاب «تحقيقات فلسفية»Investigation philosophique- كما يرى الدكتور «رشيد الحاج صالح» في كِتابِهِ»المَنطِق واللُّغة والمَعنى في فَلسَفة فتجنشتاين»- أوّل كُتبهُ في موضوع فَلْسَفَتِه الجديدة ،أي «فلسفة التّحليل اللُّغوي»- ، لَكِنَّهُ لم يَظْهَر للوُجود إلاَّ بَعْدَ وَفاتِه عام 1953م كما سَبَقَ وأن أشرْنا.

إلاَّ أنّ تلامِذَته والمُهْتَمُون بالفلسفة في انجلترا ، وبالعموم المُتابعين لِمحاضراته ، كانُوا مُنذ بداية تَحَوُّلِه الفَلسَفِي على عِلْمٍ بآرائِهِ الفلسفية الجديدة. هذا التّحوُّل كان لَهُ الأثر الكبير على مدرسة التَّحليل أو فلسفة التّحليل في انجلترا، رُغْمَ المُعارضة الشديدة التي تَلقَّتْها فلسفتُه داخل انجلترا، خاصّةً تِلْك الانتِقادات التّي مثَّلَتْها تيّارات ما بَعد- الوضعِية المنطِقية، والتي تُعْتَبَر اعتِراضات الفيلسوف « كارل بوبر Karl Popper « مِن أبرزِها.

إلاّ أنّ ما يَهُمُّنا هُنا، ليس التناوُل لذاك الخِطاب الانتِقادي لفلسفة «فتجنشتاين» في شَقَّيْها المنطقي والابستيمولوجي، لكن توضيح مدى الاتّصال الذي كان يربِطُ بَيْنَ هذا المنطقي والفيلسوف مع الخِطاب المعرفي والسَّيْر المَنْهجي الذي كانت تُمارِسُ فيه « التّجريبية المنطقية» أو الوضعية المنطقية فَلسَفتها. هذه الأخيرة والتي ارتبطت بِجماعة «فيّينا»، استعانت بأداتين حاسِمتين في تأسيس قواعِدِها الفلسفية، واللّتَان شَكَّلَتا أبْرَز نِقاط الوِصال بَين فلسفة «فتجنشتاين» الأولى بالخُصوص وفلسفة الوضعيين المناطِقة أو لِنَقُل فلسفة «حلقة فيّينا» وهُما:

أ. تحليل اللغة وعلاقتها بالعالَم الخارجي، والأمر هُنا ليس مُقتَصِراً على لُغة الحياة اليومية فَحَسْب، بل اللُّغات العِلمية أيضاً.الأمر الذي زادَ في تقوية الصِّلَة بين الفلسفة ومُختلف العُلوم الإمبريقية، وتَحقيق ما يُسّمى بِوِحدة العِلْم، لأنّ الرابط هُنا بَيْنَهُما هُوَ التَّجريبية.

ب. الاستعانة بِآلِيات كُلٍّ مِنَ المنطق الرمزي والرياضيات، بِحيث أنَّ صلابة ووُضوح وعدَم تناقُض المعرفة التّجريبية، تكون مُرْتَبِطة بِمدى تَمَسُكِها بِتِلْك الآلِيات، وذلك عن طريق اختيار بعض المفاهيم الأساسية البسيطة وتعريف المفاهيم المُعقدة بِواسطتها حتى يتم بناء المعرفة العلمية الموضوعية. هكذا دَعى أنصار الفلسفة التّجريبية المنطقية إلى ضرورة اشتقاق النَظَرِيات العِلْمِية مِن قاعدة تَجريبية مُعَيَّنة، وكان ذلِك وِفق مبدأ تَحقيق المعاني.و مِنْهُ جاءت فِكْرة التَسليم بِأنّ»الميتافيزيقا» التي حَكَمت التفكير الفلسفي لِعُهودٍ مِن الزمن، ما هي إلا نتيجة أخطاء في منطق التَّركيب اللُغوي لِعباراتها.فكان مِن نتائِج

التسليم بهذا المبدأ، أن تَوجّهَ الوضعيون المنطقيون إلى رفض الميتافيزيقا التّقليدية على أساس أنّها قضايا خالِيةٌ مِنَ المعنى، بِناءاً على ما أثبَتَتْهُ المُمارسة المَنْهَجية لِمبدأ التّحقُق التّجريبي عليها.

هكذا حَكَمَت «الرسالة» العديد مِن المُناقشات التي دارت داخِلَ «حلقة فيّينا»، وهذا «موريس شليك» نفسُه يَشْهَدُ بِذلِك، حيث نظَرَ إلى مفهوم الفلسفة الذي عَرَضَتْهُ الرِسالة على أنَّهُ نُقْطة تَحَوُّلٍ هامّة في تاريخ الفلسفة.

أمّا فيما يَخُصُّ استِخدام « التّحليل المنطِقي» عِنْدَ «دائرة فيّينا» (أو في الفلسفة التّجريبية المنطِقية) فقد تَمَّ بِصورتين: **الأولى** صورة سِلبية، حيث مِن أدَّق أهداف دائرة فيّينا استِبعاد القضايا الميتافيزيقية مِن العُلوم الطبيعية والرياضيات والمعرفة الإنسانية بوجهٍ عام، أمّا **الثانية** فصُورَة إيجابية لِتوضيح تصورات ومناهِج العُلوم، وبَيان كيف أنَّ المعرفة الإنسانية كَكُلٍّ صَدرَت عَن مُعطيات الخِبرة.ـ[1] بالنِّسبة للصُورة الأولى، أي السّلبية فقد بدأت معالِمُهُ معَ نَصِّ البيان الذّي نَشَرَهُ كلّ مِن «هانز هان» و«أوتو نويراث» و« رودولف كارناب» لِرابِطة « آرنست ماخ» في عام 1929 م، تحت عُنوان: «التَصوّر العِلْمي للعَالَم» حيث يقول البيان أنّ «المجموعة تَتَألَّف مِن أشخاص تَجْمَعُهُم موقِف عِلْمي أساسي واحِد»، وكان المقصود، ردّاً ضِدَّ انبثاق الفِكر الميتافيزيقي واللاهوتي، وضِمن خَط «روح الأنوار»، إدخال الدِّقة التي تمتازُ بِها علوم الطبيعة إلى نظرية المعرفة.هذا المشروع تَصَوَّرَهُ واضِعُوه، بِوَصْفِهِ مَشْروعاً «مُضاداً للميتافيزيقا» بالمعنى الذي قَصَدَهُ «ماخ» في كِتابِهِ « مُلاحظات ضِدَّ الميتافيزيقا».ـ[2]

هكذا كان الاتّفاق الجِذري عِند هذه الحلقة على أنّه لا ينبغي لِهذا المشروع القائِم حول « التَصَوُّر العِلْمي للعَالَم» أن يَحمِلَ في طيّاتِهِ ألغازاً لا تَعْرِف الحَّل.«فالأصل المنطقي للأخطاء والأوهام الميتافيزيقية يوجد في الاستخدام الناقِص للغُة: وحَوْلَ هذه النُقطة الأساسية، يُقِرُ واضِعُو البَيان بأنّهُم مَدِينِين لِـ: «راسل» و«فتجنشتاين».»[3] إنّهُم بِذلِك يَرَوْنَ في « التّحليل المنطِقي» الأداة المُثْلى التي تُساهِم في التَغَلُّب على الميتافيزيقا بِمعناها الدّقيق للكلِمة (هُم يقْصِدون الميتافيزيقا الكلاسيكية أو السكولاستيكية وميتافيزيقا المِثالية الألمانية).

(1) بوبر، كارل، منطق الكشف العِلْمي، ترجمة: ماهر عبد القادر محمد علي، دار النهضة العربية للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، صن 15.

(2) برتران سان-سرنان، العقل في القرن العشرين، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ص، 188، نقلاً عن:

A. Soulez, Manifeste du Cercle de Vienne et autres écrits, Carnap, Hahn, Neurath, Schlich, Weismann Wittgenstein, éditions Puf, 1985, p. 108-109.

(3) برتران سان- سرنان، العقل في القرن العشرين، المرجع السابق، ص، ص، 190، 191.

أمّا بالنِّسبة للصورة الايجابية، والكامِنة جوهَرياً في توضيح التَصَوُرات ومناهِج العلوم، فهِيَ نابِعة مِن رُوح النّزعة التّجريبية التي تبَنّتها هذه الجماعة، والتي في أصولِها تؤَكِّد أنّ الخِبرة الحِسّية والواقِعِية هِي التي تَحْكُمُ المعرِفة الإنسانية. كما أنّ تحقيق›› وِحدة العِلْم « لا يَتِّمُ إلاّ بِفضل تسليط الضَّوء على الأسُس الفلسفية التي تَحْكُمُ المعرِفة ومناهِجها. فالمسائِل الفلسفية المُستعصِية على الحّل متى أُخْضِعَت أو بالأحرى تَمّ تَحْويلها إلى مسائِل تَجريبية، تَخْضَعُ لأحكام العِلْم التّجريبي، فإنّه حسب أنصار هذا الاتِّجاه تَصيرُ ذات معنى ودلالة، وبذلك صارَت هذه الفلسفة الجديدة (التّجريبية المنطِقية) محصورة بَيْنَ مَحَكَّيْنِ هُما على التوالي: الفاعِلِية الرَّمزية-المنطِقِية (آليات المنطق الرمزي)، والفاعِلِية العَمِلِية- الواقِعِية (التّجريبية).

فما علاقة التّيار التّحليلي بالفلسفة النّمساوية عموماً وبِفلسفة «فتجنشتاين بالخصوص؟ وما هِي انعكاسات هذه الأخيرة، خاصّة في مرحلَتِها الأولى والتي حكَمَهاَ إنتاج مُؤلفِهِ الرئيسي: «رسالة منطِقية فلسفية››، على البِناء القاعدي للفلسفة التّجريبية المنطقية؟

1. التَيّار التحليلي الروح المُطْلَق للفلسفة النّمساوية»، التَيّار التحليلي الروح المُطْلَق للفلسفة النّمساوية»:

1.1 الفَلسَفَة التَّحليلية (Philosophie Analytique) وأُصُول الفَلسَفة النَّمْسَاوِية.

مِنَ الضَروري وقَبْلَ الخَوْضِ في مسألة العلاقة التي تربطُ الفلسفة التَّحليلية كأبرز تيّار فلسفي، ميَّزَ الفلسفة المُعاصِرة عُموماً وفلسفة القَرْن العِشرين بالخُصوص، والتي لا زالت تأثيراتُهُ مُستمِرّةً حتّى الآن، سَيكون علَيْنا لِزاماً التَّعريف بهذه الفلسفة، وبالدعائِم التي ارتكزّت عليها. بِداية ينبغي أن نُشير إلى أنّ الفلسفة التَّحليلية ومُنْذُ البِداية هِي فلسفة تعدُّدِية، فلم تكُن أبداً مُرتبِطة بأيّ مذهب أيّاً كان نوعُه كما تَقُول مليكة أولباني[1] فبالنِسبة إليها - يُعْتَبر مَنْهَجُها التَّحليلي (التَّحليل) هُو أبرز خُصوصِية تُميّزُها. ولكن تُضيف قائِلةً لا يُمكِنُ الوقوف هنا، فهذا التعريف ينطَبِقُ حقيقة على ما يُمكِن اعتِبارُهُ المرحلة الأولى للفلسفة التّحليلية. فقد كان اهتمام الفلاسفة الذين تَبَنُّوا الذَّرية المنطقية مثلاً وكذلِك «كارناب» في مشروعِهِ حَوْلَ البِناء المنطقي للعَالَم، كلُّهُم ركّزوا انشغالاتِهِم وجوهر مشاريعِهِم في تحليل اللُّغة. فالأمر يتعلّق عِندهُم بالبَّحث عَن العناصِر الأكثر بساطة التي تُؤَلِّف اللُّغة وربطِها بِماَ يُقابِلُها في لواقِع الذي يفتَرِضُ فيها أنّها تُمثِّلُهُ. هذا التَصَوُّر للفلسفة حسب الأستاذة «ولباني -Ouelba ni»، تَطوَّر فيما بَعْد، خاصّةً على يَّد «فتجنشتاين الثاني»، وتحليله للُّغة العادِيّة (الطبيعية)، إلاَّ أنّه وابتِداءاً مِن «مدرسة أكسفورد Oxford» تطوّرت الفلسفة التّحليلية شيئاً فشيئاً وتوقّفت على تفضيل فلسفة المعرِفة[1][2] فَعَبْرَ تَأثير أعْمال «راسل» وكِتاب «فتجنشتاين» «رسالة منطقية فلسفية»، تَسَنّى للفَلسَفة التَّحْليلية السَّيطرَة عَلى الفلسفة البريطانية.

لقد جاء في « لاروس - المُعجم الكبير للفلسفة- LAROUSSE, Grand Dictionnaire de philosophie » أنّ الفلسفة التَّحليلية هِيَ واحِدٌ مِن أكبر التّيارات الفلسفية في الفلسفة المُعاصِرة، حيثُ جاءت كَرَّد فِعْل على النزعة المِثالية (خاصّة الهيغيلية) في نِهاية القرن التاسِع عَشر (XIX)، إذ دافعت عن سُلطة التَّحليل ومَذهب الذّرية (الفيزيائية الذريّة)، بَعْدَ ذلك صَارَ «التّحليل» منهج لُغَوي(منهج خاص باللُّغة)، ومِنه انفتَحت الفلسفة التَّحليلية على مَيادين جِدُّ مُتشَعِبَة ومُتنوِعة، دُون أَن تفْقِد تَصَوُّراتِها(Ses idéaux) حَوْلَ الوّصف، الوُضُوح، والدِّقة.[1][3]

---

(1) هِي مِن مواليد 1953،و هِي تشتغِل في الوقت الحاضِر بتدريس فلسفة المنطق، فلسفة اللغة وفلسفة المعرفة كأُستاذة بجامعة تونس، وأستاذة مُشاركة بجامعة السُربون (باريس 4)، وهِي تُعتبر مَرجعاً أساسِياً في الفلسفة التّحليلية، وواحِدة مِن المُدافعين بِقُوّة عليها.

(2) ولباني، مليكة، الفلسفة التحليلية فلسفة تعدُدّية لا ترتبط بأيٍّ مذهب مقال نُشِر على شكل مُحاورة أجراها معها: جمال حمود، بِمجلّة «أيس»، المرجع الأسبق، ص، 110-109.

(3) LAROUSSE, Grand Dictionnaire de philosophie, sous la directions de Michel Blay, CNRS ÉDITIONS, P.35.

أمّا في الموسوعة الفلسفية لعبد الرَّحمان بَدوي، فقد جاء حَوْلَ هذِهِ المسألَة ما يَلي: «يُقْصَدُ بهذا اللَّفْظ شَكْلان مِن أشْكال النَّزعة التَّجريبية المُعاصِرة هُما: تَجريبية أُكْسفورد، التي تَدور أبْحاثُها حَوْلَ تَحليل اللُّغة العَادِية، والوَضْعِية المنطِقِية أو الوضعِية- الجديدة التّي تَهْتَمُ أساساً بِتَحليل اللُغة العِلْمِية.»[1]

هذا مِن زاوية الضّبط المُعجمي لهذا المُصطلح، الذي لا يكفي إلى توضيح معالِم وأبعاد هذه الفلسفة، غير أنّهُ يُحَدِّد لنا، أُصول التسمِيّة لها، انطِلاقاً مِن ارتِكازِها على منهج «التحليل» كمُمارسة لِنشاطاتِها الفِكْرِية الفلسفية. ولَكِن لإعطاء هذا المفهوم صورتُهُ الحقيقية التي تأسّس لِغرضِها، يَجِبُ في رأينا رَبطُهُ بالسِياق العام للفكر الفلسفي الذي أنتجَهُ. وهُنا رأينا بِرُغْم وُجهات النظر الكثيرة التي دارت حول هذه المسألة، حيث يُصنِّف البعض مِن المُهتمين بهذا الحقل الفلسفي، على أنَّهُ تيّار فلسفي جَسَّدَتْهُ الفلسفة الأنْجلُوسَكْسُونية (أي الفلسفة الإنْجلِيزية والأمريكية في بعض جوانِبِها). إلاَّ أنّنا وبِحُكْم تعامُلِنا مَع هذا النَّمط مِن التَّفكير الفلسفي، سَنسعى لأن نَكُون مُنصِفين في حَقّ هذه المَسألة(أي المَرْجَعِية الفِكْرِية والفَلسفِية لِهذا التيّار الهام) إذ سَنَقِ بِحضرة الطرَف الآخر مِن القضِيّة، مِن خِلال تَتَبُع سير الرُؤية المُقابِلة والتي ترى أنّ نَشْأتِها (أي الفلسفة التحليلية)، كانت في مَهْد الفلسفة الألمانية(Le Berceaux de la philosophie Allemande) عموماً والفلسفة النَّمساوِية بالخُصوص. فما هِي استدلالاتُنا في ذلِك؟

- الفلسفة التَّحليلية، نشأت مِن خلال عَملية الانتقادات التي مَارسها كلٌّ مِن «فريجه» في ألمانِيا، وأيضاً «بْرَنْتَانُو Brentano « في النَّمْسا، وعِند «راسلRussel» و«مور Moore» في بريطانيا(إنجلِترا)، على «التجريبية الطبيعية L'empirisme naturaliste « والمِثالية الهيغيلية، والتي قَادَتْهُم إلى التأكيد على أولوِية التَّحليل المنطقي لِمُكَوِّنات الفِكر أثناء عَمَلِية التَّركيب[2].
- يُعْتَبَر «فريجه»(1848م/ 1925م) وهُوَ مِن أصُول ألمانِيَة طبعاً المُؤسِّس الفِعْلي للمدرسة المَنطِقِية المُعاصِرة، ويرجِع إليهِ الفَضْل في تطوير الطريقة التّحليلية في المنطِق واللُّغة. وهِي الطريقة التي أصبحت في الفلسفة المُعاصِرة الأسلوب العِلْمي في البَّحث الفلسفي. وكانت أهّم أبحاثِهِ مُرتكِزةً حَوْلَ مسألة التّطوير لِطريقة جديدة في التّحليل المنطِقي لِمفاهيم الرِياضِيات والمَنْطِق.[3]

(1) بدوي، عبد الرّحمان، موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسّسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص، 162.
(2) LAROUSSE, Grand Dictionnaire de philosophie, op.cit. P. 35.
(3) خليل، ياسين، مقدّمة في الفلسفة المُعاصرة، دراسة تحليلية ونقدية للاتجاهات العلمية في فلسفة القرن العشرين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2011. ص، ص، 29-27.

- الفلسفة التحليلية لم تَكُن محصورة في اللّسان الإنجليزي (بالمعنى الذي يحمِلُه مُصطلح «لِسان» عِند اللُغويين المُعاصِرين) إذ أنّ «فيينّا» كمدينة لا تخرُج عن إطار الموقِع الجُغرافي للقارّة الأوروبية، وكما نعلَم أوروبا لا يُمثِّلُها اللِسان الناطِق بالإنجليزية فقط. لِنَقُل بِبساطة تقول «مليكة ولباني» أنّ الفلسفة التّحليلية هِي لأوّل وَهْلَة فيينّاَ وكَامبردج، أيْنَ كان المُناخ الفِكْري والثقافي وكذا السِياسي مُلائِماً لميلاد وتَطَوُّر فلسفة عَرَفَت كَيْف تَرْبِطُ التَّجريبية بالمَنْطِقية، ثُمَّ انتشَرت بَعْدَ ذلِك في كُلِّ أوروبا، في الولايات المُتحِدّة الأمريكية، وحتّى في تُركيا بِفَضل ريشنباخ.[1][2]
- المُنعطف الأوّل الذي شَهِدتْهُ الفلسفة التحليلية، والذي أكَّدَ على أولوية تحليل اللُّغة، ولِلمعاني الخاصّة بالوُجود كان نتيجة التأثير القّوي الذي تلَّقَتْهُ الفلسفة التحليلية مِن طرف فَلسفة «فتجنشتاين» وحلقة فيِّنا، وبالأخَّص في آفاق الوضعية- الجديدة حول توحيد لغة العِلْم، والتي ترجع إلى نحو منطِقي واحِد.[2][3]
- لا نستطيع أنّ نكشِف عن معالِم ابتعاد الفلسفة التحليلية عن الأطروحات التي كان يَتبناها الاتجاه الذي مثّلَ الفلسفة النمساوية أي «الوضعية المنطِقية»، إلاَّ بعدَ سنّة 1960. حيث أقَرَّ هذا التيّار بِتَعَدُدية مناهج (أو طُرُق) التحليل، إذ أعلن (التيّار الجديد في الفلسفة التّحليلية) عن اكتشاف عناصِر بسيطة للحقيقة (للواقع) أو للُغّة، لِيُعْلِنَ مع «كوينQuine» عن أشكال للكُلِّية (Des Formes de Holisme) ومع «هانتيكا» J.Hintikka» و»دافيدسون» D. Davidson و»لوفيس D.Lewis ، و»كريبك» S. Kripkeموقِفاً أقَّلَ عَداءاً مِنَ الميتافيزيقية.[3][4]
- بالمُوازاة لهذه الفترة مِن التَغيير والتطوُّر، انفتحت الفلسفة التحليلية وبِصورة كبيرة على موضوعات أكثر تقليدية، كالأخلاق والفلسفة السياسية وعِلْم الجمال، أين فقَدَت قليل مِن وِحدتِها. مُولعةً (مُلْهمة) بما حقّقتْه عُلوم الإدراك أو المَعْرِفَة، وبطُرُقِها العقلانية في البرهنة، والتِّي تُعطي الأولوية للوصْف، وإلى التَّوضيح، بِخِلاف الكتابة التلفيقية (التي تحاوِل التوفيق بَيْن المذاهب) وجهود تَجميع التاريخية التي أخصبت(أغْنَتْ)فلسفة التقليد الألمانية والقارّية ـ[1][4]

لهذا ينبغي أن نبيّن أنّ الفلسفة التحليلية ليست فلسفة مذهبية، ولا فلسفة تُؤمِن باكتمال معارِفِها، فهِي كما تَصِفُها «ولباني» في مُحاوراتِها وكتاباتِها، فلسفة التَعَدُّد، فهِي

(1) ولباني، مليكة، الفلسفة التحليلية فلسفة تعدُدّية لا ترتبط بأيِّ مذهب المرجع السابق، ص، 110.

(2) LAROUSSE, Grand Dictionnaire de philosophie, op.cit. P. 35.

(3) IBID. P.35-36

(4) LAROUSSE, Grand Dictionnaire de philosophie, op.cit. P. 36.

مُتطورة باستمرار، مِمّا يُفسِّر تجاوُزها لمبدأ الصرامة المنطِقية، التي كثيراً ما اعتمدتها الفلسفات المُعاصِرة لها كالوضعِية المنطِقية مثلاً، والتي بقِيت وفِيّةً في الكثير مِن جوانِبها لمبدأ الضرورة المنطِقية. ولهذا فإنّ ما اهتمّت بِهِ الفلسفة التحليلية في الحقل الفيلولوجي، بحيث جعلَته مِنْهُ موضوعاً للتحليل هُوَ لُغَتنا العادِية (أي الطبيعية)، لأنّه حسب مُمَثِّلي هذا التيّار الفلسفي، اللُّغة الكامِلة (المِثالية) لا وُجود لها. فَمِنَ المُهِمِ إذن – تُضيف «ولباني» – أن نتَتَبَعُها في تطوُرِها المُستَمِر والذي جَعَلَها تكون دائِماً فلسفة للحاضِر.

1.1 «فتجنشتاين» و«حلقة فيينا» – دِراسة في مَنابِع التَأثُّر-

إذا ما أردنا الحديث عن ركائز الفلسفة النمساوية في بداية القرن العشرين، وبالذّات في سنوات العشرينيات مِن هذا القرن، سيكون لِزاما علينا إدراج ألمع أسماء الفلاسفة الذين ميّزوا هذه الفترة، إنّه «لودفيج فتجنشتاين» إضافة إلى جُل الأعضاء الرسميين الذين شَكَّلوا «حلقة فيينا» أمثال: «موريس شليك»، «أوتو نويراث»، و«رودولف كارناب». كلّ هَؤلاء، جَمَعتهُم علاقات وتقاليد، سَمحت بالتقاء أفكارِهِم وإمكانية تصنيفِهِم في إطار ما كان يُسّمى آنذاك بِالفَلسَفة النَّمساوِية «La Philosophie Autrichienne». إلاّ أنّه يَجْدُرُ بِنا في هذا المقام أن نُشير إلى ملاحظةٍ هامّة، هِي أنّ مُعْظَم الذّين مَثَّلوا هَذِهِ الفلسفة، لَيْسُوا في أُصُولِهِم مِن النَّمْسَا(البَلَد) كما تقول مليكة أولباني[1] ، فَـ«كارناب» و«شليك» ينحدِران مِن أصول ألمانية، كما نجِد نمساويين أنفُسهُم كَـ: «فتجنشتاين» و«كارل بوبر» يُصَرِّحون أنّهُم بَنُوا وضعِيتَهُم وحقَّقُوا نجاحات كُبرى خَارِج النَّمْساَ وَطَنَهُم الأُم. إذن السُؤال المَشْرُوع هُنا: لِماذا القول بِوجود فلسفة نمساوية؟ أو فيما تكمُن أهميّة السؤال عَن ما إذا كان الأمر يتعلَّق بالفلسفة النَّمساوية أو فلسفة النَّمْسا؟ لِهذا يكون تحديد الفترة التي استُخْدِمَ فيها هذا المُصْطَلح هامٌ جِدّا[2]، مع العِلْم أنَّ هذا المُصطلح قد اسْتُعْمِلَ بمعناه الدقيق، في العِشرينِيات مِن القرن الماضي (أي القرن العِشرين) وبالذّات في الفترة المُمْتَدَّة ما بين 1920 م/1930 م. إذَنْ وفي ظِّلِ هذه الفَّترة، ما هِي السِّمات المُشْتَرَكة الأساسية التي سَمحت بِتشَكُّل تِلك العلاقة الفلسفية بين «فتجنشتاين» الأعضاء المؤسِسين لحلقة فيينا؟ هل يرجع هذا إلى الرابِط المَدْرَسي الذِّي شَكّل فلسفتُهُما؟ أم أنّ هذا التَلاقي يَرجِع لِعُنصُر المَصلحَة الواحِدة؟[3]

المعروف أنّ هذه الحلقة، لَم تكُن تُمثِّل مذهباً فلسفِياً بمعن الكلمة، وكانت تُدير جُلّ

(1) La Philosophie Autrichienne, spécificités et influences, Sous la directions de Mélika Ouelbani, Colloque du 04/06 Mars 1999, Université De TUNIS 1, P. 27,28.

(2) D'après K. Mulligan, C'est MAX Schiller, qui a utilisé le premier l'expression de la Philosophie autrichienne en 1922.

(3) Mélika Ouelbani, IBID, P. 28.

أعمالِها على شكل لِقاءات دورية بين أعضائِها، والتي غالِبا ما كانت تنتهي بِخِلافات مُعمّقة بين أطرافِها. كما أنّ «فتجنشتاين» لَم يَحْدُث لَهُ أن حَضَر أي لِقاء من هذه اللِقات التي عقدتها الحلقة، ولَكِن كان يلتقي في العديد مِن المرّات مَع أبرَزِ أعضائِها على انفراد، وخاصّة مَعَ «كارناب» و»وايزمان».[3](1)

إنّ التساؤُل عن طبيعة العلاقة التي تربِط «فتجنشتاين» مع « حلقة فيينا» كمَدرسة مَثّلَت فلسفة الحركة «التجريبية المنطقية»، يفتح أمامَنا المجال للحديث عن نُقطتين حاسِمتين: **الأولى** هِي مُتعلِقة بأمر المرجعية الفِكرية التي استمدّ منها هؤلاء فلسفتهم المُتعلِقة بالشَّق المنطِقي والإبستيمي؟ **أمّا الثانية** فهِي مُتَعَلّقة بتوضيح فِكرة ما إذا كان «فتجنشتاين» مُسانِداً لِجُملة المبادئ المُشكِّلَة للوضعية المنطقية الجديدة والتي هِي الثَّوْب المُتطوّر للتّجريبية المنطِقية كما أوضَحْنا سابِقاً؟

بالنِسبة للنُقْطة الأولى، فإنّه لا يوجد شّك في وُجود اتفاق جِذري في المرجعِية المُشكلّة لفلسفة كُلاً مِن «فتجنشتاين المُتقدِّم أو التراكتاتوسي» ومُؤسِّسي حلقة فيّينا. إذ لَعِبَ المنطِق الحديث أو الرياضي، دوراً جوهرياً في التأسيس لِفَلسفَتَيْهِما، انطلاقاً مِن أسلافِهِم المُتخصِصين في هذا النَّمط مِن المعرفة، وأبرَزُهُم على الإطلاق، نذكُر كُلاّ مِن: «لايبنتز»، « فريجه»، «برتراندراسل»، فكما تقول «مليكة اولباني» مُشكلاتُه (أي فتجنشتاين الشَّاب) كانت مُشْكِلاتُهُم

أمّا بالنِسبة للنقطة الثانية، «فإنّ مسألة علاقة «فتجنشتاين» بحلقة فيينا عموما وبالوضعية المنطقية بالخصوص، ليست بسيطة بالحّد الذي تصوّرَهُ البعض، فلقد طُرِحت الكثير مِن الكِتابات حول موضوع النِزاعات والمُرافعات (الثقافية) التي أثارها «فتجنشتاين» ضِّد «كارناب»»[1](2). ولتوضيح ذلك، وحسب «أولباني مليكة»، ينبغي الإجابة على هذين التساؤلين:

- هل نستطيع القول بأنّ «فتجنشتاين التراكتاتوسي» قد تأثَّرَ بالفِعْل بِكُلٍّ مِن «فريجه» و»برتراندراسل» كَما كانَ هُوَ الشَأن بالنِسْبَة لِجُل أعضاء «حلقة فيينا» كَـ: «كارناب» مَثلاً ؟
- إذا ما غَيَّرْنا النِقاط المِحْوَرية (الرئيسية)، التي شكلَّت بِنْيَة أو هَيْكَل الوَضْعية الجَديدة Néopositivisme، هل سيُوافِقُ «فتجنشتاين» على الاشتراك في هذه النِقاط؟ أو

(1) IBID, P. 28,29.

(2) IBID,P. 29, VOIR: CF. R. Haller, «Wittgenstein était –il néopositivisme?» in le cercle de vienne, doctrine et controverses, klincksiek, 1986.

بتعبير آخر: هل سيَمْنَحُنا «فتجنشتاين» رُخْصة المُوافقة على هذه النِقاط المُغيَّرة؟

كإجابة على الطرح الأوّل، ننْطَلِق مِن قراءة للسؤال، قدَّمَها لنا «فون رايت Von Wright «، والذّي يرى أنّ فلسفة «فتجنشتاين» الأولى، مُنطلِقة مِن إرْث تقليدي عَريق، كان يُميّز الفلسفة الأوروبية، أَيْنَ وَجَد منابِعَهُ عِنْدَ كُلٍّ مِن: «فريجه» و«راسل» وحتّى «لابنتز» كأسلاف لِهذا الإرث. وقد لاحَظ «رايت» أنّ «فتجنشتاين الشّاب»، كان لَهُ مُعلِّمان أو أستاذين: «فريجه» و«راسل» وكما سبق وأن أشرنا سابِقاً بأنَّه وحسب «رايت» نفسُهُ، فإنَّ المُشْكِلات التي كان مُنْشَغِلاً بِها في مراحِلِهِ المُبَكِّرة، هِي نَفسُها مُشْكِلاتهما. على النقيض مِمّا ميَّز مرحلة الكهولة في فلسفة فتجنشتاين، والتي كانت بمثابة قطيعة مع فِكر المرحة السابقة. هذا ليس موضوع حديثُنا الآن، وإنّما ما يَهُمُنا في هذا المقام، أنّ «فون رايت»، يُؤكِّدُ على أنّ «التراكتاتوس Tractatus « كان تحت تأثير أكبر مناطِقة عَصْرِهِ: إنّهُما «فريجه» و«راسل»، فَلَم يَكُن بذلك، عَمَلاً مُستحدثاً، على عكس المرحلة الثانية مِن عَمَلِهِ والتي كانت أصْلِية أو مُبْتَكَرَة.[1]إذن، نَشْعُر مِن هذا الخِطاب كأنّ «فتجنشتاين» لَم يَجِد الحّل لِمُشكِلاتِهِ التي كانت تَؤَرِّقُهُ، إلاَّ في الأبحاث المنطِقية، لذا رأى مِن الضرورة الرُجوع إلى أكبر مناطِقة عصرِه كما سبق وأن أشرنا مِن أجل استِثْمار أعمالِهِم المنطِقية لدَعْمِ أفكارِهِ التي بدأها فانطِلاقا مِن امتلاك كُل الآليات المنطِقية التي تحكُم القضايا الصادقة التي نحتاجها لِوَصْفِ العَالَم، فإنّ القوانين الفيزيائية بِذلِك، تتَحدَّث أو تكشِف لنا عن أشياء أو وقائِع هذا العَالَم ـ[2]

كما يبدوا تأثُر «فتجنشتاين» ببعض أفكار الفيلسوف الألماني «أرتور شوبنهاور Arthur Schopenhauer» (1788م/ 1860 م)، حيث قرأ لَهُ، وهُو في سِنِ السادسة عشر، وكان تأثيره عليهِ واضِحاً - في مُذكِراتِهِ التي كَتبها أثناء الحرب العالمية الأولى، وفي رسالتِهِ المنطِقية الفلسفية، وبالخصوص في الجزء الثاني مِنها والمُتعَلِّق بِالأخلاق ونَظرية القِيَم، وفي النّزعة المِثالية البادِية في فِكرة الأنا وَحْدِية-[3]كما نلْمَس هَذا التأثُر أيضًا في بُعْدِه الصوفي، في العَمَلِية الإجراائية التي قام بها كُلّ مِن «شوبنهاور» و«فتجنشتاين» بِخُصوص تَرك وِصاية، تتعلّق بثَرْوَتِهما التي كانا يَمْلِكانِها، حيث أوصى الأوّل بِثروَتِهِ لِصُندوق مُساعدة الذين دافعوا عن النِظام في سنة 1848 م و1849 م، لَهُم ولأبنائِهِم اليتامى، أمّا الثاني فقد كان كريما بمالِهِ نتيجة الثروة الهائِلة التي ورثَها عن أبيهِ بعد وفاتِهِ سنة 1912 م، إلى أن قَرّرَ تجريد نفسِهِ مِن كُلّ أموالِهِ.[4] هذا مِن زاوية المرجعيات التي أثّرت في فلسفة «فتجنشتاين» الأولى خاصّةً والتي

(1) V. Wright, Wittgenstein, T.E.R. 1986, P. 37.

(2) Ludwig Wittgenstein, Tractatus logico-philosophicus, Prop. 6.343 et 6.3431.

(3) توفيق، سعيد، محمد، «ميتافيزيقا الفَن عِند شوبنهاور»، دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص، 287.

(4) - هناك قِراءات عديدة لهذا القرار، فهناك من يُرْجِعَهُ إلى تأثُرِهِ البالِغ بكتابات "تولستوي -Nikolaevich Tols

لم تخرُج في تَمَوْقُعِها عن الأصول العريقة للفلسفة الأوروبية.

- لقد أثّر كِتاب فتجنشتاين الأوّل في النمسا عُموماً كَبلَد، وفي الفلسفة النَّمساوية كتيّار وحَركة فِكرية بالخُصوص، لتَتَوَسّع مواطِن هذا التأثير في العَالَم الغَرْبِي مِن خِلال النّشاط الذّي مارَسَهُ أعضاء «جماعة فيينا»، والذي أثمرَ بالتأسيس للوضعية الجديدة-[1]في النِهاية، قد نُجزِم مع الكثيرين بأنّ «فتجنشتاين كان وضعِياً، ولِكي نُلّخِصَ العلاقة المُجْملة لِفتجنشتاين مع حَلقة فيينّا تُضيف مليكة أولباني مُتحدّثة عن جذور هذه العلاقة يُمكِن أن نقول مع «أنجلمان Engelmann» «إنّ جيلاً بأسرِهِ، مِن التلاميذ أمكَنَ له أن يُعِدَّ فتجنشتاين وضعِياً لأنّ أمرا على درجة كبيرة مِن الأهمّية كان مُشْتركاً بينَهُ وبين الوضعيين: فهو مِثلَهُم يَضَعُ حَدّاً فاصِلاً بَيْن ما يُمكِن أن نَقوله وما يَنْبَغي أن نَصمُت عَنْهُ، والاختلاف الوحيد، هو أنّهُ ليس لَدَيْهِم ما يَصْمُتون عَنْهُ».[2]

3.1 فتجنشتاين، وأصَالة التّفكير في الفلسفة النَّمْسَاوِية.

يُمكِنُنا أن نَجْعَل مِن فتجنشتاين، الفيلسوف النَّمساوي الرائِد لِبداية القرن العِشرين، فقد تأثّر بِفلسفتِهِ وآرائِه، العديد من أعلام الفكر الفلسفي والعِلْمي الغربي، ولعلّ أبرزهم «راسل Russell «و«حلقة فيينّا».فهل هذا يرجِع لأصالة كِتاباتِه ومواقِفِه، سواءاً التي صرَّحَ بها عَبْر كتاباتِه، أو التّي لم يُصرّح بها مباشرة؟

يعتَبِرُ «فون ورايت» أنّ كِتابات فتجنشتاين التي تلت المقالة (إشارة إلى رسالة منطقية فلسفية)، هِي كِتابات أصيلة، ولم تتلقى أيّ تأثيرٍ مِن الخارَج، مِن جِنس تأثير «فريجه» أو «راسل»، أو أيّ فيلسوف آخر.[3]وحتّى «راسل» نفسُهُ يشهَد لَهُ بمعالِم تِلْك الأصالة، من خلال ملاحظاتِهِ الفلسفية، التي سَجّلها حول العمل الذي قَدّمَهُ «فتجنشتاين»، - إذ يَصِفُ النظريات التي تظهر في هذا العَمل الجَديد لِفتجنشتاين، بالجِدّة (مِن الجَدِيد)، والأَصَالة (مِن الأَصْلِ)، وكذا بالمُهِمّة. ثُمَّ يتساءل: هل هِي صحيحة؟ فيُجيب: لست أدري. ثُمّ يواصِل حديثه قائِلاً: وباعتباري منطِقِياً يُحِبُ البَسَاطة، بِودّي لو أرى أنّها ليست كذلِك، لكِن إذا اعتقدت فيما أقرأ، فأنا مُقْتَنِع بِضرورة أن نُعْطِي لهُ إمكانِية الوُصول بِها إلى النِهاية، إذ حالَما تنتهي فمِن المُمْكِنِ جِدّاً أنْ تَظهَر باعتبارِها تُشَكِّل فلسفة جديدة تماماً-[4]وبالفِعْل فإنّ نَمَط الفلسفة التي

---

toi"(1828/1910)، وقراءة أخرى لِـ: "ألفريد آير" تؤكّد أنّه لم يمنح هذه الثروة للفُقراء واليتامى كما فَعَل "شوبنهاور"، لاعتِقادِهِ أنّ هذه الثروة قَد تُفْسِدَهُم، بل وَهَبها لأفراد عائِلتِهِ الذين كانوا أغنياء جِدّاً، ولن تُؤْذِيَهُم هذه الأموال.

(1) عبد الرزّاق بنّور، مقدمة المترجم، من كتاب: «تحقيقات فلسفية، لِلودفيج، فتجنشتاين، المصدر السابق، ص، 31.

(2) أولباني، مليكة، «هل كانت فلسفة فتجنشتاين بِدءاً للفلسفة النمساوية؟ تر: منير الطيباوي، مجلة «ايس»العدد04، السداسي الأوّل 2011، ص،82.

(3) «أولباني، مليكة»، المرجع السابق، الجزء الرابع من المقال، ص، 82.

(4) المرجع نفسه، ص، 82.

مارَسها «فتجنشتاين»، تختَلِف تَمام الاختلاف عن سابِقاتِها في الأنساق الفلسفية التَّقليدية. حيث أهّم ميزة فيها، الأُسلوب الجَديد الذِّي سَلَكَهُ في كتاباتِهِ، والمُتمثِّل في الاستدلال بالأمثِلة والوضعِيات الافتراضية على الطريقة الأكسيومية Axiomatiqueفي الحقل الرِياضي. وقد عبّر عن أسلوبِهِ في المنهج بالقَوْل في الكراسّة الصفراء «يُمكِن أن تتساءلوا عن القيمة التي تكتَسِبُها طريقتي، [المُتمثِلّة] في أن أضْرِب باستمرار أمثِلة. إنّ ما يُبرّر هذا التمشي، هُو أنّ الحالات المُوازِية تُغيّر طريقتِنا في النظر [إلى الأشياء] لأنّها تهدِمُ وحدة الحالات التي نفحص عنها» ينبغي أن نلاحِظ أنّ هذا المنهج لا يَمُتُّ بِصِلة إلى التّحليل السيكولوجي أو الفينومينولوجي ـ[3](1).

فَفِتْجَنْشتاين لاَ يهتَّم البتّة بالظَواهر، إذ هُو يفْحَصُ وَضْعِيات افتراضية، وذلِك بِضَرب أمثِلة وأمثِلة ضِدِّيدَة ـ[4](2) هذا مِن جانِب الطريقة الاستدلالية، والتي يَعْتَمِدُ فيها «فتجنشتاين» على طريقة التّمثيل (أي تقديم الأمثِلة). أمّا فيما يَخُصُّ ابتداع المفاهيم الخاصّة بِهِ، فإنّ مِن أشْهر الأَلفاظ الأصيلة عِنده، لفظ «Lebensform « والذي يعني «شكل الحياة»، حيث أكّد كُلّ مِن «جانيك Janik» و»تولمان Toulmin «في مُؤلّفِهما المُشترك المَوْسُوم بـِ: «فتجنشتاين، فيناً والحَداثة»[3] على أنّ هذا اللَّفظ هُو مِن أَصْل فيّيني. بَيْدَ أنّ «فتجنشتاين» استخدَم مَفْهُوم «Lebensform» بِطريقة خاصّة جِدّاً.[5](4)

إضافة لِهذه التَّوظِيفات، والتي كُنّا نَرُوم مِن خِلالِها إلى الحديث عن فِكرة التأصيل في فلسفة «فتجنشتاين»، وكَشْف مَعَالِم الجِدّة خاصّة في البِنْية الفلسفية والمنهجية للجِهاز اللُغوي عِنْدَهُ. لقد كانت فلسفتُهُ سواءاً المُتقدِّمة أو في فتراتِها الانتقالية أو حتّى في مراحِلها المُتأخِرة، فلسفة أصيلة ومُستحدثة، في محاوِرِها وفي منهجِيّتِها التي اتبعتها. فلقد خرجت مِن إطار التقليد الفلسفي، والذّوبان في النسق الذي كان يُميّزُ الفلسفة الغَرْبِيّة عموماً والألمانية بالخصوص. فِعلاً – كما تقول مليكة ولباني – الفلسفة النّمساوية مَدِينَةٌ كثيراً لِفتجنشتاين، إذ أنّ نَجاحها وإشعاعَها يتأتيان بِلا رَيْب مِن كَوْنِها وُلِدت في النَّمسا، ولكِنّها تطوَّرت خارِجَها ، وبالخُصوص في إنجلترا والولايات المُتحِدة الأمريكية. وهذا ما يُفسِّر سِرّ تأثيرها على أبرز الفلسفات المُعاصِرة، إنَّها الفلسفة التَّحليلية (الأنجلو- أمريكية).

صحيح أنّ البُذور الأولى في ميلاد الفلسفة النَّمساوية، تَرجَع في أصُولِها إلى أعمال كلّ مِن

(1) Engelmann, Lettres from Wittgenstein, Oxford, Basil Blackwell, 1967, P.97.

(2) «أولباني، مليكة»، المرجع السابق، ص، 82، نقلاً عن:

V, Wright, Wittgenstein, T.E.R,1986, p.36.

(3) Janik et Toulmin, Wittgenstein, Vienne et la modernité, PUF, 1978.

(4) L. Wittgenstein, Le Cahier bleu et le Cahier brun, Préface de Claude Imbert, Traduit de l'anglais Par: Marc Goldberg et Jérôme Sackur, Editions, Gallimard, 1996, P. 37.

«بْرَنْتَانُو» و«ماينونغ» و«آرنست ماخ»، الذّين ضَبَطوا مُقوّمات هذه الخُصوصية النَّمساوية، لَكِنّهُ ليس أقَّل بَداهة أنّ «فتجنشتاين فيينّاَ» تَمَيَّز بغَزارة الأفكار. إذن يبقى كُلّ مِن أعضاء حلقة فيينّاَ وفتجنشتاين، السِمَةَ البَارزة للفلسفة النّمساوية، فكَما يَرى «ماك غيناس M.c Guinness» مِنْ خِلال مُلاحَظاتِهِ أنّه إذا كان هؤلاء حَلَقة فيّينا، فَفِتجنشتاين كَانَ فيينّا ـ[1](1)

(1) «أولباني، مليكة»، المرجع السابق، الجزء الرابع من المقال، ص، 83.

2. التراكتاتوسLe Tractatus » » وانعكاساته على البِناء القاعِدي للفلسفة التجريبية المنطقية:

1.2 «الرسالة» كأرضية صلّبة لِمشاريع التجريبية- المنطِقية:

مِمّا لا شّك فيه أنّ هناك نقاط التقاء بين «الوضعية المنطقية» المُتمثِلة كتيّار في مواقف حلقة فيينَّا كما سبق وأن أشرنا إليها، وبين أعمال «فتجنشتاين›› المُتقدِّمة. لهذا كان اختيارُنا لفتجنشتاين في هذا البحث كأحد الدعامات الأساسية والمُهيكِلة لآراء الاتجاه الوضعي المنطقي. فتأثير «فتجنشتاين›› في حلقة فيينا لا يُنكِرُهُ أحد، رُغم أنّ أهدافهُما ليست مُوحدّة، إلاّ أنّ ما هُو موضوع اتفاق جَلّي بينهُما هُو اعتمادهُما الكُلّي في إرساء فلستهِما على الأُسُس المنطقية لِفِعل المعرفة. إضافة إلى أهّم بُنود مشروع تحديد اللغة وهو التأسيس للُغة منطقية تضبط العلوم وهذا عن طريق منهج التحليل المنطقي للغة الذي يهدِف في جوهره إلى تحقيق ضوابط منطقية للمعنى، وهو في أساسِهِ مشروع فتجنشتايني كرَّرَهُ الوضعيون المناطقة كما يقول « رودولف هِلَر›› .أضِف إلى ذلك اعتراف الكثير مِن رُوّاد الاتجاه الوضعي المنطقي بتأثُّرِهِم بـ: «فتجنشتاين» وخاصّة بفلسفتِهِ الأولى. نذكُر على سبيل المثال، «أوتونويراث›› وهُو الفيلسوف الذي لا يمكِن أن يتَّفِق مع «فتجنشتاين» تقول «مليكة أولباني»، يعترِف بأنّه مدينٌ لَهُ وذلك في مقالٍ له سنة 1931 مُتعلِق بالمذهب الفيزيائي، وحتّى «موريس شليك» في رِسالة لَهُ كتبها بتاريخ عشرين، أوت، 1932م، تحدّث عن مُنعطف للفلسفة بالمعنى الفيتجنشتايني، وهذا بعدما التقى بفتجنشتاين سنة 1925. أمّا أبرز شهادة لهذا التأثر والاعتراف بالدَّيْن لِـ: «فتجنشتاين» هو موقف «كارناب رودولف (Carnap- Rudolf(1891/1970، والذي تجسَّد في انبهارِهِ بتصَوُرِهِ للقضايا الفلسفية باعتبارها أشباه مَلْفُوظات (Pseudo-énoncés)، فيقول: «بالنسبة إلّيَ شخصِياً، ربّما كان فتجنشتاين الفيلسوف الذي له التأثير الأكبر في فِكري، فضلاً عن راسل وفريجه»[1]فكِتابهُ «رسالة منطقية فلسفية››، جعل من قضايا الميتافيزيقا شيئاً خالِيا من المعنى، وكان لهذا الاتجاه كما يقول عزمي إسلام في أهمية «الرِسالة››ـ أثر كبير في فلسفة الوضعيين المناطقة وخاصّة عند «ألفريد جول آير» Ayer (1910 م/1989 م). هذا فضلاً عن أنّ فكرة فتجنشتاين في «الرسالة›› عن تحقيق القضية بِمقارنتها بالواقع الخارجي، كانت ذات أثر بالغ في ظهور مبدأ التحقُّق عند فلاسفة الوضعية المنطقية بصفة عامّة[2]. ومِن بَيْنِ مَعالِم التأثُر أيضاً، تمييز الوضعيون المناطِقة بَيْن وظيفتين رئيستين للغة: » إحداهُما هِي الوظيفة

(1) مليكة ولباني، «هل كانت فلسفة فتجنشتاين بِدءاً للفلسفة النمساوية؟ مقال بمجلّة «أيس››، العدد الرابع، السداسي الأوّل ، 2011،ص، 81. نقلاً عن:

R.Carnap, «Autobiography» in-22 P. A. Schlipp, The Philosophy of R.Carnap, London Cambridge university, Press, 1963, P25.

(2) Anscombe, G.E.: An Introduction to Wittgenstein′s Tractatus, P.152.

المعرِفية التي تُسْتَخدَمُ فيها اللغة كأداة تُشير إلى وقائِع وأشياء موجودة في العالَم الخارِجي، ولا تزيد مُهِمّة اللغة بذلِك على أن تجيء تصويراً لِتِلك الوقائِع والأشياء وهذا ما يَسّمى عِند فتجنشتاين بالنظرية التصويرية، التي نتجت عنها نظرية في المعنى شبيهة بنظرية التحقُق عِند الوضعية المنطقية.أمّا الوظيفة الثانية للغة فهي الوظيفة الانفعالية ومفادُها أنّ الإنسان قد يستعمِل اللغة أحياناً للتعبير عن مشاعِر وانفِعالات قد تضطرِب بها نفسُهُ كما هُوَ الحال عِنْدَ الشاعِر مثلاً، ويدخُلُ في إطار هذه الوظيفة استعمالات معيّنة للغة تشغل بعض الفلاسفة، وتتمثّل في العِبارات التي تُعالِج مسائِل الأخلاق والميتافيزيقا والجمال.»[1]ولَمّا حَصَل «موريس شليك» صديق «فتجنشتاين» على كُرسي «فلسفة العُلوم الإستقرائية» بجامعة «فيينا»، في سنة 1922، نشأت «جماعة فيينا»من حول «شليك» الذي كان جِدُّ مُتأثِراً بِالتراكتاتوس، حيث تجَمَّع كُلّ مِن: «أوتونويراثNeurath «، «وايزمانWaismann»(الذي أخذ في تفكيرِهِ المُتأخِّر بموقِف قريب مِن موقِف فتجنشتاين المُتأخِر ومدرسة أكسفورد)، «كارناپCarnap «، «فون جيهوسVon Juhos»، «هاربرت فيجل H.Feigl»، «فيكتور كرافت»، «جودل»، « آير «. كلّ هؤلاء، طَلَبةً كانوا أَمْ أصدقاء، حارصين على تتبُع مُشكلات الفلسفة العِلمية، فَبِالرُغْم مِنْ قِراءتِهم وتَعليقاتِهم على الرسالة، إلاّ أنّ «فتجنشتاين» كان يَأْبىَ أن يشاركُهُم اجتماعاتِهم ـ[2]كما أنّ الأَسْطُر الأولى مِن مَخطوط الرِسالة، والتي كتبها «فتجنشتاين» في «فيينا» سنة 1918، وهُو في سِّن التاسعة والعِشرين من عُمْرِهِ، وَجَّهَت وبِطريقة قَطعِية كلّ تيارات الحَركة الفلسفية المُعاصِرة وَلقة «فيينا» بالخُصوص، والآن كلّ الفلسفة الأنجلوسَكسونية، أين بَقَت إمكانات توظيف فِكر «فتجنشتاين» دائِما قائِمة.

لِنَنْتَقِلَ إلى سُؤال هام يَجِبُ البِدء به في هذا المَقام مِنَ البَّحث: هل يمكنُنا الجَزْم بأنّ «فتجنشتاين التراكتاتوسي» أي صاحِب أعظم إنجاز في القرن العشرين، وهو « رسالة منطقية فلسفية « قد تأثّر بالفِعل بكُلّ مِن «فريجه G. Fredge» و« برتراند راسل B. Russel» ؟ وهل يُمكِن القول بالعكس أي تَأَثُر هَذين الأخيرين به ـ؟

تجيب «مليكة ولباني» في إحدى مقالاتها[3]عَنْ هذا التساؤل، وعلى لِسان» فون ورايت V. wright»[4] الذي يرى أنّ الفلسفة الأولى لِفتجنشتاين إنّما هي وريثة لِتَقليد قد وُجِدَ

(1) عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص، 12.

(2) Pierre, Hadot, Wittgenstein et les limites du langage,LIBRAIRIE PHILOSOPHIQUE, J.VRIN, Paris, 2010, P. 49

(3) مليكة ولباني، «هل كانت فلسفة فتجنشتاين بِدءاً للفلسفة النمساوية؟ مقال بمجلّة «أيس»، العدد الرابع، السداسي الأوّل، 2011، ص، 79.

(4) فيلسوف فِلندي (1916 - 2003) كان خليفة فتجنشتاين في منصب كرسي الفلسفة بجامعة كمبردج.

وتحدَّدَت معالِمُهُ في الفلسفة الأوروبية، وتَجد هذه الفلسفة أُصولَها لدى «فريجه» و«راسل» وحتّى «ليبنتز». يُضيف فون ورايت بخصوص ملاحظاتِهِ حول هذا الموضوع قائِلاً: «لقد كان لِفتجنشتاين مُعلِّمان، فريغه وراسل، وقد كانت مشاكِلُه جُزئِياً مشاكِلهما نفسَها»[1][2]. يبدوا مِن خلال الاطِّلاع الأوّلي على هذه المُلاحظات، أنّ « فون ورايت» يُؤكِّد على تأثُّر إلى أبْعَد الحُدود «لفتجنشتاين الأوّل» أي صاحب الرِسالة، بِهذين المَنطقيين (أقصِد: «فريجه» و«راسل») وقد صَرّح في بعض النُصوص التي كتَبها، ونَخُصُّ بالذِّكر كما تَقول «أولباني» وفي نفس المقال المذكور سابِقاً، نَّصاً يعود إلى سنة 1931، يذكر فيه «فتجنشتاين» كلّ الكُتّاب الذين أثَّروا في التأسيس لأفكارِه الفلسفية والمنطقية وبِكُلّ موضوعية، وهذا مُقتطف منه: «لم أبتدِع قَطّ مَسار فِكر، لكن أُعْطِيَ لي ذلك دائِماً من قِبَلْ شخص آخر، كلّ ما فعلته هو استيلائي فوراً وبِشغف عليه، لفائِدة عَمَل التّوضيح الذّي أقوم به، هكذا أثّر فِيَّ «بولتزمان» Boltzmann، و«هارتز» Hertz، و«شوبنهاور»Schopenhauer، و«فريجه»، و«راسل «، و«كراوس»Kraus، و«لوس»Loos، و«فيغنير»Weininger، و«شبنغلر»Spengler، و«شترفا»[3][2]«.Sraffa هكذا يَتَّضِح لنا أنّ فلسفة وفِكر «فتجنشتاين» خاصّة في مراحِلِهِ الأولى، كان في مُعْظمِهِ تحت تأثيرات مختلفة لِقِراءات مُتشَعِبة. فما كانت لَهُ مكانة في في فلسفتِهِ الأولى، ينقَسِم إلى ثلاثة فِئات: الحُكَماء، العُلَماء، الفلاسفة والمَناطِقة الفَلاسفة ـ[3][4]

2.2 « برتر اندراسل» حلقة الوّصْل بين الأفكار المنطقية لِـ:»فتجنشتاين الأوّل» والفلسفة التّجريبية المنطقية

إنّ هذا الاعتراف الضِمني الذي يُقِرُ بِهِ «فتجنشتاين» في هذا النّص، لا يعني أنّه لم يكُن لديهِ انشغال خاص بِهِ كما لا يعني التقليص من قُدُراتِهِ، وإنّما هو وبِكل بساطة الاستعانة والتّوظيف لأفكار سابِقيه مِنَ الكُتّاب والمُفكرين، في تَطوير مَشْروعِه الأساسي، الذي كانَ مُنهمِكاً في تَحْقيقِهِ وهو عَمَل التّوضيح، حيث انطلق في أبحاثِهِ الأولى من مُسلّمة بالنسبة إليه هِيَ أنَّ موقع المُشكِلات الفلسفية يَتَمَوْقَع حَوْلَ سُوء مَعرفة وإدراك لِمنطق اللغة. وبالتالي رأى في المنطق الحديث الأداة المُثلى لتَحقيق مَشروعِه والإجابة على جَميع التَساؤلات التي كانَت تُسَيطِر على فِكرِه كمُشكلات جوهرية، إذ يُعْتَبَر مُشكِل اللّغة الصُّورية وعلاقتُه بالواقِع مِنْ أبرز القَضايا التي كانت تتطلّب تقديم حلاّ عاجِلا، وبالتالي كان بالنِّسبة إليهِ، الاستحواذ على أفكار كُلّ من «راسل « و»فريجه» كأبرز أعْلام هذا المنطق في عَصْرِهِ ضَرورة حَتْمِية.

(1) المرجع نفسه، ص79.

(2) المرجع السابق، ص، 80، نقلاً عن:

L. Wittgenstein, Remarques mêlées, Traduit de l'allemand Par Gérard Granel, T.E.R, 1990, p19

(3) Dictionnaire Wittgenstein, par: Hans-Johann Glock, Tad de l'anglais par: Helene Roudier de Lara et Philippe de Lara, Gallimard, 2003, P.31.

باعتبار أنّ **النِظام الرمزي** الذي اَسّسا إليه [فالرّمزية المنطقية كان تأسيسُها على يَد كُلٍّ مِن: «فريجه»(1925/1858)، و»بيانو (Piano(1858/1932، وبالخُصوص»راسل» و«هوايتهيد Whitehead عَبْر مُؤَلَّفِهما المُشترك «أصول الرياضيات (Principia Mathématica) والصادر ما بَيْن 1910 إلى 1913، إذْ أخَذ عن «راسل» بالذّات: «الذرية المنطقية» التي تَنُّصُ على أنَّ الواقع مُؤلَّفٌ مِن ذرَّات بَيْنها علاقات، كَما أخذَ عَنْه أيضاً المبدأ القائل بأنَّ: « صِدْق القضية لجُزيئية « proposition moléculaire « رَهْنٌ بِصدق القَضايا الذّرية «-proposition ato miques»] وكُلّ تِلك الأعمال المُنجزة في حَقل المنطق الرمزي، كانَت وسيلة «فتجنشتاين» للوُصول إلى هدفِهِ، إذ قام بِإدماجِها وتطويرها. إلاَّ أنَّ هذا الرُجوع إلى مناطقة عَصرِهِ لم يَمْنعُهُ مِن تَوجيه بعض الانتقادات لهُم، فلقد أعابَ «فتجنشتاين» وفي لقاء مَع الفيزيائي «فايسمان» في نهاية سنة 1922، على كُلّ من «فريجه» و»راسل» و»بيانو» كَوْنُهُم لَم يُؤسِّسوا للمنطق الرّمزي، إلاّ في علاقتِهِ بالرياضيات وحدها، ولم يربِطوه بِالتَمَثُّلاَت التي تحدُث في عالَم الوقائِع ـ[1]، أي العالَم الخارجي أو عالَم الأشياء. كذلك نجد الانتقادات العديدة التي وجّهها «فتجنشتاين» لِـ: «راسل» أثناء مراسلاتِهِ معه، وذلك حول قضايا منطقية طرحها «راسل» كنظريتِه في الأنماط المنطقية، إذْ رَفَضَ «فتجنشتاين» فِكرة «راسل» القائلة « بِأنّ أنماطاً مختلفة تَستوجِب رَمزيات مختلفة»، لأنّه أمرٌ غير مُمكِن، فلا يُمكِن حَسبه أَنْ يوجد عِدّة أنماط للأشياء. كما رَفَضَ «فتجنشتاين» أيضاً وفي رسالة أخرى سنة 1913م، فِكرة اعتبار « أوّلية إمكانية الرَّد» (L'axiome de réductibilité) و» أولّية اللامُتناهي»، كقضايا منطقية. هذا ما يَعكِس أنّ هذا التأثُّر لم يَكُن عِنْدَهُ تَبَنّي لأُصول النِّظام الرّمزي الذي يُمثِلُهُ المناطِقة المُعاصِرين بِقَدر ما هُو قَضية توظيف له ولكِن في صورة جديدة. كما نَجِدُهُ، وفي مَوْطِن آخر يَفُوقُ عَالَم التَّجريد البَحت، ليَتَجاوَزُه إلى عَالَم الوقائِع. وكذلك في انتقادِه «لِفريجه» فيما يخُصُّ حالة وصف القضية بِكونِها صادقة أم كاذبة، والتي اعتبرها «فريجه» شيئاً خارِج القضية، أمّا «فتجنشتاين فيعتبِرُها مُحتواة في القضية إذ يقول في هذا المَقام: «وليس وصف القضيّة بكونِها صادقة أو كاذبة شيئاً يَجيء خارِجَ القضيّة كما ظَنّ فريجه بل الصِدق لا بُدَّ أن يكون مُحتوى في القضية نفسها بالفِعْل.»[2]

إذن ورُغم تأثُّر «فتجنشتاين» بِمنطِقِيّي عَصْرِه، إلاّ أنّ توظيف آلياتِهِ(أي المنطق الرمزي)، كانت بهدف التأصيل لهُموم وانشغالات فلسفية خالِصَة وخاصّة بِفتجنشتاين وحدَهُ، فَلاَ غرابة من هذا الطرح، إذا قرأنا مُقدمّة كتاب «رسالة منطقية فلسفية» والذي أشرف عليها

(1) MélikaOuelbani, Wittgenstein et le Cercle de Vienne, T.E.R, 1991, P, 14.

(2) «لودفيج، فتجنشتاين»، رسالة منطقية فلسفية، تر: عزمي إسلام، مراجعة وتقديم، زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، د(ط)، 1967، ص،90.

«راسل» نفسُهُ بِطلب من مُؤلِّفِه «فتجنشتاين»، حيث كتَب «راسل» نفسُهُ بشأن المُلاحظات الفلسفية التي احتواها هذا المُؤَلَّف قائلاً: «إنّ النّظريات التي تَظْهر في هذا العَمَل الجديد لفتجنشتاين جديدة وأصيلة جِدّاً وهي بِلا ريب، مُهِمّة. هل هي صحيحة؟ لا أدري. باعتباري منطِقياً يُحِب البساطة بِودي لو أرى أنّها ليست كذلِك، لكن إذا اعتقدت فيما أقرأ فأنا مُقْتَنِع بضرورة أن نُعطي له إمكانية الوصول بها إلى النهاية، إذ حالما تنتهي فمِنَ المُمْكِن جِدّاً أن تظهر باعتبارِها تُشكِّل فلسفة جديدة تماماً.»[2](1) ولِتأكيد مَعالِم هذه الرُوح التي كانَت تَجْمَعُ الفيلسوفين، يروي «راسل» في أحد مؤلفاته[3](2) بعدَما كان قد طَرح في أوّل لِقاء مَعَ تلميذه «فتجنشتاين» التَساؤل الآتي: عبقرِيٌّ هُوَ أم غَبِيّ؟ أنّه وفي نِهاية السُداسي الأوّل، جاء «فتجنشتاين» يَبْحَثُ عَنْه وسألَهُ: «هل تستطيع أن تقول لي هل أنا غَبِيٌّ بامتِياز أم لا؟»، فأجابه «راسل»: «صديقي العزيز لا أعرف شيئاً، لِماذا هذا السؤال؟»، فأجابه «فتجنشتاين»: « لأنّهُ لَوْ كُنْتُ كذلِك، سأجعل مِن نفسي مِظَلِيّاً (أي ملّاحاً) وإلاّ سَأكون فَيلسوفاً»، حِينَها طلَبَ مِنْهُ «راسل» أن يُحَرِّرَ عَملاً فلسَفِياً، وفي غُضُون السَنّة عادَ «فتجنشتاين» بمَخْطوط، فواصَل «راسل» قَوْلَهُ: « بعدما قَرأت الجُملة الأولى ، قُلت: لاَ، لست بحاجّة لأن تكون مِظَلِّياً». وفي مرّةٍ أخرى، وبعد صمتٍ طويل لِفتجنشتاين، سألَهُ «راسل»: «هل تُفَكِّرُ في المنطِق أم في ذُنوبِك (أي خطاياك)؟»، فأجابه «فتجنشتاين»: « الإثنين معاً». هكذا بَدَى تَأثُّر فتجنشتاين» في أبعَد حُدودِه مع «راسل»، وهذا مُقارنة مع «فريجه» الذي بَخِل إلى حَدٍّ ما إن جاز لنا القَوْلُ بذلِك عليه مِن خِلال الرّد الذي كان يَتَلقَّاه مِنه في العديد من الاستشارات التي كانت تتعلّق بالجانب المنطقي، وهذا مرّدَهُ إلى سُوءِ الفَّهْم لانشغالاتِهِ المُرتبطة بالجانب النّظري، إذ أنّ «فتجنشتاين» لم يَكُن يتّفِق مَعه بِخُصُوص العديد من النِّقاط المُتعلِقة بِتَصوُر كلّ واحِدٍ مِنْهُما مَثَلاً لِقَضايا الفِكر وللمَعنى، ولِدلالة الالتزام (Dénotation) ولِمسألة الهُويّة، وللحقيقة (تَصَوُّر قضايا الصدق والكذب)[3](1)، رُغْم ذلِك نَجِد فتجنشتاين في مُقدمتِه القصيرة التي خَطّها في كتابه «رسالة منطقية فلسفية» يُثني على «فريجه» بقولِهِ: «أريد فقط أن أُشير بفضل المؤلفات العظيمة لِفريجه وأعمال صديقي السيّد «برتراند راسل» والتي أُدين بِجزء كبير لهُما على استثارة أفكاري هذه». [4](2)

لَمْ يَكُن «فتجنشتاين» في فلسفتِهِ المُتقدِّمة وكما قال هُوَ نفسُهُ، سِوى مُستَكشِف لأعمال «فريجه» العظيمة، والتي وَجَدَ فيها أكثر مِمّا وَجَدَ فيها «فريجه» نفسُهُ. هذا عن الشّطر الأوّل

(1) مليكة ولباني، «هل كانت فلسفة فتجنشتاين بدءاً للفلسفة النمساوية؟ المقال السابق، ص، 82.

(2) Voir: Russel, Portraits from Memory, new York, 1956, P.23.

(3) أولباني، مليكة، المرجع السابق، ص، 80.

(4) -Ludwig Wittgenstein, Tractatus logico-philosophicus, trad., préambule et notes de Gilles – Gaston Granger, éditions Gallimard, 1993, P. 32.

للسؤال، أمّا عن الشّطر الثاني والمُتعلّق بتبادُل علاقة التّأثير، فإنّنا يُمْكِن أن نَجزِم القَوْل بوُجود علاقة تَأثير، خاصّة على: « برتراند راسل» في ما يُعرف عِنده بفلسفة الذّرية المنطقية. يقول راسل في هذا الشأن: «لقد قام فتجنشتاين بِصياغة مبدأين ، إذا كَانَا صَحيحين، فَهُما على دَرجة كَبيرة مِنَ الأهَميّة، إنّهُما مبدأ الماصَدَقِية ومبدأ الذَرّية.»[1]

لقد تَحدّث «راسل» وفي الكَثير مِنَ المُناسبات التي عَرض فيها مُحاضَراتِهِ حول الذَّرية المنطقية عَن مَرْجَعية أفكارِه لهذه النّزعة الفلسفية، وأنْسَبها إلى صديقه وطالِبِهِ السابق «لودفيج فتجنشتاين»، وهذا بعض مِمّا قالَهُ حول المسألة: «إنّ جُزءاً كبيراً مِمّا أقولُهُ في هذه المُحاضرة يتأتى مِن أفكار صديقي فتجنشتاين.»[2]كما نَجِدُهُ في موقعٍ آخر، يُصرّح بحقيقة علاقة التأثير التي تجمعُهُما فيقول: «لأنَّ أثر «فتجنشتاين» فِيّ، قَد أتى مِن مَوْجَتين: أولاهُما كانت قَبْل الحرب العَالَمِية الأولى، والثّانية كانت بَعْد الحَرْب مُباشرة عِندما أرْسَل لي مخطوطة رِسالتِه، ومذهَبه المُتأخِّر، كما ظَهَر في كِتابِهِ «بحوث فلسفية»، لم يُؤثِّر فِيَّ مُطلَقاً»[3].

إذن، فعلاقة «فتجنشتاين» بـِ «راسل» كانت أكثر عُمقاً وقُرْباً عَن غيرِهِ مِن فلاسفة التحليل، والوضعيين المناطقة، لِدرجة روح النَّقد الواسع التي كانت تَدُور بَيْنَهُما في الكثير من المناسبات والمُراسلات. وسأخُص بالذِّكر على سبيل تِلْك الرُوح النّقدية والموضوعية بَيْنَهُما، ذاك الخِطاب الذي وَجّهَهُ «فتجنشتاين» لِـ «راسل» بتاريخ التاسع مِن شهر أفريل سنة 1920م، بخصوص مقدمّة «الرسالة» يقول فيه: «أشكُرُك على ما كَتَبْتَهُ [أي المُقدِّمة التِّي كَتَبَها راسل] وإن كُنْتُ لا أتَّفِق معَكَ في أغلَبِهِ: سواءاً كان نقداً لي أو شَرْحاً لأفكاري. لَكِن هذا لا يَهُم، فالمُستقبل سَيَحْكُمُ بَيْنَنا، وحتّى إن لم يَفْعَل، وظَلَّ صامِتاً، فهذا سيكون بمثابة الحَكَم أيضاً».[4]وفِعلاً عدم رِضا «فتجنشتاين» على تلك المُقدمة والتي رأى بأنّها في أكثر من موقع لم تُفِد المعنى الذي قصده، إمّا من حيث الترجمة باعتبار المخطوط الأصلي باللّغة الألمانية والمقدّمة جاءت باللّغة الإنجليزية، أو لِصعوبة العِبارات التي وظّفها «فتجنشتاين» في الرسالة مِمّا أدّى إلى صُعوبة في فَهْم منطق الرِّسالة. وفي هذا المقام عبّر «فتجنشتاين» لِـ «راسل» في خِطاب آخر بتاريخ السادس من شهر مايو سنة 1920، عن عَدَم رَغْبتِهِ في طبع المُقدِمة التي كتبها «راسل» لكتاب «رسالة منطقية فلسفية»، يقول فيها: «إنّك ستغضَبُ [مُشيراً إلى راسل] الآن لِمَا سَأُخْبِرُكَ بِهِ، وهُوَ أنّ مُقدِّمَتُكَ لَن تُطْبَعَ فقد طلَبْتُ مِنَ الناشِر

(1) B. Russel, Histoires de mes idées Philosophiques, édition: Gallimard, Paris, 1961, P146.

(2) B. Russel, «La Philosophie de L′atomisme logique», in: écrits de logique philosophique, PUF, 1972, P364.

(3) George Allen and Russell, Bertrand: My Philosophical Développement, Unwin,Ltd, London, 1959, P.112.

(4) رسالة منطقية فلسفية، لودفيج فتجنشتاين، المصدر السابق، ص، 11.

أَلاَّ يطْبَعُهاَ، ومِنَ المُحْتَمَل ألاَّ يطْبَعَ كِتابِي أيضاً بالتالي.»[1]وبالفِعل لَم تُنشَر مُقدّمة «راسل» هذه إلاّ مع الطبعة التي تَمّ فيها ترجمة الرِّسالة من اللّغة المَصدرية أي الألمانية إلى اللُّغة الإنجليزية. وقد قام «أوجدن» بترجمة الرسالة إلى اللغة الإنجليزية بمساعدة بعض أصدقاء فتجنشتاين آنذاك أمثال «فرانك رامزى» وذلك في سنة 1922. إلاّ أنّ هناك الكثير ما قيل عَن فَحْوَى هذه الترجمة، ونَعَتُوها بِمُواصَفات سِلبية، لَعَلّ أبرَزُها أنّها لا تُفيد المعنى الذّي قَصَدَه «فتجنشتاين» في الكثير مِن جوانبها خاصّة ما تعلق بالشّطر الأوّل مِنْها والمُتمثّل في الشّق المنطِقي الإبستيمي. إلاّ أنّ مِنهُم من أكّد على صِحة ترجمة «أوجدن» أمثال «راسل» الذي كتب حوالي سبعة عشرة صفحة فقط للتقديم لها، وكذا «فرانك رامزى» الذي شارك هو أيضاً في ترجمتها[2]. هذا كُلّه، يدخُل في الأثر الذي تَرَكَتْهُ فلسفة «فتجنشتاين» الأولى بالخُصُوص، في الفلسفة المُعاصِرة عموماً، وفلسفة «راسل» بالخصوص. فقد أثّر «التراكتاتوس Tractatus» في «راسل» بِفِكرتِهِ عَنِ الذّرّية المنطِقية، وكانت علاقة «فتجنشتاين» بِهِ قَدْ مَرّت بأدوار عِدّة، فقد لَعِبَ هذا الأخير دَوْرَ الأُستاذ الذي يُعْطِي ويُفيد، ودَوْرَ التِّلميذ الذّي يأخُذُ ويَسْتَفيد، ودَوْر النِّدِ لِصَديقِهِ، ثُمَّ دور الخَصْم الذي يُناصِبُ خَصْمَهُ العَداء. يقول راسل: «حتّى أناَ تأثَّرْتُ إلى حَدٍّ كبير بِنَظَرِياته الأولى وإن تباعَدَت بِنا سُبُل الرأي بَعْدَ ذَلك.»[3]ولذلِك نَجِد حسب ما تُقِرُّهُ بعض الدِّراسات المُتخصِّصَة في فلسفة الذّرية المنطِقية عِند كُلٍّ مِن «راسل» و«فتجنشتاين» أنّ جُل آراء «فتجنشتاين» ونَظَرِياتِهِ التي طَرَحَها في «الرسالة»، عَكست في مضمونِها وسِياقِها إمّا طابِع التأثير بآراء «راسل» أو النَّقد والتجاوُز لها، بِهَدف تقديم البَديل عَن الإجابات التي قَدّمها «راسل» في فلسفتِهِ ـ[4]

إنّ معالِم هذا التأثُر بَيْنَ «فتجنشتاين المُتقَدِّم» خاصّةً و«راسل»، ونتيجة لِما حَقّقَهُ كلّ واحِد مِنهُما على حِدا، ومِن خلال مُناقَشاتِهما المُشتركة، أثْمرت بِميلاد أبرَز مَنْتُوج فلسفي مَيَّزَ فلسفة القرن العِشرين، إنّهُ كِتاب:»رسالة منطِقية فلسفية». لقد كان ذلِك مِن أبرز العَوامِل التي ساهمت في هيكلة أسُس التفكير وقواعِدِهِ لدى الفلسفة التّجريبية المنطِقية، أو الوَضْعِية المنطِقية (كاسم الشُهرة). إذ أنّ أثر «فتجنشتاين»، واضِحٌ فيها، فلقد استلهَمت جُلّ

(1) فتجنشتاين، لودفيج، المصدر نفسه، ص، 11.

(2) عزمي إسلام ، التمهيد لرسالة منطقية فلسفية، المصدر السابق، من الصفحة الثامنة إلى الصفحة الخامسة عشر (ص08 ص15).

(3) راسل، برتراند، صُور مِن الذاكِرة ومقالات أخرى، ص، 30، نقلاً عن: فيصل، غازي مجهول، مقال لودفيج فتجنشتاين، مقال منشور بموسوعة الأبحاث الفلسفية، للرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، «الفلسفة الغربية المعاصرة، صناعة العقل الغربي مِن مركزية الحداثة إلى التشفير المُزدوج، ج1، إشراف وتحرير، علي عبود المحمداوي، تقديم: علي حرب، منشورات ضفاف، ومنشورات الاختلاف، ط1، 2013 م، ص، 326، 327.

(4) توم، عبد اللّه محمد، المنطِق واللغة والواقِع، دراسة في فلسفة الذَّرية المنطقية عِند كُلٍّ مِن «راسل» و«فتجنشتاين»، جامعة الخرطوم، ط1، 1987، ص، 07.

مبادِئِها مِن رِسالتِهِ، بالرُغْم مِن أنّهُ لم يَكُن عُضواً مِن أعضائِها. في هذا الشأن يرى الفيلسوف «هربرت فايجل» أنّه و« على خِلافِ كارناب الذي أصبَحَ مِن الأعضاء المُواضِبين ذوي التأثير الكبير في الحلقة، كان فتجنشتاين وقتذاك مُشتَغِلاً بِهندسة العِمارة، فكان لا يجتَمِع بِبَعْض أعضاء الحلقة، إلاّ مِن حين إلى حين، ومع ذلِك فإنّ رسالته عِندئِذٍ قد ألقى ضوء قَوّي على بعض [المقاطِع] الغامِضة فيها، وهِي الرِسالة البالغة التركيز والعُمق»[1]وقد صرَّح بذلِك الغُموض الموجود في الرِسالة، العديد مِن المُشتغلين على فِكر فتجنشتاين، ولعلّ أبرز ما قيل في ذلِك، ما قالَهُ « ج. رايل Gilbert Ryle « حول مسألة قراءة الرسالة، حيث يرى أنّ قليلاً مِن النّاس يُمكِنُهُم أن يقرؤوا الرِسالة مِن دون أن يَشْعُروا بأنّ شيئاً مُهِمّا يحدُث، لكن قليلاً مِن الخُبراء يستطيعون أن يقولوا ما الذّي يَحْدُث ـ[2]فالوَضعِيون المناطقة، شأنُهُم شأن كلّ مَن اهتَمَّ بالتّحليل كمنهج في الفلسفة، قد شَعروا بالفِعْل بحقيقة مَقاصِد «فتجنشتاين» في الرسالة، خاصّةً في شَقِّها المنطقي. فلقد تناول كِتاب «رِسالة منطِقية فلسفية» موضوعات ومسائِل ترتكِزُ في مُعظَمِها على انشغالات مُشتركة ضِمن تخصُصات مُختلفة. حيث دَرَسَ فيها «فتجنشتاين» وفي الجُزء المُبّكر مِنه بالخُصوص، مسائِل تتعلَّق بتحديد ماهِية العَالَم، لِينتَقِل بعدها إلى تحديد ماهية الفِكر، ثُمّ النظرية التصويرية للغة، وكذا أُسُس المنطِق والرياضِيات. ولعلّ أبرز مسألة أثارت اهتمام التجريبيين المنطقيين، هِي قضية الفَهم العِلْمي للعَالَم، والمُرتَبِطة بِمسألة « التأسيس لِمنطِق اللُغَة في علاقتِهِ بالفِكر»، وقاعِدتُه في ذلِك أنّ منطِق لُغتِنا، منطِق يُساء فهمه، فما يُمكِن قولُهُ على الإطلاق، يُمكِن قولُهُ بِوضوح، وأمّا ما لا نستطيع أن نتحدّث عنه، فلا بُدّ أن نصمُت عنه [3]

إنّ معالِم تأثُر التّجريبيون المناطقة بِفلسفة «الرسالة» لِفتجنشتاين، تنكَشِف حين نعرِضُ بُنود الأحكام التي قَدّمها هذا الفيلسوف عَبْرَ الفَقرات السَبْع الرئيسية في «الرِسالة»[4]وهِي على الترتيب:

- العَالَمُ هُو جميع ما هُنالِك.
- إنّ ما هو هنالِك، أي الواقِعة، هُوَ وجود الوقائِع الذَّرِية.
- الفكر هو الرّسْم المنطِقي للعالَم.
- الفِكر هو القضية ذات المعنى.

(1) فيصل، غازي مجهول، مقال لودفيج فتجنشتاين، المرجع نفسه، ص، 327. نقلاً عن: «فايجل»، التجريبية المنطقية، ص، 239.
(2) Ryle, Gilbert, Ludwig Wittgenstein, in: «Essays on Wittgenstein's Tractatus», Edited by, Irving M, Copi and Robert W.Beard. Rotledge and Kegan Paul, London, First Published, 1966, P.06.
(3) فتجنشتاين، لودفيج، رسالة منطقية فلسفية، تر: عزمي إسلام، المصدر السابق، ص، 59.
(4) انظر: الفقرة، 7-6-5-4-3-2-1- مِن كتاب رسالة منطقية فلسفية، لِلودفيج فتجنشتاين، مع العِلْم أنّ كُلّ فقرة لَها بنوده التفصيلية.

- القضايا عِبارة عن دالات صِدْق للقضايا الأولّية (و القضية الأولّية هِي دالّة صِدْق نفسها).
- الشكل العام لِدالّة الصِدق هُوَ[P, e,N(e)]، أي [ق ¯ ، غ ¯ ، ن(غ ¯)] وهذا هو الشكل العام للقضية.
- إنّ ما لا يستطيع الإنسان أن يتحدّث عنه، ينبغي لَهُ أن يصمُتَ عنْهُ.

رُغْمَ أنّ «فتجنشتاين» نفسُهُ لَمْ يَكُن راضِياً بِصورةٍ كَبيرة عَنْ تفسيرات الوَضعيين المناطِقة لِما وَرَد مِن أحكام في الفقرات المذكورةِ مِن رِسالَتِهِ هذه، ويبدوا أنّه لم يَكُن مُقتَنِعاً بأيّ تفسيرٍ لها مِن أيّ شخص ـ[1](1) وإضافة إلى معالِم التأثُر، نَجِدُ أنّ «التراكتاتوس» يَطْرَح مسألة أنّه رَغْم كَوْنِ المُعادلات الرياضية تبدوا أنّها تَصِفُ(أو ترسُم) علاقات بَيْن كيانات (أو جَواهِر) مُجرّدة، إلاّ أنّها في العُمق هِي قواعِد لِتَحويل (أو لِتغيير) قضايا إمبريقية (بالمعنى التجريبي). فعِلْم الحِساب L'arithmétique)) هُو نسق مِن قواعِد التحويل للقضايا الإمبريقية (التجريبية) الخاصّة بالكَّم والمِقدار ـ[2](2)

كما نَجِد «فتجنشتاين» أكثر ارتباطاً بالقضايا التي تُصَوّر الواقِع، وذلِك مِن خِلال نظريتِهِ في الصُوَر اللُغَوية (Picture Théory) وهِي نظَرِيَتُهُ في المعنى، والتي - تُقَرّر أنّ القضايا هِي بمثابة صُوَر للوقائِع وفي ذلك يقول فتجنشتاين في «التراكتاتوس»: «إنّنا نُصوّر الوقائِع لأنفُسِنا» ، ويقول أيضاً:« إنّ القضية صورة للواقِع. والقضِية أنموذج للواقِع كما نتخيّلُهُ.» ـ[3](3) ولهذا وكما يقول «بيار هدوا Pierre Hadot « في كِتابِهِ «فتجنشتاين وحدود اللغة Wittgenstein et les limites du langage « أنّه ورُغْم تجاوُز «فتجنشتاين» نفسُهُ وأتباعِهِ، لمؤلّفِهِ الأوّل «الرسالة Tractatus» إلاّ أنّه صارَ الكِتاب المُقَدّس للوضعية الجديدة.

(1) فيصل، غازي مجهول، مقال لودفيج فتجنشتاين، المرجع نفسه، ص، 336.

(2) Dictionnaire Wittgenstein, Ibid.P. 50-51.

(3) توم، عبد اللّه محمد، المرجع السابق، ص، 53، نقلاً عن: رسالة منطقية فلسفية، لِفتجنشتاين.

3. التّحليل المنطقي والقابلية للتّحقُق بين «فتجنشتاين» والتّجريبية المنطقية:

توطئة:

لقد ارتبطت الوضعية الجديدة Néopositivisme كتيّار فِكري وفَلسفي، وبِشَكلٍ وَثيق بِتَطَوُّرات أزَمات العُلوم، ولم يَكُن نِتاج ظُهور مُشكلات فلسفية مجرّدة ومُصْطنعة. أين كان هَدَفُه مُنحصراً بالتَّحديد في تزويد النَّظريات العِلمِية بالشَّكل الخَالِص مِن الصَّرامَة،و انطلاقاً مِن ذلك، أَصَّر فلاسِفة الوَضعية المَنطِقية على أنّ العِبارات التجريبية هِي العِبارات ذات المَعنى، بالإضافة إلى قضايا تَحصيل الحَاصِل، وحَذَفوا كُلّ ما عداها مِن عِبارات مِن دائِرة المعنى مِثل عِبارات الميتافيزيقا والأخلاق والجَمَال، بِحُجَّة أنّنا لا نَجِدُ لَها مِن وقائِع العالَم ما تُطابِقُهُ، وتَحدَّدَت بالتَّالي مُهِمَّة العِبارة ذات المَعنى في وَصْف أو تَصوير حالة مِن حالات الوُجود الخارِجي، ثُمّ يَجيء الحُكم على هذه العِبارَة بَعْد ذلِك بالصِّدق أو بالكذِب بِناءاً على قابِلية هذه العِبارة للتحقُق. وإذا أراد الفيلسوف أن يجعل اللُّغة مَوْضُوعاً لِبحثِهِ فليس أمامَهُ سِوى اللُّغة في هذه الوظيفة المَعرفية (التي تُسْتَخدَم اللغة فيها كأداة تُشير إلى وقائِع وأشياء موجودة في العالَم الخارِجي) مُضافاً إلى ذلِك البَّحث في العِبارة اللُّغوية مِن حيث بِنيَتِها ومعناها.[1](1). وبالتالي يبقى شِعار هذه الحركة الفلسفية الأساسي هُوَ: « معنى القضِية هُوَ منهَج تحقيقِها». لقد نَظَرَ الوَضْعِيون المَناطِقة إلى الوَصْف أو ما يُعرَف بالتَّقرير على أنّهُ الوظيفة النَّموذجية الجديرة بالبَّحث الفلسفي، فَجَعَلوا مِن العِبارة التَّقريرية قالِباً تُقَعَّدُ عَليهِ عُنْوَةً كُلّ صُوَر التَّعبير اللُّغوي بِحُجّة أنّ هذه العِبارة هِي وحدها ذات المعنى وِفْقاً لِمبدأ إمكانية التحَقُق للمعنى ـ[2](2). هذا الطَّرْح الإبستيمي والمنهجي لقضِيّة المعنى، وفي اعتقادِنا يَنطلِق مِن الدِّراسات التي قَدَّمَها «فتجنشتاين» الأوّل في مُؤلّفِهِ الرَئيسي الأوّل» رسالة مَنْطِقِيَة فَلْسَفِيَة»، فما هي تَبريرات ذَلِك؟

1.3 التحليل المنطقي للغة بين «فتجنشتاين» والوضعية المنطقية:

إنّ مقدمّة «التراكتاتوس» تُؤكِّد عَزْم «فتجنشتاين» على التأسيس لِوضعِية جِذرية، إذ نلمَسُ مُنذ البِداية، جِدّية وحداثة وَضعِية «فتجنشتاين»: إذ الأمر بالنِسبة إليه، لا يتعلَّق بِتحديد مجال الصحيح (Le domaine du Vrai)، بل بِتحديد مجال التَعَقُّل (Sensé Le do-maine du)، والحدود مِن الداخل(الحدود الداخلية) والتي مِنهُن يكون للغة معنى. في نفس السِّياق، تبحث الوضعية المنطقية - هِي أيضا- في تحديد وتوضيح كَوْن القضايا تكون ذات

(1) عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص،ص 12 ، 13.

(2) المرجع نفسه، ص، 18.

معنى، فقط من خلال مراقبة بسيطة لصورتها المنطقية.[1](1)

فحسب «فتجنشتاين» «اللغة تتألّف مِن قضايا (إذا وضعنا جانِباً، وفي هذا المَقام، ما نَطْلِق على تسمِيتِهِ بالقضايا الرياضية)، القضية هِي صُورة الواقِع، ولِنقارِن القضِية بالواقِع، نَضَع أحْجِزَة أو مُستَوْدعات **(des consignes)** نشاط في قضايا، وهذه الوَدائِع، يجِبُ أن يكون لها نوع مِن العلاقة مَعَ الواقِع، والتي تكون فيهِ الصورة مِن حيث هِي صورة لذاك الواقِع.»[2](2)

في موقِفٍ آخر، يَصِف «فتجنشتاين» في نظرِيَتِهِ حول الصُوَر اللُغَوِية «القضية» بأنّها - أنموذَجاً للواقِع، بمعنى أنّ الأنموذج لَه عناصِر مُترابِطة بِصورة مُعيّنة وأنّ ترابُط تِلْك العناصِر يُعبّرُ عن ترابُط العناصِر(الأشياء البسيطة) في الواقِعة الذَّرِية.[3](3) كما يتبيّن لنا أثناء دِراستِنا للموقِف الفتجنشتايني مِن تحليل القضايا، أنّه يركّز على وُجود نوع واحِد مِن الذرّات، هو الذَّرات الفردية، على عَكْس ما قال بِهِ «راسل»، والذي يعتَرِفُ بِوُجود نَوْعَيْن مِنْها: الذَرّات الفَرْدِية والذَّرات الكُليّة.

هذا الرأي(أي رأي «راسل») ، كان - عُرضةً إلى النَّقد الذي وَجّهَهُ لَهُ الوضعِيون فيما بَعْد في أنّهُ أفْسَح مَكَانَهُ في عَالَمِهِ للموجودات المُجردّة غَيْر المَحْسُوسة (Abstract Entities)-[4](4) إلاّ أنّهُ ورَغْمَ أهمِيّة العَمل الذّي قام بِهِ كُلّ مِن «راسل» و«فتجنشتاين» في بِناء وتأسيس نَظَرية الذَّرية المنطِقية، فإنّ هذا المَجْهود لَمْ يَسْلَم مِن النَّقد، الذّي كانَت - جَماعة فيينّا (أو أنْصَار الفلسفة التّجريبية المنطِقية)، مِن بَيْن الذّين عَمَدُوا على هَدْم تِلْك النَّظرية، بَيْدَ أنّ نَقْدهُم كان مُستَنِداً وبِشكلٍ رئيسي على كِتاب «فتجنشتاين» الأوّل: «رسالة منطقية فلسفية»، الكِتاب الذي بَثّ في النّظرية ذاتها وأبدى بعض تَحَفُظاتِهِ على جوانِب أخرى تَتّصِل بِها.[5](5) فالشيئ الغريب هُنا، والذي يدفعُنا إلى الحيرة، قائِم حول فكرة التأثر البالغ للوضعيين المناطقة مُمَثلين في «جماعة فيينا» بكتاب «التركتاتوس»، واعتِمادِهِم عليه في بِناء الجُزء الأكبر مِن فلسفتِهِم، وفي نفس الوقت نَجِدُهُم ينتقِدون أبرز طرحٍ فيه، مُمثَلاً في نظرية الذّرية المنطِقية، باعتِبارِها نوعٌ مِنَ الميتافيزيقا؟ إنّنا لا نستطيع تجاوز هذه المُفارقة، إلاّ حينما نتَتَبَع جَيّدا مراحِل سير القَول الفيتجنشتايني في مُؤلّفِهِ «الرِسالة». حيث يكشِف لنا «فتجنشتاين»

(1) Hadot, Pierre, WITTGENSTEIN et les Limites du Langage, Librairie Philosophique J. VRIN, 3ème Tirage, 2010, P.50-51.

(2) Ludwig Wittgenstein, LES COURS DE CAMBRIDGE 1930-1932, Leçon A1, Établis par Desmond Lee, Traduit de l'anglais par Élisabeth Rigal, Éditions T.E.R. 1988. P.1.

(3) توم، عبد اللّه محمد، المرجع السابق، ص، 80.

(4) المرجع نفسه، ص، 83.

(5) المرجع نفسه، ص، 99.

في أجزاءٍ كثيرة مِن كتابِهِ هذا، على أطروحاتِهِ المُضادّة للميتافيزيقا، والتي تُزيح نِهائِياً فِكرة القول بتصنيفِه ضِمن الكُتُب التي تتناول الميتافيزيقا بِصِفتِها الغير مشروعة (الميتافيزيقا التي تطرح القَضايا الخَالية مِنَ المَعنى)، حيث نَجِدُهُ يُعبِّد الطريق لِنقد الميتافيزيقا إذ يقول: «إنّ معظم القضايا والأسئِلة التي كُتِبت عَن أمور فلسفِية، ليست كاذبة، بل هِي خالِية مِن المعنى. فلسنا نستطيع إذن أن نُجيب عن أسئِلة مِن هذا القبيل، وكُلّ ما يسعُنا هُو أن نُقَرِّر عنها أنّها خالِية مِن المعنى، فمُعْظَم الأسئِلة والقضايا التي يقولها الفلاسفة، إنّما تنشأ عن حقيقة كَوْنِنا لا نَفهَم منطِق لُغتِنا(فهِي أسئِلة مِن نفس نوع السؤال الذي يبحث فيما إذا كان الخير هُو نفسُهُ الجميل على نَحْوِ التَّقريب). إذن فلا عَجَب، إذا عَرَفْنا أنّ أعمق المُشْكِلات ليست في حقيقتِها مُشكِلات على الإطلاق.»[1](1) وبالتالي تَنْفَكُّ عُقود هذه المُفارقة، حينما نَرى «الوضعيون المناطِقة، والعاكسين لِرُوح الفلسفة التّجريبية المنطِقِية مُمثلّة في جَماعة فيّينا (مِن خِلال أعْلامِها البارِزين: «شليك»، «كارناب»، «نيوراث»، «وايزمان»، «هانزهان»)، يَنطَلِقون مِن الرَّفْض الفيتجنشتايني للميتافيزيقا أَيْنَ نَبَعَت نَظْرَتُهُم المُقَوّضِة للميتافيزيقا، مِن الانتقادات التي انطوى عليها كِتاب «الرِسالة»: إذا كانت كُلّ القَضايا عِبارة عَن دَوال صِدقٍ للقَضايا الأوّلِية التي تَتَحدّث عَنِ الواقع التّجريبي، فإنَّهُ إمّا أن تكون تِلْك القضايا تَجْرِيبية أو تحصيل حاصِل، لَكِن القَضايا التِي تُشَكِّل الميتافيزيقا لا تَنْتَمي لأيّ مِن النَّوْعَين. وهنا تدخُلُ فِكرة الوَضعيين المَناطقة التّي تَرى أنّ مَعنى القَضيّة هُوَ طَريقة تَحَقُّقِها أو التَثَبُّت مِنْ صِدقِها والذّي عَبَّرت عَنْه في المَبْدأ المَعروف بِمبدأ القابِلية للتَّحَقق(Vérifiability Principle)- [2](2)

فَفِي حالة ما إذا لم يَكُن هنالك وسيلة للتأكُد من أيّ قضية أو جُملة، تصير هذه الأخيرة مُفرغة مِن المعنى، وبالتالي وحسب هذا المِعيار، تصير القضايا الميتافيزيقية التأملية، مُجرّدةً مِن كُلّ معنى. إنّ المنهج لا يقوم في نظر «الوضعيين المنطقيين، أو الوضعيون الجُدُد» إلاّ وِفق القاعِدتين الآتيتين: «التحليل المنطِقي للغة» وقاعِدة « التثَبُّت التجريبي». وكَما هُو مَعْلُوم، أنّ قِراءتِهِم المُتَمَعِنَة «لِلرسالة المنطقية الفلسفية»، دَفَعَتْهُم إلى الاهتمام بموضوع اللّغة، كأداة لمعالجة المُشكِلات الفلسفية، وكانَ مِن نتائِج ذلك الاهتمام، هِي اختزال مُهِمّة الفلسفة الجديدة، في «نقد اللغة وعِلاجُها».

إنّ الإضافة الجديدة التي أفاد بها «فتجنشتاين» الفلسفة التجريبية المنطقية، أو الوضعية الجديدة – تكمُن في قولِهِ ، أنّ كُلّ شيء يُخْتَزَل إلى اللُّغة، فحتّى المُعطيات التِي يَتِّم مُلاحَظتُها تُخْتَزَل إلى لُغتها، وذلك لأنّها لا تُوجد إلاّ عِنْدَما يتّمُ التعبير عنها؛ (العِبارات التي تُعبّرُ

(1) فتجنشتاين، لودفيج، رسالة منطقية فلسفية، المصدر السابق، ص، 69، أنظر الفقرة:(4,003).
(2) توم، عبد اللّه محمد، المرجع السابق، ص، 103.

عَن المُعطيات الحِسّية، والتي تُسّمى بِعِبارات البروتوكول). وكما قُلنا سابِقاً، فإنّ الوَضْعيُون يستعمِلون تَعاليم «فتجنشتاين» مِنْ أجل الوُصول إلى تَحقيق صَرامة عِلْمِية في تَشْكيل النَّظَريات العِلْمِية، ومِن هُنا كانَ تَركيزهُم على تَحليل اللُّغة العِلْمِية بِدِّقة عالِية، مُرَّكِزينَ عَلى الجَانِب التَّركيبي والجَانِب الدَلالي للّغة-[1](1)

انطلاقاً مِن هذا الطرح، والذي يَعْتَبِر حَلقة فْيِينَّا، مَع انطلاقة الفلسفة الوضعية المنطِقِية في ثَوبِها الجَديد، قِراءة لِفلسفة «فتجنشتاين المُتَقدّم»، مُعتَبِرةً نَصّهُ هذا (إشارة إلى «التراكتاتوس»)، بِمثابة الدُسْتُور المُؤَسِّس للوضعِية الجديدة، حتّى ولَوْ كانَ هُناك بَيْنَ أُطروحات مُصَنَّف (أي «الرِّسَالَة») وأُطْروحَاتِهم تَناقُض واضِح في أُمور أساسِيَة [مَثلاً في اعتِبارِهِم أنَّ القضَايا ذات المَعْنى هِيَ القَضايا التي يُمكِن التَثَّبُت مِنها بالمُلاحظة والتّجربة مُقابِل القضايا المَاوَرائِية، أو تِلْك التي تَتَناوَل الأُمور الغَيْبِية، بَيْنَما يَعْتَبِر «فتجنشتاين»، أنّ معنى القَضيّة لا يَرتَبِطُ بالمُحْتَوى أو بالمَوْضوع، بِقَدْر ما يَرتَبِط بِتركيبِها النَّحْوي، أي المَنْطِقي، لِذلك حَسبه فالخَطأ والصَواب ليس مُرتَبِطين بالتوافُق مع الواقِع، إلاّ مِن خِلال مِرآة التركيب][2](2) وبالتالي فإنّ العَلاقة بَيْنَ البِنْية المنطِقِية والبِنية اللُغَوِية عِند «فتجنشتاين» اتضّحت رُؤيَتُها في «التراكتاتوس « إلاّ أنّهُ ومَعَ « أبحاث أو تحقيقات فلسفية» توسّعت دائرة التوضيح بِصُورة أكبر.

إنَّ الوضعية المنطِقية، ترى في جوهَرِها أنّهُ يُمكِنُ التحدُّث عن كُلّ ما يَهُمُّ في الحياة، أمّا «فتجنشتاين» فَقَناعاتُه تُحِيلُهُ إلى أنَّ كلّ ما هُو مُهِمٌ في الحَياة حقاً، هُوَ بالذّات ما يَنْبَغي أنْ نَصْمُت عَنْه. كَما أنّ الاشتغال حَوْلَ مَسألة «المعنى» كان نقطة الاشتراك بَيْنَهُما (أي بين «فتجنشتاين» و»جماعة فيينّا»)، وكانت بِداية البحث في هذه المسألة قائِم على التسليم بالمبدأ القائِل بِوجود تطابُق بين الفِكرة والواقِعة، ولِذلِك - فإنّ أعضاء حلقة فيينا رفضوا القضايا التي لا تُصوِّر الواقِع، بل وحكموا عليهِ باللاَمَعْنى، ذلِك وكما سبق وأن عَرَضْنا أنّه يستحيل وضْع تقريرات عِلْمِية، في قضايا ميتافيزيقية لا يُمكِن التَحَقُّق منها، بالنظر إلى أنّها ليست قضايا دقيقة ولا يُمكِن رَدُّها إلى التَحَقُّق التجريبي، بالإضافة إلى أنّها مُبْهمة وغير واضِحة، لأنّ تحليلها يُفْضِي إلى تناقُضات-[1](3) وما يَكاد يُفَسِّرُ بِصورة دقيقة حقيقة الاعتقاد الذي تؤمِن بِه الفلسفة التجريبية المنطِقِية، هذا الرأي لِفتجنشتاين حيث يقول في مقامٍ أوّل: «القضية يجِبُ أن تمتَلِك نفس الوَفرة (التعدُدِّية) المنطقية بالنِسبة للحَدَث (الفِعْل) الذّي

(1) ليدفيكو غيمونا، موقف من الوضعية المنطقية، مجلّة : الفكر: العدد 230، 1982، ترجمة: بغورة ، زواوي، منشور في مؤلّف جماعي، «مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، دراسة تاريخية نقدية، مع نصوص مترجمة، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، د(ط،ت)، ص، 315.

(2) عبد الرزّاق بنّور، مقدمة المترجم، من كتاب: «تحقيقات فلسفية، لِلودفيج، فتجنشتاين، المصدر الأسبق، ص،ص، 32،33.

(3) ولباني، مليكة، مقال: حلقة فيينّا، أو . دِفاعاً عَن الفلسفة العِلْمِية، إعداد: سعاد، تونسي، مجلّة آيس، المرجع الأسبق، ص، 85.

تَرْجَعُ (تعود) إليه.»[1]

إنَّ طَلَب الوُضوح، والابتِعاد عَنْ كُلّ ما هُو غامِضٌ مِن عِبارات، كان الحَافِز لِبناء قاعِدة مَنْهَجية، مَبْنِية على قَواعِد التَّحليل المَنطِقي، كَضَمان عِلْمي لتَحقيق الدِّقة والصَّرامة والانسجام والتماسُك، في البِنْية الداخلية للعُلوم وحَتّى في الفلسفة ذاتها. إذ صَارَت بِفَضْل البَّحث الجَّاد والمُستحْدَث الذي قامَت عَليه كُلاً مِن أبْحَاث «فتجنشتاين» وأعضاء جَماعة فيينَّا، فلسفَةً وَضْعِية تَقُومُ على المُمارسة العِلْمِية دون أنْ تَكون عِلْماً. إذن فالخلْطُ والغُموض ناتِجٌ عن سوء فَهْمِنا لِمنطِق لُغَتِنا، - فقد ربط «فتجنشتاين» ظهور تِلْك المُشْكِلات بِسبَب أنّنا نُحاوِل قوْل ما يُمكِن فقط إظهارَه، وهُوَ ما عبّر عنه بِسوء فهْم لِمنطِق اللغة. ومِن أجل منع مُحاولتِنا تلك فإنّ فتجنشتاين، يرسُمُ حدود اللغة ليس جُزئِياً، ولكن حُدودها كَكُل، فالرِّسالة تَقُول بوجود صورة عامّة للّغة، هِي التي تُحَدِّد اللُّغة كَكُل(ويَكُونُ ذَلك بِأَن تَكُون اللُّغة رَسْماً للعَالَم) وهذه الوظيفة بمثابة حَدّ لها، وإذا تجاوزنا ذلِك الحّد فإنّ ما نقوله لن يكون سِوى عِبارات زائِفة-[2]فَالفَلسفة وكَما يَرى «فتجنشتاين»، كُلّها نقدٌ للُّغة.

نُقطة أخرى يتطرق إليها «فتجنشتاين» في عَمَلِهِ الخاص بالتّحليل المنطِقي، حيث نَجِدُهُ يُقيمُ تقابُلاً بين «النحوي» و»المنطِقي» مِن خِلال تحليلِه للجُملة، التي يرى أنّها تحتوي على بِنْية ظاهِرية تُخْفِي ورائها بِنْية منطِقية. لهذا تَتَدَخّل مُهِمّة المنطِق الحديث في تحليل بِنْية الجُملة لأجل بيان الخلل الحاصِل في تركيبِها. فالتمييز بين النحوي والمَنْطِقِي معناه أنّ بعض الجُمَل التي تُصاغ وِفق قواعِد النحو في لُغَة ماَ، قد لا تُمَثِّل بالضرورة قضايا، فهِي سليمةٌ مِن حيث تركيبتها النّحوية (تشتَمِلُ على العناصر الأساسية المُشَكِّلة للجُملة)، ولكِنّها في مُطابقَتِها للواقِع خالية مِن المعنى. على العُموم يُضيف «فتجنشتاين» قائِلاً «عَلَيْنا طَلَب(معرِفَة)، تَوضيحات للمَعْنَى، لأنّهُ مَهْما كان التَّوضيح لِذَلِك، فَالأَمْرُ يَتَعَلَّق بِالمَعْنَى.»[3](1) وفي مقام آخر، نَجِد «فتجنشتاين يُجيب على السؤال: **ما المَعْنى؟** وذلِك بعِبارةٍ مُوجزةٍ جِدّاً إذ يرى أنّهُ - هو الذي يَرُدُّ على سُؤال المعنى.[4]

بدون شَّك هناك علاقة بين «معنى Sens» و« استفهام(سُؤال) Interrogation». معنى «قول»، «قضِيّة»، «خِطاب»، بإيجاز، مَعْنَىَ النَّص يَتَحَدَّد (يُعطى) بِمُجَرّد أن نَعْرِف ما هُوَ

(1) L. WITTGENSTEIN, LES COURS DE CAMBRIDGE 1930-1932, Leçon A II.4, P. 5-7.[«Une Proposition doit Posséder la même multiplicité logique que le fait auquel elle se rapporte.»].

(2) حمود، جمال، التحليل والميتالغة بين راسل وفتجنشتاين، مجلّة آيس، المرجع نفسه، ص، 57.

(3) Wittgenstein, Le Cahier bleu et le Cahier brun, OP. Cit, P. 35.

(4) le sens et ce qui répond a la questions du Sens

مُتَسَائَل عَنْهُ ـ[2](1) فالقَضيّة الصَحيحة والصادِقة حسب «فتجنشتاين» هِي التي تنتمي إلى العالَم وتعكِسُ صورتُه، وهذا هُو المَعنى الذي قَصَدَتْهُ «الوضعية المنطِقية» أثناء تمييزِه بين أن تكون للقضية معنى وأن تكون صحيحة. يقول «فتجنشتاين في هذا السِياق: «مجموعة القَضايا الصادِقة هُوَ كُل العِلْم الطَبيعي.»[3](2)

2.3 التَّحقق التَّجريبي ومُشكِلة الفَصل في صِدق القَضَايا:

انطلاقاً مِمّا سلّمت به الوضعية المنطقية، مُمَثلّة في الفلسفة التجريبية المنطقية، أنَّ الميتافيزيقا هي الخطر الرئيسي على كلّ أنماط المعرفة الموضوعية التي يتسنى للفكر الإنساني الوصول إليها بالعموم، وعلى الفلسفة بالخصوص، وبِالتَالي فإنّ تقويضها ودَحْضِها صَارَ حَتْمية ضَرورية بالنِّسبة لَهُم. ولَكِن ما هِي خَلفِيات المَنْهَجِية التي سَلَكَها «الوضعيون المناطقة» مِن أجل تَحقيق ذاك الهَدف الذي بَدَا لَهُمْ أوْلَوِيَة الأَوْلَوِيات؟ وهل كان لِفَلسفة «فتجنشتاين» الأولى دَوْرٌ في ذلك؟ وعَلى أيّ أسَاس يَقُوم مَشْروعَهُم المَنْهَجي والإبستيمي في تَحْقيق ذاك المَطْلَب الرَئيسي؟ ومَا هِي حُدود المُمَارسة الفِعْلِية لِهذه المَنْهَجية المُتَّبعة في استبعاد الميتافيزيقا؟

لقد رَكزَّ الوضعِيُون المَنَاطِقَة وبِدرجةٍ كبيرة مِن خِلال أبحاثِهم، على مسألة حاسِمة، كَانَت بِمثابة انقِلاب جِذري في تاريخ الفِكر الفلسفي عُموماً والمُعاصِر بالخُصُوص، إذْ أكَدّوا عَلى ضرورة تقويض الميتافيزيقا، واستِبْعادِها نِهائِياً مِن مجال الفلسفة وكان ذلِك عن طريق «مِعيار التّحَقُق « الذِّي وِفْقاً لَهُم لا يَتَحَدَّد المعنى الواقِعي لِعِبارةٍ ماَ، إلاّ مِن خِلال تَحَقُق ذاكَ المعنى. وهكذا فقد «جعل الوضعيون المناطقة مِعْيار التَحَقُق جُزءاً لا يتجَزأ مِن نظريتِهم في المعنى، ونَظَريتِهم في هذا الخصوص تُفرّقُ تفريقاً حاسِماً بَيْنَ مَا يَحمِل مَعْنىَ نَظري أو»معرفي» وبين الفارِغُ مِن المَعْنَى النظري، أو الذي يفْتَقِرُ إلى المعنى المعرفي. »[1](3)

انطِلاقاً مِن هذا التَصوّرُ لِنظرية المعنى عِندهُم، أعلنوا مبدأ إمكانية التحَقُق كمنهجية مُثلى لاستبعاد كلّ ما له علاقة بالميتافيزيقا في مجال الفلسفة، ساعيين لأن يجعلوا مِنها وعلى حَدِّ تعبيرِ «هوسرل E. Husserl « عِلْماً صارِماً. هذا السعي لإضفاء صِفة الصرامة على الفلسفة، كان بِناءاً على تبنّي الطرح الذي نظَّرَ إليه «فتجنشتاين» خاصّة في المَشْرُوع الأوّل الذي طَرَحَهُ حول منطق اللغة وعلاقته بالواقع مِن خلال البُنود الذي ذكرها في العديد من الفقرات الواردة في مُؤلّفِهِ: «رسالة منطقية فلسفية». هذا ما عبَّرَ عَنْهُ مثلا في الفقرة

(1) Michel Meyer, Logique, langage et argumentation, Classiques Hachette, Paris, France, p.128.

(2) فتجنشتاين، لودفيج، رسالة منطقية فلسفية، المصدر السابق، ص، 91.

(3) نفادي، السيد، اتجاهات جديدة في فلسفة العِلْم، مجلّة الفِكر، المجلّد الخامس والعشرون(25)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد الثاني، أكتوبر/ ديسمبر، 1996، ص، 90.

الثالثة حيث يقول: «و الفِكْرُ هو الرَّسْمُ المنطِقي للواقِع2[1] » والبُنود الشارحة للفقرة في مُعظَمِها تؤكِّد أنّ صِدق القضِية، إنّما يجيء مِن مُطابقة الفِكر لِما تُدرِكُهُ الحواس. فكما وَرَدَ في الفقرة (3,01 و3,02)[2] على التوالي: أنّ «مجموع الأفكار الصادقة هُوَ الرسم الذي رسمناه للعالَم» وأنَّ «الفِكر هُوَ إمكان الوُجود بالنِسبة لأمور الواقِع التي تكون موضوعاً لِتفكيرِه. فما يُمكِنُ التفكير فيهِ هوَ كذلِك مُمْكِن الوُجود». كذلِك نَجِدُه في نفس الفقرة الثالثة وفي البُنْد رقم (3,142)[3] يُؤكِّد على أنّ معنى القضايا يكون مِن خِلال مُلائَمَتِها لِنِظام الوقائِع فيقول: «الوقائِع وحدها هِي التي تَدُلُّ عن معنى، أمّا مجموعة مِن الأسماء فَلاَ تَستطيع ذَلِك. (لأنّها مُفكّكة ومُنفصلة عن بعضِها)». مِن هذه الأفكار ومَثيلاتِها الواردة في «التراكتاتوس››، كان القَّول بِفكرة «القابلية للتَّحقق» لدَى التّجريبية المنطِقية، حيث أنّ الفِكرة الرئيسية التي تَكْمُن هذا المبدأ (إمكانية التّحقُق) هِي أنّ «القضايا التي تُعلن أنّها تُقَرِّرُ شيء ما عن العَالَم الواقِعي على عَكْس القضايا القبلية/ التّحليلية، التي تَكُون صادِقة في أيّ عَالَم مُمْكِن تكون ذات معنى إذَا وَ فَقَطْ إذَا كَانَت ثَمَّةَ مُلاحَظَات مُمْكِنَة، وتكُنُ نَتيجَتها مُوافِقَة لِصِدْقِ أو كَذِب القضِيَة. »[4]هكذا صَاغ الوَضعِيُون المَناطقة مَبدأ إمكانية التّحقُق، إذ حَصَرُوا وظيفتُهُ، في اعتِبارِهِ الأداة المَنْهَجِية المُثْلى في الفصْل بين القَضايا العِلْمِية مِن ناحِية والميتافيزيقية مِن ناحية أخرى، اعتِقاداً مِنهُم، اعتِقاداً جازِماً أنّ هُناك فصْلٌ تَامٌ بَيْنَ القَضِيَتَيْن. لأنّه وفي نَظَرِهِم يُمكِن الاختِبار والتَحَقُّق تجريبياً مِن صِدْق أو بُطْلان جَميع الأقوال، حتّى الأقوال الميتافيزيقية. وهكذا تَنْشأُ المعارِف الصحيحة حَسْبَهُم. لَقَد كانَ طُموح الوَضعيين المناطقة مُجَسّد في فكرة الوُصول إلى إعطاء النّظريات العِلْمِية الشّكل الخالِص مِن الصرامة كما سبق وأن أشرنا وكُلّ نَظَرية تُحَقِّقُ هذا الهَدف، تُعْتَبَرُ بالنِسبة إليهِم نِهائِية، وهذا سَعْياً مِنْهُم لِتأسيس ما يُطْلَق عليه العِلْم الخالص باعتِبارِهِ مثلاً أعلى يطمحون إلى الوُصول إليه، وهذا الأخير في نظرِهِم يُمكِن تحقيقه بالبّحث على أحسن الوسائِل التي تُمكّنهُم مِن ذلك، فكان مبدأ إمكانية التحقق التجريبي أحد أقوى تِلك الدعامات، إذ صارَ بمثابة المثل الأعلى للوصول إلى أيّ معرِفة يقينية مُبرهَنة. وقد أَكَدَّ على ذلِك – كما يرى «عادل عوض››[5]- عَلىَ أنّ أنصار الوضعية المنطِقية أمثال «شليك» و«ويزمان» يرون أنّ القضايا التجريبية إنّما تَتَحَقَّق تَحَقُّقاً

(1) «L'image logique des faits est la Pensée» voir: Ludwig Wittgenstein, Tractatus Logical Philosophicus,Trad, preambule,et notes de Gilles Gaston Granger, INTRODUCTION PAR: Bertrand Russell, Éd. Gallimard, 1993, P. 41.Paragraphe (3.1)

(2) L. Wittgenstein, IBID. Paragraphe (3.01- 3.02) P. 41

(3) IBID. Paragraphe (3.142) P. 42.

(4) نفادي، السيد، اتجاهات جديدة في فلسفة العِلْم، المرجع السابق، ص، 90.نقلاً عن: Pap, Arther, An Introductions to the Philosophy of Science, Eye r& Spothis Woods Pub.London,1963.P.24.

(5) عادل عوض، منطق النظرية العلمية المعاصرة وعلاقتها بالواقع التجريبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د(ط)، 2000، ص،294.

يجعلُها مُطْلَقَة الصِّدق واليقين، فَمِن وِجهة نظرِهِم لا توجد سِوى طريقة واحِدة في التّحقُق هِيَ التَحَقُّق الحاسِم، وهِي أنّ كلّ قضية بِما فيها القضِيّة التجريبية العامّة إنّما تتحَقَّق تَحَقُّقاً حاسِماً، أي أنَّهُم أخَذوا التَحَقُّق بالمعنى القَّوي.

في نفس السِّياق أي قضية منهجية البَّحث وتفسير نِظام الوقائِع نَجِد أنّ «فتجنشتاين» قد اختار لنفسِهِ - مذهباً تجريبياً أشَّد تَطَرُفاً مِن التّجرِيبيين أنْفُسهم، فالعالَم كُلُّه عِندَهُ يتألَّف مِن وقائِع بسيطة لا تتوقّف واقِعة مِنها على واقِعة أخرى، بأيّ وسيلة من الوسائل وهذه الوقائِع بمثابة مادّة موضوع البَحث التي ينتهي إليها التحليل بالنِسْبة للعِلْم التجريبي، ولُغَتُهُ في حقيقتِها تهدِف إلى تقرير الوقائِع-[1][2] هذا يوحي بوُجود مُماثلة بين بِناء اللغة وبِناء الواقِع، بحيث ينعكِسُ تركيب الواقِع على تركيب اللغة، وهذا هُو نفس ما آمنت بِهِ الفلسفة التجريبية المنطِقِية في مُمارسَتِها للتحليل اللغوي. وفي هذا السياق - يؤكِّدُ «فتجنشتاين» على أنّ القَضِيّة هِي صورة أو لوحة للواقِع-[1][2] ومعنى ذلك، أنّ اللغة تعتبر كالخريطة رسماً للوجود الخارجي، فالاسم الوارد في القضِيّة، يُقابِلُهُ الشيء في الواقعة.«فتكون بذلِك القضِيّة إسقاطٌ Projection للواقعة التي ترسُمُها، ويتِّم استعمال مُصطلَح إسقاط، كما يتِّمُ استعماله في الهندسة الإسقاطِية.»[3][2]

إنَّ تَحْليل اللُّغة بِهذه الكَيفية التّي صَوَّرها لَنا «فتجنشتاين» تكْشِفُ لنَا، عَنْ قُدرتِها على تَصْوير الحَقيقة، والتي تَتَوَقَّف على مَدى مُطابَقتِها للواقِع بوُجود شَيء مُشْتَرَك بَيْنَ القَضِيّة والواقِعة، هُو الصُّورة المَنطِقِية التي تُؤدي إلى التَّركيب الحَقيقي للواقِع. كَماَ نَجِدُهُ بنَفْس عَقْلية ودَرجة الاهتمام يَقُولُ في مَوْقِعٍ آخَر واصِفاً حَقيقة العَلاقة وبِنَوْعٍ مِن أُسلوب التَّمثيل (مِنْ تَقديم المِثال) بَيْنَ القضِيّة والواقِع الذي تَصِفُه: «للقَضِيّة (A)، مَعَ الواقِع، نَفْسُ العَلاقة كَمِسْطَرة القِياس مَعَ أيّ شَيءٍ موجود. لا يَتَعَلَّقُ الأمر هُنا بِالمُقارنة، فَالمِسطرة المُدَرّجة مُجَرَّد مِثال عَن هذه العلاقة. إنّ القواعِد التي تُفَسِّر مَنْهَجية التَّطبيق تَنْتَمي للّغة، إنّهُم(أي تِلْك القواعد) جُزء مِنها، فَإذا قُلْت: «هذا المَكْتَب عالٍ بثلاثة أقدام» يجِب أن أَعْرِف أيُّ مَكْتَبٍ أنا بِصدد الحَديث عَنْه(أو أَيُّ مَكْتَبٍ سَأُشِيرُ إليه). فَوُجودُهُ مُرْتَبِط (أو هُوَ مَرْهُونٌ) باللُغَة. كلّ الشُروط الضَرورية في مُقارنة القَضِيّة مَعَ الواقِع تَنْتَمي(أو هي قِسْمٌ أو جُزءٌ مِنْ) إلى القَواعِد (الأُصُول) التي تَحْكُم مُمارَسَة اللُّغَة على الواقِع.»[4][3] فَهَل كُلّما كان للقَضيّة مَعْنَى تَكُون

(1) الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة جلال العشري، تحت إشراف: زكي نجيب محمود، الأنجلو-مصرية، القاهرة، 1967، ص،ص،210 -212.

(2) Jean, Gerard Rossi, La Philosophie analytique, L'armattan, France,2002, p.30.

(3) صلاح، اسماعيل عبد الحّق، التحليل اللغوي عِند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص،81.

(4) L. WITTGENSTEIN, IBID. Leçon A III, (1,) P.P.6-7-8.

بِالضَّرورة صَحِيحَة ؟

في هذا المجال، تطرح التّجريبية أو الوضعية المنطِقية قضِيّة التّمييز بَيْنَ أن يكون للقضية مَعنى وبَيْنَ أن تكون صَحيحة، فالقضِيّة تَكسِبُ معناها، بِوجود القابِلِية للتَحَقُّق مِن وُجود واقِعة تُقابِلُها عَن طريق التجربة، وإن استحال ذلِك فعَن طَرِيق «التحليل المنطِقي للقَضِيّة» التي يكُون لها معنى إذا لم تَخْرُج في بِنائِها عن قوانين المنطق. لكِن وغالِباً كما يَرى «ألفريد آير»[1] يَحْصِرُ جُلْ الوَضعيين المناطقة القضَايا ذات مَعنى فيما يُمكِنُ تحقيقُها تَحقيقاً حاسِماً، أي التَحَقُّق بِمعناه القَوِّي، حيث يُمكِنُ التأسيس للصِدق المُطْلَق للقضية في عالَم الخِبرة، أيْنَ تَلْعَبُ المُعطيات الحِسّية دوراً جوهرِياً في إدراك وتَحقيق يقينِية الصِّدق. لقد كان «مبدأ التّحقُق» بالنِسبة للوضعيين المناطقة، مسألةٌ حاسِمة في العِلْم التجريبي كما يرى بُتْنام Putnam. H [2][1]ـ في مُقابِل ذلِك، نَجِدُ «فتجنشتاين» في شَرْحِهِ للعَلاقة بَيْن الوَقائِع، يستَخْدِمُ الشَّكْل العَام الآتي: «a R b »، بِمعنى أنّ الواقِعة «a» على علاقة بالواقِعة «b». وهذا بالمِثْل سَيَنْطَبِق بالنِسبة إليهِ أي «فتجنشتاين» على تَشَكُّل القضايا الجُزئية التي تتَمَثَّل في كُلِّ مِنها واقِعَة بسيطة، وكلّ قضية جُزئِية تتكوّن بِدورِها مِن أسماء لها دلالَتُها على الموضوعات وعلى الترابُط بينها، شأنُها شأن الكِتابة الهيروغليفية التي تُمَثِّلُ بالصورة الوقائِعُ التي تَصْنَعُها. والدَليل على واقِعِية فتجنشتاين، ما أورَدَهُ مِن أمثِلة لها علاقة مُباشرة بِمُعْطيات الواقِع، وعَبْرَ الكَثير مِن الفَقرات الواردة في مؤلّفِهِ» أبْحاث فَلْسَفية« ولِنَذْكُر على سَبيل الدَّعْم، ما وَرَدَ في الفقرة (VIII)، إذْ يَقُول: «أسْتَطيع أَنْ أبْنِي الغَيْرُ مُعْطَى مِن خِلال المُعطى»[3][2]. فَالمَلْفُوظَات التي تُشكِّلُ القَضايا هُنا، لا يكون لها معنى إلاّ حينما تَكُونْ تُمثِّل وُجُود الوقائِع. والقَضِيّة تَكون حِينَها صادقة، لأنَّ الواقِعة الموجودة في الملفوظة أو العِبارة على سبيل التجربة مُحقَّقة الوجود. وهذا ما قَصَدَهُ في نَظريتِهِ الخاصّة في التَمَثُل.[4] وكخلاصة لآرائِهِ في هذا السِياق، يقول «فتجنشتاين»: «إنّي أعتَبِرُ(أعُدُّ) وكواحِد مِن الذّين ينتمون إلى الحقل اللُغَوي، كلّ حَدث (أو

(1) هناك بعض الفروقات بين الطرح الذي يُقدِّمُهُ "آير" لمبدأ التحقق والطرح الذي يُقدِّمُهُ الوضعيون لَهُ، إذ أنّ هؤلاء الأخيرين يؤكِدّون على التحقق الحاسِم للقضايا أي التحقق بالمعنى القَّوي، فالقضية لا تكون ذات معنى إلاَّ إذا تَمَّ حَصْر جميع الأمثِلة الجُزئِية التي تندَرِجُ تحتها والتي تُثْبِتُ صِدقَها أو كذِبها، أمّا "آير" فيُميِّز بين نوعين مِن التَحَقُّق: المُباشِر ويكون حينما نتحدّث على موضوعات تُدرَكُ على نحوٍ مُباشِر مِثل إدراكنا لِعيِّنات من النُّحاس والحدّيد، وتحقُّق غير مباشِر(بِمعناه الضعيف) عِندما نتكلَّم عن موضوعات واقعية لا تُدرَك على نحوٍ مُباشِر، رُغْم أنّ لها وجود فِعْلي، واقِعي، كَالإلكترونات والطّاقة.

(2) **Putnam. H, " the Corroboration of Théories ", In,"The Philosophy Of Science" 2nd éd, A Brodford Book, The MIT Press, Cambridge, U.S.A. 1991, P. 122.**

(3) **L. Wittgenstein, Remarque Philosophique, OP.Cit. Parg (VIII), P. 76.**

(4) ترى هذه النّظرية، أنّ العَالَم يتكوّن مِن أشياء ومِن هيئات. حالات الأشياء / تُشَكِّل الأشياء "جوهر" العَالَم وهِي بِصِفتِها أشياء بسيطة وثابِتة ومُستقِلّة عن حالات الأشياء. أمّا في حالة الأشياء(أو الوقائِع)، فالأشياء ترتَبِطُ فيما بينها عبر علاقات، بِحيث تُشَكِّل هذه العلاقات العُدّة المنطِقِية للعالَم.وهِي تُحَدّد بذلِك أيضاً نُقطة الالتقاء بين اللُغة والعالَم.

واقِعة) يأخُذُ معنى «قضية»، يفتَرِضُ أن يكون موجوداً (الوجود)».[3](1)

هُنا وعبر هذه النِقاط التي أثَرْناهَا أثناء تحليلِنا لِمسألة»التحليل المنطقي للُّغة والتَّحقُّق التّجريبي مِن صِدق القضايا»، تَكْمُنُ في اعتِقادِنا أهّم نِقاط المُقَارَبَة بين «فتجنشتاين» في مرحَلَتِهِ المُتقدِّمة خاصّةً و«الوضعِية المنطِقية».

(1) **L. Wittgenstein, IBID. paragraphe,(IV. 45), p.76.**

4. «الأبحاث الفلسفية ومنطق اللغة عِنْدَ التجريبية المنطِقية» - جدلِية العَوْد والتَجَاوُز- توطئة:

تُعْتَبرُ حركة الفِكر الفلسفي والمنطِقي في انزِياحاتِها، حركة مُزدَوَجة، حيث يَتَّفِق جُل الدارسين لِفَلسفة «لودفيج فتجنشتاين» أنّها مرّت بِمرحلتين[1] حاسِمتين في مسارهِ الفِكري: المرحلة الأولى هِيَ مرحلة «فتجنشتاين الشَّاب أو المُتقدِّم»، والتي طرح فيها نظرتُهُ مِن العَالَم ولِقضايا اللغة والعِلْم، مؤكِداً على ضرورة التبني للتحليل المنطقي كأداة لِتأسيس ما يُسّمى عِندَهُ الميتا-لُغة Metha-language أو اللُغة المِثالِية فكان اهتّمامُهُ هُنا ضروري بالجانب المنطِقي الابستيمولوجي، إضافةً إلى شّقٍ آخر كثيراً ما بَدَى خَفِيّاً وغامِضاً في «الرسالة»، هُو الشَّق الأخلاقي ونظرتِهِ الصُوفِية للكَوْن، أمّا المرحلة الثانية فكانت بمثابة نقطة التراجُع عن هذا المشروع، أين حدث عِندَه ما يُسّمى بالمُنعطف اللغوي،[2] لِيَكْشِفَ في مرحلتِهِ الجديدة عَن مَعالِم تراجُعِهِ عن اللغة المثالية والعَود إلى اللغة الطبيعية – العادِية.

لقد عاد «فتجنشتاين» المُتقدِّم (الثاني)، لِمُراجعة أفكارِهِ الأولى، والتي طالَما اعتقَد في صِدقِها وصِحّتِها، وأنّها هِي الحَّل النهائي لِجميع المُشكِلات الكبرى في الفلسفة، حيث كان يقول في مُقدّمة الرسالة أنّ ما وَرَدَ مِن أفكارٍ فيها، يستحيل الشّك في صِدْقِهِ، مُعْتَقِداً أنّ كلّ ما هُوَ جوهري في مُشكِلات الفلسفة، قد تَمَّ حَلُّهُ نِهائِيا. هذه المُراجعة، كانت نتيجة اكتِشافِهِ لبعض الأخطاء في رِسَالَتِهِ، وقد صَرّح بِذلِك في توطِئة كتابِهِ «أبحاث فلسفية [3]*** Philosophical Investigations» حيث يقول: «ومُنذُ سنتين، سنحت لي فُرْصة مُراجعة كِتابي الأوّل **مُصنَّف منطقي- فلسفي**(Logisch- philosophisch Abhandlung) وتفسير ما جاء فيه مِن أفكار، وقد بدا لي فجأة أنّه يتعيّن علّيَ أن أجمَع تِلْك الأفكار القديمة مع الأفكار الجديدة، وأنّ هذه الأفكار الجديدة لَن تُفْهَم كما ينبَغِي، ما لَم تَقَع مُقابَلَتُها بِطريقة تفكيري القديمة. ومع عودتي إلى الاهتمام بالفلسفة، أي مُنْذُ سِتّ عشرة سنة، تَحَتّمَ عَلّي الاعتراف بارتكاب أخطاء فادِحة

---

(1) هناك مَن يُضيف مرحلة ثالِثة ميَّزت نهاية "فتجنشتاين" ولَكِنّها خارِجة عن مجال بحثِهِ الأساسي المُرتَبِط بالجانِب المنطِقي الإبستيمولوجي، وهِي مرحلة مُستَتِرة في أعماق ما كان يصْبوا إليهِ في كِتاباتِهِ الأولى ، سواءاً "الرسالة" أو "الأبحاث الفلسفية"، وهذا الجانِب الخَفي والذي طالما عبّر عنه الدارسين لِفلْسَفَتِهِ: بالشّق الأخلاقي أو البُعدي الصوفي في فلسَفَتِه، والذي عبّرَ عنْهُ هُو مِن خِلال فِكرة "الصّمت" .

(2) بينما كان يُرْجِعُ في "رسالة منطقية فلسفية" مشاكِل الفلسفة إلى سوء فَهْمِ منطق لُغَتِنا، أصبَحَ في " أبحاث أو تحقيقات فلسفية" يُرْجِعُ مشاكِل الفلسفة إلى سوء فهمِنا لِنَحْو استعمال ألفاظ اللغة العادِية (راجع: مقدمّة المترجِم لكتاب "تحقيقات فلسفية"لِلودفيج فتجنشتاين، تر، وتقديم وتعليق: عبد الرزّاق بنّور، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007.ص، ص، 43، 44.

(3) ينبغي الإشارة هنا إلى ملاحظة تتعلّق بترجمة عنوان هذا الكتاب (Philosophische Untersuchungen) إلى اللغة العربية، إذ أحياناً نجِدُهُ بِعبارة «أبحاث فلسفية» وأحياناً «تحقيقات فلسفية» ونحن عبر صفحات هذا البحث اعتمدنا الترجمتين، وذلك حسب السياق الذي وجدناها فيه.

في هذا الكِتاب الأوّل.[1](1)» فإذا كان «فِتجنشتاين» نفسُهُ يدعونا عبر هذه التوطئة، إلى ضرورة وُجوب **وَضْع مُقاربة في ضوء أعمالِهِ السابقة**، لأنّ أفكاره الجديدة هذه، لن تكون مفهومة كما ينبغي، إلاّ إذا تَمّ مُقابلَتُها بطريقة تفكيرِهِ القديمة. لِذلِك لا يُمكِن الحديث عن قطيعة بمعناها المُطلق، بين فلسفة فتجنشتاين المُتقدّم والمُتأخِر، لأنّه وبِكُل بساطة، لا يمكِن فهم «تحقيقات أو أبحاث فلسفية» ذاك الكِتاب الذي غَيّر وجه العَالَم.[2](2) دون النظر فيه وعينُنا الأخرى على كِتابِهِ السابق «رسالة منطقية فلسفية». هذا ما دفع «دومنيك لُكورLecourt Dominique « يقول: «يبدوا أنّ الفارق بين «فتجنشتاين الأوّل» والثاني قد بلَغَ حدّاً جعلَهُ يتمنى أن يُنْشَر كِتابَاهُ «الأبحاث» و«الرسالة « في مُجَلَّدٍ واحِدٍ، مُعْتَقِداً أنّ أفكاره الجديدة سَتَظْهَرُ بِجلاءٍ أكثر مِن خِلال تضادَها مع أفكارِهِ القديمة[3](3)».

هذه الحقيقة لا يُمكِن نُكرانِه، فالمُقاربة ضرورية هنا، ولكن ما هُوَ مَحّل جدل في هذا المقام مِن البحث، هو: هل بالإمكان وضع مُقاربة بين أبحاث فلسفية» لِفِتجنشتاين»، باعتِبارِه الإبداع الجِذري لِفتجنشتاين، في مجال الأبحاث اللُغوية، وبين منطِق التحليل اللُغوي والمنهج العِلْمِي والفلسفي للتجريبية المنطِقية؟

1.4 «فتجنشتاين المُتأخِّر» وتَجَلّيات التجاوز لِمنطق فلسفة اللغة عِنْدَ التجريبية المنطقية:

لقد تطور منهج التحليل في أعلى مُستوياتِهِ مع «فتجنشتين»، وكان ذلِك مِن خِلال كِتابِهِ «بحوث فلسفية» الذي اعْتَبَرَتْهُ الدِّراسات المُتخصِّصة في ذلك، النَّمُوذج النَّاضِج لهذا التطور. وتَرْجَعُ مَعالِم هذه الأهَمِّية، إلى المُحتوى الثَّرّي الذّي خَصَّهُ «فتجنشتاين» لموضوع التَحْليل كَمَنهجية لِدراسة أهّم النّظريات:»كنظرية المعنى في الاستخدام»، و»نظرية الألعاب اللغوية»، بالإضافة إلى علاقة اللغة بالإدراك الحسي والعمليات العقلية والاستبطان والفِكر والميتافيزيقا والحالات النَّفْسِية والسُلوك. لكِن ما يُمكِن اكتشافُهُ، ونحن في حضرة كِتاب «أبحاث فلسفية»، أنّه مُؤلّف، أسّسَ فيه فتجنشتاين للكثير مِن المَباحِث في فلسفة اللُّغة عُموما، وفي الألعاب اللُّغَوية بالخُصُوص. بل كان - نموذجا رائِداً في الدِراسات التداوُلِية بِنوعيها اللِساني والمنطِقي، والتي ظهرت معالِمُها في الأعمال التي قام بِها كُلّ مِن: «ستراوسن P.F. Strawson» و» رايل G. Ryle» وخاصّة «أوستين J.L. Austin « وما عُرِف بَعْدَها بِمدرسة أكسفورد لِتحليل «اللغة اليومية». كما أعطى دفعاً قَوِّياً للمنطق اللاصوري أو اللاشكلاني (Informel Logic)

(1) فتجنشتاين، لودفيج، «تحقيقات فلسفية»، تر، وتقديم وتعليق: عبد الرزّاق بنّور، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007.ص،115.

(2) لودفيج، فتجنشتاين، المصدر نفسه، ص، 11.

(3) Lecourt Dominique, L'ordre et les Jeux, le positivisme logique en questions, ed. Grasset et Fasquelle, Paris, 1981, P.205.

ومنطق الإبهام (أو ما يُعرف باللغات الأوروبية)، وكذا إسهاماتِه في نظرية الحجاج ، حيث أثّر «تحقيات فلسفية» في إنجلترا وفي ما يُعرف بمدرسة أكسفورد التّحليلية، مِم خِلال التأسيس لِفلسفة اللِسانيات والأعمال اللغوية-[1](1). في هذا العَمَل، يَنْطَلِقُ «فتجنشتاين» مِن اعتِمادِه على موضوع اللّغة العادِية، أين تَقْتَرِنُ فيها اللُّغة بِطريقة المَعِيشْ اليَوْمِي، أو بطريقة الحياة، أين يَحُلُّ العَرض الواقِعي، والرُؤية المُباشرة لِمُعطيات الواقِع بَدَلَ العَرْض والتَّفْسِير الرِياضي للعَالَم. رغم ذلِك، إلاّ أنّ فلسفة فتجنشتاين في أبعادِها المُتأخِرة، جاءت ناقِمة على الأطروحات التي قَدّمتها «الوضعِية المنطِقية»، وحتى المشروع التي تبنّته «مدرسة أكسفورد»، فيما يَخُصّ فلسفة اللغة العادية. فقد – رفض «لودفيج فجنشتاين، ولو نِسبِياً ما جاء في تِلك الأطاريح. مُؤكِّداً على وضعية الإحباط التي كان يُعايِشُها عِند اطِّلاعِهِ على تِلك الاتجاهات، نتيجة عَدَم فهم كلّ مِنها لِمغزى فلسَفَتِهِ. وكان يتذَّمر دوماً مِن إعطاء ما يكتُبُه، توَجُّهات لم يَكُن يَرْغَبُ فيها-[2](2) إنّ مِن معالِم التجاوز الظاهِر لمنظومة فلسفة اللّغة عِند الوضعيين المناطقة، نَجِد البّحث الذي احتوى عليه كتاب «أبحاث فلسفية» لِفتجنشتاين حول موضوعات الذاكرة والأحاسيس الخاَصّة والفَهْم، والذي تبناه وتَأثَّرَ بِهِ عُلماء النفس، حيث دَفعَهُم إلى التخَّلي على مناهِجِهِم القديمة، ساعيين إلى إثبات أنّ الفَهْم موجود في اللغة وفي نحو العِبارات، وليس في العلاقة بين الأشياء والواقِع -[3](3) على النقيض مِمّا احتوتْهُ أطروحة الوضعية المنطِقية. لِيبقى»أبحاث فلسفية» مُتعلِقاً في أساسِهِ بِمُهاجمة المفاهيم الخاطِئة، وقد كانت الكِتابات تَتّجِه نحو نظرة وضعِية عامّة عن المفاهيم العقلية. فلقد اندهش قُرّاءُهُ الأوائِل بالتبايُن الحاد بَيْنَهُ وبَيْن «الرسالة». فعِلاوَة على سنوات فتجنشتاين العِجاف (1929/1921) فقد أمدّنا، مع ذلِك بِشخصيتين أدبِيتين: فتجنشتاين الشّاب مؤلّف الرسالة المنطقية الفلسفية، وفتجنشتاين المُتأخِر مؤلِّف الأبحاث. إنّ منطوقات فتجنشتاين الصريحة، والأكثر بروزاً في مُقدِّمة أبحاث فلسفية، تؤيّد الانطباع الذي يتشكّل عِندما نقرأ مخطوطاتِهِ ومطبوعاته، على التوالي: كان هناك تحوُّل كبير واحِد، ولو كان مُتدرّجاً، في وِجهة النظر الفلسفية، وأعني مِن الرؤية المنطِقية-الميتافيزيقية للتراكتاتوس، إلى هدمِها الجدلي في «الأبحاث». وهكذا تعارض كِتابات فتجنشتاين بعد 1945 إلى حَدٍّ كبير «الأبحاث الفلسفية»، ولكن يُمكِن اعتِبارها مُكمِّلةً لها وتوسيعاً لِنِطاقِها، لِتَشْمُل مجالات جديدة-[1](4) انطلاقاً مِن هذا، يجدُرُ بِنا الإشارة

(1) لودفيج، فتجنشتاين، تحقيقات فلسفية، المصدر السابق، ص،ص، 31-30 .

(2) Ludwig Wittgenstein, Recherche Philosophique, Traduit de l'allemand par: Francois Dastur, Maurice Elie, Jean Luc Gautero, Dominique Janicaud, Elisabeth Rigal, ed. Gallimard, France, 2004. P. 10 - 11.

(3) IBID. P. 29.

(4) غلوك، هانس يوهان، فلسفة فتجنشتاين المُتأخِرة، مقال بِمجلة: «أيس» مجلّة مُحكمّة، نصف سنوية، دار الأخبار للصحافة، القبّة، الجزائر، العدد الرابع، السداسي الأوّل، 2011، ص، 75، 76، 77.

هنا، إلى أنّ جُلّ الدارسين والباحثين في منطِقية اللغة عند فتجنشتاين، وفي سير عملية البّحث عِنده، لم يتفِقوا على القول بوجود قطيعة بين مراحِل الإنتاج الفلسفي في هذا الحقل بالذّات عِنده. فهُو لم يتخلّى تماماً عن موضوع انشغالِهِ، إذ بقِي وفِيّاً لموضوعاتِهِ، فكما يقول بنّور، عبد الرزّاق في مقدمة الترجمة التي قدّمها لكتاب «تحقيقات فلسفية» لفتجنشتاين – **أنّ المواضيع هي نفسُها: (التفكير يتكوّن باللغة وفي اللغة سواءاً كان ذلك محكوماً بقوانين المنطق كما هو الشأن في طرح «التراكتاتوس»، أو كان للغة منطِقُها الطبيعي كما هو الحال في «تحقيقات فلسفية») والأسئِلة نفسها: (سُؤالٌ مِحوري في كُلّ أعمالِهِ الفلسفية تقريباً: «ما هُو جوهر اللغة؟» و» ما الذي يجعل مِن اللغة لُغَة؟) والمنهجية كانت هِي نفسُها**(الدّعم بالأمثِلة بقي دائما حاضراً في «تحقيقات»)، ولم يتَغَيَّر سِوى الأسلوب.[1](2) فكان أن اهتّم في «تحقيقات فلسفية» بنحو اللغة العادية، إذ -أرجع مشاكل الفلسفة إلى سوء فَهْمِنا لِنَحْو استعمال ألفاظ تِلْك اللُغة(أي لُغَة الحياة اليومِية أو الطبيعية)، بعدما كان يُرْجِعُها في «التراكتاتوس» إلى سوء فهم لِمنطِق لُغَتِنا(أي اللغة الرمزية/الاصطناعية)، أين تَخَلّى عن تِلْك الرمزية المنطِقِية في صورتِها الصارِمة التي ما انفّك يدعوا إليها، باعتِبارِها نموذجاً للّغة المِثالية وعادَ لِيُبيّن أنّهُ بِقَدْر ما يكون فحص اللُغة العادِية دقيقاً تكون فِكْرة اللُغة المِثالِيَة مُتناقِضَة.[2](3)

إنّ التساؤلات التي حمِلها هذا المُصنّف الثاني لفتجنشتاين، تُبرِزُ بِوضوح طبيعة الهُوة الفاصلة في مجال الاهتمام بين هذا الفيلسوف في مراحِلِهِ المتأخِرّة والانشغال الذي كان يُبرِزُه الوضعيون المناطِقة، رُغْم أنّ موضوع اللُغة بَقِي في عُمومِياتِهِ، النُقطة المُشتركة بينهُما. فبعدما ظَلّت فَلْسَفة الوضعية المنطِقية تُؤمِن بالدّور الإيجابي الذي يلعَبُهُ التحليل المنطِقي للعِبارات اللُغَوِية، في تحقيق المعنى وتطهير العِلْم مِن شوائِب الميتافيزيقا، التي كانت بالنِسبة إليهِم العَدُّو الرئيسي للفِكر الوضعي في ثوبِه الجديد– أصبحت الفلسفة مع هذا الكِتاب (أقصِد تحقيقات فلسفية) نوعاً مِن نقد اللُغة الخالِص. تبحث «فلسفة اللغة» في طبيعة اللغة وعلاقتها بالكون (كيف تَصِف اللُغة الكون أو تُمَثّله [إذ أنّ بِنية اللُغة عِند فتجنشتاين هِي مِرآة لِبِنْية القضايا الحمِلية]). كما تبحث في ما هِية العلاقة بين الاسم والمُسّمى وفي إمكانية التفكير بدون اللغة، وفي قضية الفّهم للأقوال، وعلاقات التخاطُب، والأهّم مِن ذلك في مُشكِلة المعنى (هل المعنى في رأس المُتكلِّم أم في رأس المُخاطَب؟)، ومُشكِلة علاقة المعرفة بالوعي[1](3)- فلقد تجاوز فتجنشتاين في هذه المرحلة فكرة اختزال مُهِمّة المنطق والفلسفة

(1) لودفيج فتجنشتاين، تحقيقات فلسفية، المصدر السابق، ص،43.

(2) Voir: Auroux Sylvain, La philosophie du Langage, éd., PUF, Paris, 1996, P.243.

(3) لودفيج، فتجنشتاين، تحقيقات فلسفية، المصدر السابق، الفقرة(6.1)، ص، 63.

في التحقّق من صِدق القضايا أو كذِبِها من خلال علاقتها بالواقِع، كما آمنت به الوضعية المنطقية، و- صار يهتّمُ بالنّحو باعتِبارِه الوحيد الذي يُمكِّنُنا مِن تمييز القضية ذات معنى من القضّية عديمة المعنى. فكما يرى في «الكرّاسة الزرقاء» فإنّ أصل الإشكال الفلسفي نوع مِن الوَهْم ناشِئٌ عن تشَعُّب نَّحْو اللُغة اليومية وتراكيب مُستوياتِها[1][2]- إذن فاستعمالِنا للقواعِد النّحوية أمرٌ إلزامي، ويكون بِطريقة لاشعورية، وغير مُفَكَّر فيها في الكثير مِن الأحيان، وحتّى في اللغات الطبيعية، يُصبِح ذلِك مِعْياراً أساسياً لِتحقيق التفاهُم بين الجماعة البشرية الواحِدة. «إنّ النّحو هُو زِمام حِسابات اللُغة، وما نَجِدُهُ بِهِ ليست الانطباعات التي تُرافِقُ اللُّغة، بل مُجْمَل المبادلات اللِسانِية الحقيقية[2][3]».

هذا مِن جِهة الالتزام بالقواعِد النّحوية، التي مِن ورائِها قواعِد منطِقية تُساهِمُ في ضبط الموازين المُتَحكِمّة في المعنى. أمّا على مُستوى البِنْية المنهَجِية، فبَعْدَما كان هناك مَنهج واحِدٌ في البَّحْث، غَلَب على الإنتاج العِلْمي والفلسفي في النزعة التجريبية المنطقية، غَيَّر فتجنشتاين مِن هذه الرُؤية، في مؤلّفِه «تحقيقات» إذ تحدّث عن «أنْهُج في الفلسفة» حيث يقول: «لا يوجد منهج وَحِيد في الفلسفة بل توجد مناهج عديدة، أي، إن صَحَّ التعبير، طُرُق عِلاج (Thérapien) مُخْتلفة، وليست الفلسفة سِوى طريقة بحث »[1][3]، فالفلسفة ليس مِن مَهامِها تفسير الوجود أو اللغة، أو أن تُقدِّم فرضيات وأطروحات، بل أن تُحَلِّل ما هُو موجود، وبهذا فقط تصير وَصفاً نقدِياً وتحليلاً للغة. أمّا بخصوص المنهج يقول «فتجنشتاين: «أخْبِرْني كيف تَبْحَث وسأُخْبِرُك عَمّا تبحَثُ.»[2][4]

بِصورةٍ مُختصرة، نقول أنّ ما كان يطرحُهُ فتجنشتاين في «التراكتاتوس» إذ كان يعتَبِرُ أنّ دلالة القضّية مُتعَلِقة بأحوال الواقِع، أي أنّ قيمة الحقيقة تَكْمُن في التوافُق أو عَدَم التوافُق مع الواقِع، قَد تَخَلّى عَنْهُ في «أبحاث فلسفية»، لِيُؤَسِّسَ معرِفِياً لنقد النّظرية التحَقُّقِية، مِن خلال نظريتِهِ في الألعاب اللُغَوِية(نظرية الأفعال التداوُلِية). ففي هذه المرحلة الثانية، وكما يقول بدوي عبد الرحمان- اتّجه فتجنشتاين إلى النظر إلى الفلسفة على أنّها تحليل لُغوي يتحرّر مِن الأساكيم الحاضرة التي لجأت إليها الوضعِية الجديدة.

(1) المصدر نفسه، ص،ص، 64،65.

(2) لودفيج، فتجنشتاين، تحقيقات فلسفية، المصدر السابق، ص،56، نقلاً عن: **«Wittgenstein, Philosophische Grammatik, VOL. 2, Parag. 44».**

(3) لودفيج، فتجنشتاين، تحقيقات فلسفية، نهاية الفقرة 133، ص، 203.

(4) Ludwig Wittgenstein, Remarques Philosophiques, traduit par l'allemand par: Jacques Fauve, éd. Gallimard, Paris, France, 1975. Parag III(27).P. 66.

2.4 «ألعاب اللغة» كمنطِق جديد للُّغة عِند فتجنشتاين:

إنّ الجديد في فلسفة «فتجنشتاين المُتأخِرة، والذي لم يظهر في فلسفة الوضعِية المنطِقِية هُوَ تجسيده للغة في شاكِلة ألعاب (هذا ما أسماه بالألعاب اللغوية). حيث نراه يُؤكّد على أنّ الأشكال المنطِقِية موجودة في الألعاب اللغوية[1]، إذ عَمَل على إخراج اللغة مِن دائِرة الأنا أو الذّات (بَعْدَما كانَت محصُورة في ذِهْنِ المُتكلّم)، إلى دائرة التوافُق أي في اللغة ذاتِها. كما نجِدُه يؤكّد أيضاً على سبيل الإضافة والتطَوُّر في الفِكر، أنّه لا ينبغي اختزال اللغة فقط فيما نكتُبُه ونَنْطِقُ بِه مِن أقوال وعِبارات، بَلْ هُناك لغات أخرى: كَلُغة الحركات، والموسيقى[2]و الألوان. هُنا(أي في «تحقيقات فلسفية») وعَبْرَ هذا النَّمَط مِن التفكير، تَغيّرت نَظرة «فتجنشتاين» للفيلسوف ولمهامِهِ، حيث صارَ على الفيلسوف – أن يُرينا مِن وراء تَعَدُّد الألعاب اللُغَويّة ومُراوغات اللغة تطَوُّراً طبيعِياً على غِرار تطوُّر الأجناس لِلُغة بِدائِية ولأشكال أوَّلِية. أي على الفيلسوف أن يعود بِنا إلى الألعاب الُّغوية التي تُمثِّل الأشكال البِدائِية البسيطة في التواصُل[3]1- ولهذا يُمكِن القول على بِأنَّ إسهام «فتجنشتاين الثاني» بالخُصُوص في فلسفة اللغة، لَم يقتَصِر على تقديم مفهوم جديد لِقواعِد اللغة، وإنّما تجاوَزَهُ إلى إيجاد منهج فلسفي يُساعِد على وصْف اللغات في خُصوصِيتِها مِن ناحِية، وفي ارتِباط المُستويات الدلالية والتركيبية، العَمَلِية والسُلوكِية داخِل لُعْبة مُحَدَّدة مِن ناحِية أخرى، وقد تَحَقَّق هذا بِفضل فِكرتِهِ الخِصْبة عن «ألعاب اللغة» التي حَلّت مَحَلَّ المناهِج التقليدية في تحليل العِبارات والألفاظ لِبيان دلالة التعبيرات والصُّوَر النَّحْوية والمعاني. حيث بَيَّن في «تحقيقات فلسفية» كيف تنشأ مُشْكِلات فلسفية مُحدّدة وكيف تَزول، بِمُجَرّد تغيير قواعِد اللَّعِب، وكيف يَتِّمُ الانتقال من لغات بسيطة إلى لُغات أكثر تركيباً ، ويتغيَّر مفهوم الصِّدق أو الحقيقة، لِتُصبِح هِي التطابُق مع الاستخدام اللُغَوي أو يُصبِح الصِّدق محصوراً في التطابُق بين صُوَر اللُغة وصُوَر الحياة. حيث – يعود مفهوم ((شكل حياة)) في أماكِن مُتفرِّقة مِن تحقيقات[4] وهو على ما يبدو مُرتبِط وثيق الارتباط بمفهوم «اللُعب اللُغوية» باعتباره محكوماً بقوانين الاستعمال وقواعِد التصرّف مِثل تِلك التي تنظِّم الحياة الاجتماعية، وهنا يقول «فتجنشتاين» «...في هذا المقام، على اللّفظة ((لُعبة لُغوية)) أن تُبرز أنَّ تَكَلُّمَ لُغة ما يُعَدُّ عملاً أو شَكْلَ حياة. »[5]

---

(1) ظهرَ أوّل استعمال لهذا المفهوم أو المُصطلح عند فتجنشتاين، في " الكُرّاسَة الزرقاء " The Blue Book.. وقد عبّرَ عنه Auroux Sylvain بِقولِهِ: "إنّ لُعْبة لُغَةٍ هِيَ عُنصُر لِساني (أو أكثر)، مُنْسَجِم مع شروط استعمالِهِ التجْرِيبِيَة" أنظُر: Auroux Sylvain, Op.Cit, p.244.

(2) كونُهُ كان مِن عائِلة مولَعة بالموسيقى، والتذَّوُق له، إلاّ أنّه لم يتفطّن لهذه اللغة الفنِّية، في مراحِلِه المتقدِّمة مِن الإنتاج الفلسفي والفنّي.

(3) فتجنشتاين، لودفيج، «تحقيقات فلسفية»، المصدر السابق، ص، 47.

(4) حسب عبد الرزّاق بنور، يعود هذا المفهوم ثلاث مرّات في الجزء الأوّل ومرّتين في الجُزء الثاني، حيث يُضاف إلى العِبارة مرّة صِفة الجمع ومرّة صِفة التعقيد ((الشّكل المُعَقَّد مِن الحياة)).

(5) فتجنشتاين، « تحقيقات فلسقية ، المصدر السابق، الفقرة: 19.

في هذا المجال، سيطرَحُ فتجنشتاين تَصوّرَهُ الجديد للُّغة، لِتَصير عِبارَة «الألعاب اللُغَوية»، المفهوم الرئيسي والمَنْطِق الجديد للُغَة عِندهُ. ذلِك المفهوم سَيُوّظِفُهُ فتجنشتاين في فلسفتِهِ الثانية، باعتِبارِهِ شكل مِن أشكال الحياة، إذ أَوْلاَها أهمِيّة كبيرة، باعتِبارِها جُملة مِن الأدوات تَصْلُحُ للاسْتِعْمال، وهِيَ أهميّة تَفُوق بِكثير ما قالَه المناطِقة (كـ: «راسل» و«فريجه» مثلاً) حول البِنْية المنطِقِية للغة.فالدلالة حسب فتجنشتاين لا يُمكِن تحديدِها إلاَّ داخِل اللغة نفسُها، أي داخِل النسق اللغوي الذي تَرِدُ فيهِ، فهُوَ– أي فتجنشتاين- في هذه المرحلة يَرفُضُ أن تكون الدلالة موجودة بِصورةٍ سابِقةٍ عن اللُغة. إذن وإن كانت التجريبية المنطِقِية تبحث عن تحقيق مشروع عَالمي مِن خلال تحقيق « وِحدة العِلْم» وإقامة لُغة كونِية تعتَمِد على الرمزِية المنطِقِية، فإنّ مَا قام بِهِ «فتجنشتاين الثاني» حين قام بإقحام مفهوم «ألعاب اللُّغة» يؤول إلى نوعٍ مِن النِسبِية الثقافِية التي تقْضي بأنّنا سُجناء «أشكال الحياة» و«ألعاب اللُّغة» التي تُحَدِّد ما يُمكِنُ قولُهُ ويكون ذو دلالة.[1](1)ـ لقد تغيّرت إذن، دلالة «منطِق اللُغة» مِن اعتِبارِهِ يُمثِّل الصورة المنطقية في «التراكتاتوس» إلى «ألعاب اللُغة» في «الأبحاث». وقد كان - استعمالُهُ لِمفهوم الألعاب اللغوية، مُستَعاراً مِن «لُعْبَة الشِطْرَنْج، إذ كشف مِن خِلالها كيف أنَّ قيمة (La Valeur (الرّمز اللُغوي تكْمُنُ في قيمة الرُموز المُتَجاوِرة داخِلَ نِظاَم اللُعْبَة[2](2)- هكذا نَجِدُ أنّ «فتجنشاين» يعمل على تقريب اللُغة مِن اللُعبة، بل يعتَبِرُها مجموعة الألعاب اللُغوية المُمْكِنة، حيث وَضَعَ مُقابلة بينهُما (أي بين اللغة واللُعْبة)تُفَسِّرُ سِرُّ هذه الاستعارة، مُسَجِلاً الملاحظات الآتية:

- كَوْنِ اللُعْبَة لا تَخْلوا مِن مجموعة قواعِد تَضبَطُها، شأنُها شأن اللُغة.
- كما أنّ اللُغَة مُشَكّلة مِن ألفاظ، فكذلِك اللُعبة تتَكَوّن مِن قِطع وأشكال.
- اللُغة نِظام يأخُذُ فيه كلّ لفظٍ مكانَهُ باعتِبارِهِ مُحيطُه، كذلك تكتسِبُ كلّ قِطعة أو شكل في اللُعبة قيمتها مِن القِطَع الأخرى.
- اللغة مؤسّسة اجتماعية، لا يُمكِن تصَوُّرها خارج عمليات التبادُل، مِثْلَما لا يُمكِن تصّوُر لُعَب يقوم بها شخصٌ فرد مرَّة واحِدة، لذلِك ارتبطت اللُغة بِشَكْل حياة (Le-bensform).[3](3)

انطلاقا مِن هذا الارتباط، صار «فتجنشتاين» ينظُرُ بشكلٍ أكثر وُضوحاً إلى مسألة اللُغة في علاقتِها بالعَالَم. إذ صار يُؤمِنُ بأنّهُ لا توجد قواعِد للغة، ينبغي أن نَدْرُسها. فهِيَ في رأيِهِ نِظامٌ تَطَوَّرَ بِفِعْلِ تحدُّثِنا بِها ومُمارسَتِنا لها في معيشِنا اليومي. ومِن معالِم التجديد الذي قال بِها،

(1) Schmitz Francois, Wittgenstein, éd. Les Belles Lettres, Paris, 2003, P.168.

(2) فتجنشتاين، المصدر السابق، ص، ص، 57-56.

(3) المصدر نفسه، ص، ص، 65، 66.

هُو قولُهُ بأنَّ الكلام ليس اللُغة، ومُنْذُ ذلِك الحين لَم يَعُد يأخُذُ أمثِلَتُهُ مِن العلوم، ناهيك عن كُتُب الفلسفة-4[1] كما أنّهُ لم يَقُم عَبْر صفحات كتابِهِ «الأبحاث الفلسفية» بِعَمِلية إحصاء كامِل يستغرِقُ كُلّ الألعاب اللُغوية، إلاَّ أنّهُ (أي «الأبحاث الفلسفية»)، أسّسَ للعديد مِن البُحوث في «الألعاب اللُغَوِية» بالخُصوص، وفي فلسفة اللُغة عموماً. ومشروعه في ذلِك -كما تقول «مليكة أولباني» في محاورتِها المُتعلِقة بِالفلسفة التحليلية كفلسفة تَعَدُدِية لا ترتبِطُ بأي مذهب- دَفَعَهُ إلى الانتقال مِن التَصوّر الإشاري للُّغة، إلى تصوُر للُّغَة على أنّها تَنَوُع لأَلْعاب مُرتَبِطة بِصورة الحياة، ومِن هُنا –حسب «أولباني»- فَقَدَ المنطِق ضَرُورَته الصّارِمة.

إذن فلسفة اللغة في «الأبحاث الفلسفية» لفتجنشتاين، تعكِسُ البِنية التطورية للغة، وهذا لا يحصُل في اللُّغات الاصطناعية – كما كان مشروعه في فلسفتِهِ الأولى المُتمثِّل في اللغة المِثالية – بل نَجِدُهُ في اللغة الطبيعية، التي اعتبرتها «أولباني مليكة «لُغة ديناميكية وليست لُغة سْتاتيكية. وما دَامَت « ألعاب اللُغة» مُرتبِطة بصُوَر الحياة، فهِيَ تتغير وتتطوّر ثُمَّ تزول لِصالِح ألعاب أخرى. ما يُمكِن قولُهُ أنّ – التماثُل بين المُمارسة اللُغوِية واللُعبة المُشَكَّلَة مِن قواعِد كَلُعبة الشِطْرَنْج، ترمي إلى تِبْيان أنّ دلالة الكَلِمات هِيَ غير مُنفَصِلَة عن المُمارسات اللُغَوِية... وأنَّ ثراء عِبارة «ألعاب اللُّغة» في الفلسفة المُعاصِرة، كَبيرةٌ جِدّاً-1[2] فالبعض يتحَدَّثُ الآن عَن: «ألعاب لُغة العِلْم Jeu de langage de la science» أو عن «ألعاب لُغة الدّين Jeu de langage de la Religion» وهذا لِتِبيان كَمْ عِلْم أو دِيانَة هُم وفي إِحْدَى المقاسات، ي ينشئون مِن مُمارسَات لُغَوِية. في بعض الحالات، سَتَكُون تحصيلات. ومِن غير المُؤكَّد أنّ «فتجنشتاين» سَيُوافِقُ على تأويل جِدُّ واسِع لِمَفْهُومِه الخاّص(أي: «أَلْعَاب اللُّغَة»)»[3][2].

(1) مليكة، ولباني، محاورة مع «ماك غينس» «فتجنشتاين في السِياق التحليلي»، مقال بِمجلّة «أيس»، ، المرجع الأسبق، ترجمه: جمال حمّود، ص، ص،90 – 91.

(2) LAROUSSE, Grand Dictionnaire de la Philosophie, Sous la Directions de Michel Blay, ISBN CNRS Editions, Canada, 2005.P.580.

(3) IBID., P. 580.

الفَصْل الثَّالِث:

التّحليل المنطِقِي للُغَة كَأساس لِمَنْطِق العِلْم في فلسفة «رودولف كارناب R. CARNAP»

ـ مدخل عام

- **المبحث الأوّل:** التجريبية المنطِقِية كفلسفة لِمنطق للعِلم عِند «كارناب» - دراسة في الأُسُس -
- **المبحث الثاني:** إسهامات «كارناب» في مجال البِنْيَة والتركيب المنطقي للعَالَم.
- **المبحث الثالث:** «كارناب» ومبدأ « القابلية للتحقيق» لدى التجريبية المنطقية.
- **المبحث الرابع:** نظرية المعنى(السيمنطيقا) كنتيجة لأبحاث «كارناب» اللُغَوِيّة في ظِلِّ التّجريبية المنطِقية.

مدخل عام:

لَمْ تَعُد مُهِمّة الفلسفة الجديدة وفي ظِلِ التطورات العِلْمِية والتِقَنِية المُعاصرة، تعتَمِد على آلِيات التأمُل الهادِف إلى كشْف الأسباب القُصوى الكامِنة والمتخفِية وراء الظواهِر، ولا حتّى السعي إلى إقامة أنساق ومذاهِب كُبرى مِثْلَماَ كان الشأن عِند سابِقاتِها مِنَ الفلسفات الكلاسيكية أو التقليدية (مُنذُ بزوغ الفلسفة في الفكر اليوناني القديم كما هو الشأن مع «أفلاطون» و«أرسطوا» وغيرِهما إلى الفترة الوَسيطية، سواءاً مع أعلام الفِكر الفلسفي المسيحي واليهودي، انتِقالاً إلى الشّق المقابل لَهُ في الفلسفة العربية الإسلامية، وُصولاً إلى الأنساق الفلسفية الكُبرى في الفلسفة الغَربية الحديثة مع كلّ مِن «ديكارت» و«كانط» و«هيغل» مثلاً)، بل أصبحت تهتَّمُ بالتحليل المنطقي للعِبارات العِلْمِية المُجَسَّدة في القوانين التي تُحَاوِلُ فَهْم ما هُوَ مُعقَّد في هذا العَالَم ـ[1](1).

هنا يُمكِن الحديث عَن الوظيفة الجديدة للفلسفة، في ظِلِ المَوقِف الوضعي المنطقي - أو التجريبي المنطِقي- والذّي كان «كارناب» أبرزَ الدَّاعين إلى تَجسيدِهِ واقِعِياً، مِن خِلال الدَّعوى إلى ضرورة تَوضيح المُشكِلات التَّقليدية في الفلسفة، وإزالة كُلّ ما هُو ميتافيزيقي فيها. فكان مَشروعه الفلسفي مُرْتَكِزاً حَوْل تَحقيق الغَرَضَيْن الآتين: أمّا **الأوّل:** فَكان يَتَمَحْوَر في إضفاء المَعنى على العِبارات الفلسفية التّقليدية، وذلِك من خلال حَذف الميتافيزيقا عَبْرَ التَّحليل المنطقي للُّغة، أمّا الغَرض **الثاني** هُو نَتيجة للأَوّل، ويَتلخَّص في تَحْويل تِلْك المُشكِلات الفلسفية إلى مُشكِلات عِلْمِية. لِذلِك نجِد مُمثّل الوَضعية المنطقية «كارناب» يَنطلِق في تَقديمِهِ لأبحاثِهِ حول» وِحْدَة العِلْم»، بِتحليل مَنْطِق العِلْم. يَظْهَر هذا مِن خِلال قولِهِ: «عَمَلُنا هُوَ التَّحليل المَنْطِقي لاَ الفَلْسَفة. »[2](2)

هكذا تَصير «الميتافيزيقا» عِندَهُ، دون معنى، نظراً لِما تحتويه مِن أقوالٍ وعِبارات زائِفة وبعيدة عن أيّ ارتباطات حِسّية. إذ يتبرأ مِنها بالمعنى الذي يجعل مِن الميتافيزيقا بحثاً في أشياء، لاَ تقعُ في مجال الحِّس، مِثْل: «الشيء في ذاتِهِ»، «المُطْلَق»، «المُثُلْ الأفلاطونيَة»، «العِلّة الأُولى»، «القِيَم الأَخلاقية والجمالية»ـ[3](3) فقد جَعَلَ الوضعيون المَناطِقَة مِن مَنهجية مِعيار التَّحقق، أساساً للتفرقة بين ما يحمل معنى نظري أو معرِفي وبين الخالي والمُفرَغ مِن هذا المعنى، حيث قاموا بتحديد مُمَيّزات العِبارات والقضايا التي تخلوا مِن المعنى المعرفي فحَصَروا التقسيم لهذه

(1) بغورة، زواوي، الفلسفة واللغة نقد «المنعطف اللغوي «في الفلسفة المُعاصِرة، دار الطليعة للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص، 88.

(2) Carnap, Rudolf, The Logical Syntax of Language, - Trans Amethe Smeatin, - Routledage and Kagan LTD -LONDON -1971 , P.278 .

(3) IBID, P. 280.

العبارات الزائفة في ثلاثة فِئات فرعية:[1](1)

1- الخُلُو مِن المَعنى(أي الكلام غير المفهوم كُلِّية) مثل الكلام الذي يتفوّه بِهِ الطِّفل مُتظاهِراً بالحَديث.

2- أساليب الكلام التي تُخِّلُ بقواعِد السنتاكس Syntaxe (أي قواعد بِناء الجُملة الصحيحة) وهَذا جاري تأثيرُه في جَميع اللُّغات

3- التَّعبيرات «الانفعالية»، ويدخُلُ تحت المعنى الانفعالي كُلّ الجُمل الميتافيزيقية، بالإضافة إلى الشِّعْر والأَخلاق المِعْيارِية، والدِراسات الدِّينِيَة.

هكذا جاءت أعمال «كارناب»، لِتُقدِّم الأساس النظري والعملي للوضعية المنطقية –أو التجريبية المنطِقِية- أثناء السنوات الأولى مِن تكوينِها. وأبرز معالِم هذه الخِدمة، نَجِدُ تِلْك المحاولة التي قام بها هذا الأخير (أي «كارناب»)، لِتكوين تَصَوُر جديد للفلسفة، يتسِّق مع اعتقادات هذا الاتجاه(الوضعية المنطقية).فكان أن قام بِتوسيع مشروع «فتجنشتاين» مِن خِلال مؤلّفِه «رسالة منطقية فلسفية» والذي حَدَّد مِن خِلالِهِ المُهِّمة الأساسية للفلسفة، بأن حَصَرَها في دائرة ضَيِّقة جِدّاً هِي: توضيح أفكار ومبادئ العُلوم مِن دون أن يكون لها الحَّق في بِناء الأفكار والمبادئ العِلمِية (أي أنّ مُهِمة الفلسفة تكمُن في التوضيح والتحليل)، فَشَرَع «كارناب» في بيان المُهِمة التي لا تزال الفلسفة تضطَلِع إليها، مُؤكِدّاً أنَّ هذه المُهِمة ليست بالتأكيد الميتافيزيقا، ولا العلوم الطبيعية ولا المنطق الرياضي، وإنّما مُهِمة الفلسفة هِي تحليل مُختصَر على نَمَط الذَّرِيَة المَنْطِقِية[2]، ولكِنّهُ يختلِفُ عنها في ناحِيَتَين [3](3) فأمّا **الأولى** فتتلخص في تلك الرؤية التي يَخُصُّ بها «الذَّريين المنطقيين» **التحليل**، الذي يَشْتَرِطُ بل يَتطلَب عِندهُم وضُوح العِبارة اللُّغوية، وهذا بالنِسبة لَهُم لا يوجد إلاَّ في القضايا التي تُطْرَحُ بِاللُّغَة العادِية، والتي مِن المُفْتَرَض أن يكون معناها وصِدْقَها خاضعين لِمنطِق الفهم لدى الحِّس المُشتَرَك، فَهِي عِند الذَّريين، تُصَوِّرُ الوقائِع بِشَكْلٍ أكثر ملائمة. في حين يرى «كارناب» ومعَهُ بَقِيَّة أعضاء حلقة فيينا، أنّ هذه الطريقة لا تتلائَم مع وِجهة نظر الوضعية المنطقية، إذ أنّ القضايا تتحدَّث عن علاقة اللغة بالواقِع كمَا يقول «السيد نفادي» في مُقدِّمة كتاب «الأسس الفلسفية للفيزياء» لِرودولف كارناب أمّا الناحية **الثانية**، فتَنحَصِر في قول الذّريين بأنّ المعنى المعرفي للقضايا يتأتى مِن درجة انتمائِها إلى حقل المنطق الصوري، أمّا الوضعِيون فينطلِقون مِن فِكرة وُجود تماثُل بين المنطِق والفلسفة، ولهذه الأخيرة معنى معرفي، فالقضايا الفلسفية تتحدث أيضاً

(1) انظر: مقدمة كتاب، الأُسُس الفلسفية للفيزياء، للمؤلف: رودولف كارناب، المرجع السابق، ص، 10.

(2) مُصْطَلَح استخدَمَهُ "راسل"، لِوصفِهِ حُدود تعاليمِهِ عام 1918، بقولهِ أنَّ العَالَم مُكوَّن مِن ذرّات منطِقِية، فضلاً عن الحقائِق المُكوّنة مِن تِلك الذرّات، راجِع: تد، هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، تر: نجيب الحصادى، ج1، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا،د(ط، ت)، ص، 392.

(3) أنظر: الأسس الفلسفية للفيزياء، المرجع السابق: ص، 11.

عن العلاقات المنطقية (أو السيمنطيقية)، حيث تتّسِع دائِرة السيمنطيقا لِتُغَطي لُغة العلوم الواقعية، أين يصير للفلسفة مُهِمّة نظرية عِند الوضعيون المناطقة تَكْمُن في إخضاع قضايا الرياضِيات البحتة أو العلوم الواقِعِية إلى التحليل المنطِقي، والتي اختزلت مُهِمّتُهُ في فهم الأُسُس والمبادئ التي تقوم عليها مفاهيم تِلْك العُلوم. وما دُمنا سنَخُصَّ بالحديث في هذا الفصل، «كارناب» وفلسفتِهِ التي برزت معها معالِم الفكر التجريبي المنطقي، فإنّنا سنُبَيّن قبل الخَوْضِ في ذلِك، مدى الحُضور الفتجنشتايْني في فلسفتِهِ، وكذى لِنُبَرّرَ لِماذا أسبقِية «فتجنشتاين» عن «كارناب» رفي هذا البحث. فمَعلوم أنّ « لودفيج فتجنشتاين» هُو مِن أبرز المناطِقة اللُغَويين الذين أثَّروا في صِياغة فلسفة القرن العشرين، وبِحسب تعبير «راسل» نفسَهُ وفي سنة 1921، «أنّهُ حَدَثٌ هامٌ في الفلسفة».[1](1) حيث قام بإخضاع اللغة إلى القواعِد المنطِقِية، وحصرِ مجالات استعمالِها أو وظيفَتِها في صِياغة العِبارات التجريبية والعلاقات المنطِقِية، مُتأثِّراً في هذا الطَرْح بتحليلات «فريجه» ونظَرِيَتِه في الدلالة (تفرقة اللّفظ عن معناه أو دلالتِه)، وبالأسئِلة التي يُثيرُها المنطق في مؤلّف «راسل» «مبادئ الرياضِيات» فكان تأثير «راسل» الذي يُعَدُّ فيلسوف الذَّرية المنطِقِية، الباب الذي دَخَل مِنْهُ «فتجنشتاين» عَالَم الفِكر الفَلْسَفِي، أين تبنّى نفس تصَوُّراتِهِ في الذَرية المنطِقِية، لكن تجاوَزَهُ باعتِبار تحليلاتِهِ مقطوعة الصِّلة بِالخِبرة الواقِعِية.نفس الأفكار وَجَدْناها عِند «كارناب» خاصّة فيما يتعلّق بِالقول بِالصِدق الدائِم للقضايا المنطِقِية، باعتِبار صِدقها مُستَقِّل عن الوقائِع المُحتملة، فهِي مُفْرَغَة مِن كُلِّ مُحتوى واقِعي، كما أنّها لا تقول شيئاً عَن العَالَم. إضافة إلى اشتِراكِهما في نُقطة حاسِمة ميّزت طبيعة الفلسفة الوضعِية المنطقية، هِي قضيّة تقويض الميتافيزيقا، إذ أنّ «فتجنشتاين» يرى أنّ قضايا الميتافيزيقا هِي مُجَرَّد لَغْو وفارغة مِن أيّ مَعْنى معرفِي، وفي هذا المقام نَجِد أنّ «كارناب» نفسُه يُصَرِّح بِوجود تقارُب في الأفكار بَيْنَهُ وبينَ وِجْهَة نظر «فتجنشتاين»، - فالميتافيزيقا حسبَه وكما يقول «راسل» نفسه تَعود إلى سوء استِعمال للُّغة وانتهاكِها لِقواعِد المنطِق-[1](2). إنَّ معالِم التَأَثُّر بَينهُما (فتجنشتاين/ كارناب)، تظهر انطِلاقاً مِن إيمانِهِم بمبادئ مُشتركة، شَكّلت الخلْفِية الفلسفية والقاعِدِية للوضعية المنطِقِة، كما تتجلى تِلْك العلاقة مِن خِلال ذاك الخِطاب المعرِفي حول مسألة صِدق القضايا المُعتَمِدة على تركيبِها المَنْطِقي فقط والقضايا الميتافيزيقية التي أقرَّ بِها «فتجنشتاين» في «التراكتاتوس»، وأكَّدَ عنها «كارناب» عبر مؤلفاتِه: «**البِناء المَنْطِقي للعَالَم**» و«**التركيب المنطقي للُّغة**» وحتّى كِتابُهُ الصَّغير الحَّجم والمَوْسوم بـ: «**مشاكل وهمية في الفلسفة: عقول الآخرين والنِّزاع حَول الو اقعية**» (1928

(1) راجع: عبد اللّه الجسمي،ة «المنطق وتصور فتجنشتاين للفلسفة،» مجلّة عالَم الفِكر، المجلّد29، العدد1، صَدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، 2000م، ص، 137.

(2) راجع، برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية ، تر: محمد فتحي الشنيطي، دار المصرية العامّة للكِتاب، د(ط)، 1977، ص، 492.

م)، والذِّي يُؤكِّد فيه أنّ المشاكِل الميتافيزيقية عامّة، ومُشكِلة الواقعية والمثالية بالخصوص ينبغي أن تُعَدُّ مَشاكِل وهمية زائِفة، إذ اعتَمَدَ في دعواه هذه على مبدأ القابلية للتحقق الذي قال بِهِ «فتجنشتاين». لكن هذا لا يمنع من القَوْل بِوُجود تجاوزات وفي العديد مِن المسائِل التَّفصيلِية، قام بها «كارناب»، إذ خَطَّأَ «فتجنشتاين» مَثَلاً في افتراضِهِ القائِل بأنَّ القَضايا الأُنْطولوجيا لَيْسَت ذات مَعنى[2](1). أمَّا كِتابُهُ: «**المعنى والضرورة** «(1947 م)، فقَد استطاع عَبْرَهُ أنْ يُؤَسِّسَ مَنطِقياً لمَفْهُوم الحقيقة، مُوّجِها النَّقد إلى التَّصَوُرات التَّقليدية التي استعملها الفلاسفة دُون تَمحيص أو نقد، ودون تعريف بطريقة دقيقة، حيث أسَّس لفكرة التصور السيمنطيقي للحقيقة. وانطلاقاً مِن كَوْن «كارناب» مِن النَّاطقين الرَّسميين باسم حَلقة فيينّا والوَضعِية المنطِقية، فإنّ ما يَهُمُّنا في هذه الدِراسة، هُو توضيح جُملة الأفكار التي أسّست لها فلسفة كارناب العِلْمِية، وإسهاماتُها في تطوير هذه الحركة. لِنكشِف عن كيفِية توظيف «كارناب» لِمنهجية التحليل المنطِقي على اللُغة، والتي قَرّبته مِن جماعة فيينا، وجعلتْهُ رائِداً مِن رُوّادِها. وكيف انعكست هذه المنهجية على مَسار فلسفة اللُّغة عُموما، وعلى مشروع الحَركة الفلسفية للتجريبية المنطقية والمُتَمَثِّل بالخصوص في تحقيق « وِحدة العِلْم».

(1) أنظر: رافد قاسم هاشِم، رودلف كارناب والوضعِية المنطِقِية، مجلّة جامعة بابِل، للعلوم الإنسانية، كليّة الفنون الجميلة،المُجلّد 18، العدد 4، د(ت)، ص، 1057.

1. التجريبية المنطِقية كفلسفة لِمنطق للعِلم عِند «كارناب» - دراسة في الأُسُس -

1.1 التحليل المنطِقي والخِبرة (Experience) كأساس مُشترك لفهم العَالَم:

لقد كان «كارناب» دائِماً يُراجِعُ مفاهيمَهُ، ولكِنَّهُ بَقِيَ وفِّياً لِبرنامج يُمكِنُ أن نُلَخِصَهُ في ثلاث نِقاط أساسية:

أولاً: «الإمبريقية **l'empirisme** « أو التجريبية كما كانت تُسّمى، أين ينبغي أن تخضَع كلّ معرفة عِلمية للتَّحقق التّجريبي. ثانياً: « الوضعية**Positivisme** « بأبرَزِ ما تحمِلُه مِن مَعنى الرَّفْض للميتافيزيقا. ثالثاً: تبنِي «المنطق الصوري **logique formelle** «كأداة مُثلى في خِدمة التَّحليل الفلسفي[1]. هذا البرنامج عَكس الصورة التي تشكلَّت مِنها فلسفة «التجريبية المنطقية» في أعلى مراتِبها وصُوَرِها. وقبل أن نكشِف عن معَالِمَ التأثير، ومدى إسهامات «كارناب» في صِناعة الجوانب الميتودولوجية والإبستمولوجية لهذه الحركة الفلسفية، رأينا لِزاما الانطِلاق مِن النتائِج للوصول إلى تأكيد وصُنع المبادئ العامّة في هذا المَطْلَب الذي نسعى لإبرازِهِ، والمُتمثِّل في إثبات الصِّلة المباشِرة بين كارناب الفيلسوف والتجريبية المنطقية مُمَثلَّةً في حلقة فيينا مِن جِهة، وذلك باعتبارِهِ المُنظِّر والناطق الرسمي لهذه الحركة.

في البِداية، يُمكِنُنا تلخيص أطروحات « كارناب» حسب «غاستون غرانجيه» في سِتّة بُنُود[2]:

أ. العَالَمُ واحِد، لَكِن تَجْرِبَتُنا عَنْه تَتَجَزأ تِلقائِياً إلى حُقول عِدّة: حَقْل المَواضيع النّفسانية الحَقّة، حَقْل المواضيع الفيزيائية، حَقل المَواضيع المُتداخلة مَع النَّفسانِية وحَقْل المَواضيع الثَقافية، وهذا العَالَم قابِل للمَعرِفة العِلْمِية ودَوْر الفَيلَسوف هُو أنْ يُقدِّم انطلاقاً مِنْ هَذه الِوحدة للتّجربة في العالَم تَكويناً مَنطِقيا لِتعدُدِيّة أنْماط المواضيع، ثُمّ القِيام بِتَفسير مَعْرِفتنا العلمية لهذه المواضيع ذاتها.

ب. المعرفة الوَضعية لا يُمْكِن أن تَكون سِوى بِنائِية، ولا تَصِلُ إلى ما هُوَ مُفرَد في التّجربة.

ج. يُمْكِن للتَّكوين أن يَنطلِق اعتباطاً من مُعطيات مُقتبسة مِن أيّ حقل للتجربة...فنقطة الانطلاق المختارة من «كارناب» تنتسب إلى حقل « النفسانية الحقّة». إنّه «المَعْيوش» عُنصر كامِل مِن التّجربة. فوِحدة العَالَم تَضْمَن التّطابُق النِهائي للمَنْظومات التَصُوريّة المَبْنِية بِطُرق مختلفة.

د. من وِجهة أخرى يُصاغ التكوين بِلُغات مُختلفة، ويُريد «كارناب» أن يُميّزَ فيه بَيْنَ أربعة لُغات، حيث ثلاث مِنها مُختلفة تماماً: لُغَة البِّناء الشَّكْلاَني (التي هِي لُغة مَنْطق «راسل»)، لُغة

(1) ELIZABETH Clément, Chantal Démanque, Laurence Hansen, Pierre Kahn, LA PHILISOPHIE de A – a – z, Hatier, Paris, octobre, 1994, P.P. 50,51.

(2) راجِع: أدهم، سامي، المعتقد المهيمن المحرّك والدُّمْية، المرجع السابق، ص، ص، 57، 58.

البِّناء الخَيالي(التي هي لُغة نَظَرِيَة ساذَجة للنَّماذِج)، واللُّغَة الواقِعية والتِّي يُعبّر عَنْها بِحُدود مُباشِرة مُقتبَسة مِن التَّجربة التِّي تَتَكوَّن عَفوياً.

هـ. المعرفة العلمية ليس لها مِن حُدُود .

و. المواضيع الفيزيائية، مواضيع واقعية، والواقع قابل للمعرفة العلمية، بقدر ما هو تكوين بِنائي، مُصاغ منطِقياً، كمنظومة تصَوُرية مُعبِّرة عن وِحدة العالَم، وليست بِبساطة كظاهرة.

ز. لِنَعُد إلى قضِية التَّصَوُرات التي انطلقت مِنْها حَلقة فيينّا كَمَدرسة، أو التَّجريبية المنطقية كَفلسفة واتجاه فِكري مُمَثِّل لِهذه الحَرَكة، فَلقَد انطلقت مِن تَصَوُر المَعْرِفة كَسِسْتام مُغْلَق يَبْدَأ مِن المُعطى المُباشِر باعتِبارِهِ الأَساس الصَّلْب الذِّي لا يَطالُهُ شَكٌ، واعتِبار كُلّ أنواع المَعرفة تبدَأُ مِن هذا الأساس وبالتالي يُمكِن إقرارُهُ بِيَقين[1](1).

في هذا السِياق نَجِدُ «كارناب»، يُعيد طَرْح هذه المسألة، في كتابِهِ: «البناء المنطِقي للعالَم» (الذِّي سَنَخُصُّ ونَكْشِف عَن مَضمونِه بِنَوع مِن الإسهاب في البَّحث لاحِقاً)، حَيْث يَرى أنَّ كُلّ مَعْرفة تَنْتُجُ عن طريق العُلوم المُنْفَرِدَة، وهِيَ أي الفلسفة على العَكس مِن ذلِك، ليست بَحث شيء، ولكنَّها انعكاس للأسُس والمَناهِج، وفي المَقام الأوّل للمَنطِق وَ لُغَة العُلوم، الفلسفة عِلمُ العُلوم، وفقط بِطريقة غير مُباشِرة هِي عِلْم العَالِمِ، إذا كانت هِيَ ذاتها عِلماً.[2](2)

إذ حاوَل عبر هذا الكِتاب أن يُبَرْهِن على إمكانِية إعادة التأسيس لِمفاهيم جميع المعارف، وذلك وِفق طريقة عَقْلِية دون إخلال بمعاني تِلْك الأفاهيم المُستوحاة مِن رُوح المُعطيات الحِسّية المُباشِرة. فَهُوَ يرى أنّ كِتابَهُ هذا: «البِناَء المنطِقي للعَالمَ» هُو خُطوة على الطريق نَحْوَ الفلسفة باعتبارِها عِلْمٌ مُتَحَرِّر مِن المِيتافِيزيقاَ. ولا يَتِّم تَحقيق ذلك بالنِسْبة إليه، إلاَّ بالاعتماد على المَنْطق الحَديث المُتَطّوِر في نِطاق الرِياضيات(المنطق الرَّمزي الحديث) كأداة مُثلىَ للاستعمال في مجال الفلسفة وهُوَ يَقْصِدُ كما قال « إ. هوسرل » Husserl Edmund (1859/1938)، الفَلْسَفة التِّي تَسْلُك طريق العِلْم الصَّارِم

شأنُهُ شأن «لايبنتز Leibneitz»، يُؤكِّد «كارناب» على ضَرُورَة تَقسيم العَمَل في الفلسفة على شاكِلة العُلوم المُنْفَرِدة ولكِن في إطار ما يُسّمى عِندَهُ بِالعِلْم الكُلِّي، فالعِلم عِندَهُ يشْتَمِلُ على الكُل مِن حيث المبدأ. أي أنّ العِلْم كَمذهب، مَعرِفة مَفْهومِية ليس لها حُدود، والمَقْصود بِلا مَحْدودية المَعرفة العِلمية هُو أنّهُ لا يُوجد سُؤال يُمكِن أنْ تَستَحيل إجابَتُهُ أساساً على العِلْم.

(1) رافد قاسم هاشِم، رودلف كارناب والوضعِية المنطِقية، المرجع السابق، ص، 1057.

(2) شنيدرس، فرنر Werner, schneiders، الفلسفة الألمانية في القرن العشرين، تر: محسن الدمرداش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005 م، ص، 131.

ونَظراً لهذه الكُلّية التي يَتِمُ النِداء بِها بهذه الطريقة، أصبَح لا حاجة للفلسفة كَميتافيزيقاَ، لأنّ الميتافيزيقا ليست عِلْماً ـ[1].

إذن فكارناب مِن خِلال هذا الطرح، حاول أن يُنَظِّرَ لأَرضية صَلبة للفلسفة الوضعية أو التّجريبية المنطقية انطِلاقاً مِن تَبَنّي المنطلقات الأساسية التي احتواها برنامَجُها، والداعي إلى تَخليص العِلْم مِن كُلّ المَضامين الخالِيَة مِن المَعْنى، وبِناء لُغَة مِثالية خاصّة بالتَطَوُّرات الكُبرى التي عَرِفها العِلْم التَّجريبي الطبيعي، مُتَمَثِلَة في اللُغة الفيزيائية. فلقد كان لِكارناب، إنتاج معرِفي غزير، لِدرجة أنّه يكاد يستوعِب كُلّ فروع المعرفة العِلْمية، حيث كان لَهُ الفضل الكبير في نشر الدعوة الوضعية الجديدة. لقد جعَلَ «كارناب» مِن نفسِهِ، المُثَّبِت لقواعد الفلسفة التجريبية المنطِقية، والمُمثِّل المنطِقي للعَلْمَنَة الحديثة للفلسفة التي تَذْهَبُ بِكُلّ ما هُوَ ليس بِعِلْم خارِجَ نِطاق العَقْل، أين ستُصْبِح الفلسفة الجَديدة مُجرَّد عِلْم ـ[2] وبالتّالي فإنّ أهّمَ أساس انطلقت مِنه الفلسفة الجديدة مُمَثلَةً في الاتجاه التَّجريبي-المنطقي، كان مُنحصِراً في مشروع كينونة الفلسفة وموقِعُها مِن العِلْم الطبيعي خاصّة، وذلِك حينما تطرَحُ موضوعها الأساسي المُتعلِّق بِـ « التَّحليل المَنْطِقي لِمقولات العِلْم والفَّلسفة». [3]

فالفّهم العِلْمِي للعَالَم عِنْد فلاسفة التجريبية المنطِقية، وفي عُرْف الحلقة المُشَّكِلة لها (حلقة فيينا)، يَعْتَمِدُ في جوهَرِهِ على منهجية التحليل المنطِقي. في هذا الصدد يطرح «كارناب» نظرتُهُ حول «الفهم العِلْمي للعالَم» مِن خلال البيان العام لحلقة فيينا كالآتي: «أمّا العِلْم الموحَّد، وهُوَ هدف الجُهْد العِلْمِي، فيَجِبُ أن يُتوَصَّل إليه بِتطبيق هذا التّحليل المنطقي على المواد التجريبية.»[4]3

والهَدَف مِن هذه العمَلِية، هُو تبسيط معاني الألفاظ العِلْمية، بحيث يتِّمُ إرجاع كُلّ لَّفظ إلى لَّفْظٍ أبْسَط مِنْهُ، مِن خِلال رَبْطِهِ بمادَّتِهِ الوحيدة المُفسِّرة له، والمُتَمَثِّلة في المُعطيات الحِسِّية التي تُحيلُ إلى المُعطى المُباشِر. وهذا ما يُسّمى في عُرْفَ الوضعيين المناطِقة بِعَمَلِية تَثبيت مَعنى الألفاظ العِلْمِية. وهُنا ينبغي الإشارة إلى المُعارضة الشَّديدة التي أبْداها أنْصَار نَّظَرِية «الفَّهم العِلْمِي للعَالَم» للفلسفة التَّقليدية، والذّي يُعْتَبَر»كارناب» أبرزُهُم، إذْ نَجِدُهُ في هذا السّياق يُؤَكِّدُ على أنَّ الأمْر لا يَتَعَلَق بِتثبيت أيّ ألفاظ فلسفِية، بل الأمر يَتعلَّق بِتركيز الجُهود على تَوضيح الألفاظ المُتعلِقة بالعِلْم التَّجريبي. مِنْ هُنا تَظْهَرُ مُعارضَتِهِم ورَفضِهِم

(1) راجع: شنيدرس، فرنر Werner, schneiders، المرجع نفسه، ص، 132.

(2) شنيدرس، فرنر، المرجع نفسه، ص، 134.

(3) - l'analyses logique des énonces de la science et de la philosophie.

(4) Carnap, R, Hahn, H, Neurath, O, «La Conception Scientifique du Monde», in . Soulez, A, «Manifeste du cercle du Vienne et autres écrits», P.119.

للفَّلسفة كَنَسَق(أو كَسِستام).

لقد كان الاهتمام بارِزاً بقضايا العِلْم الطبيعي والرياضي على السواء في مُناقشاتِهم، مُعتمِدين على حدود مِن المنطِق الحديث، والرياضِيات -كما صَوّرَ مبادِئها كلّ مِن: «راسل» و«وايتهيد»- في التحليل لِلُغة قضايا العِلْم التجريبي. وبالتالي فإنّ الفِكْرة التي أكَّدَ عليها هؤلاء، يُمكِن حصرُها في المسألة التالية: «لا يوجَد فَلسفة كعِلْم أساسي وكُلّي (كما صوَّرَتْهُ الأنساق الكلاسيكية في تاريخ الفلسفة) إلى جانِب الميادين المُخْتلِفة لِعِلْم الخِبرة الوحيد أو أعلى مِنْهُ، لاَ يوجد أيّ طريق يُؤدّي إلى معرفة مضمون مَا، غيرَ طَريقِ الخِبْرَة، لا يوجد مَمْلَكَة مِن الأفكار فوق الخِبرة أو ما وَرَاءَهاَ».[1](1) فانطلاقاً مِن مَبْدَأ اعتماد المُعطيات الحِسّية كأساس للمَعرِفة العِلْمِية، انجرَّت عنه باقي المبادئ الفلسفية الأُخرى للفلسفة التّجريبية المنطِقية، التي صَاغَها «كارناب» وِفق المضامين الكُبرى التي مَيّزت «البيان التأسيسي لِحلقة فيِينّا -Le Manifeste du cercle du Vienne»، كَقضايا «استبعاد الميتافيزيقا مِن كُلّ فروع المعرفة» و«التأسيس للفَّلسفة العِلْمِية» و«بِناء العِلْم المُوّحد»، هذا ما أوْحى للمُتَتَبِّعين لِمِثْلِ هَذه الدِّراسات، الاعتقاد بأنّ هذه الحَركة الفلسفية الجديدة، ستَقْضي نِهائِياً على الصِّراع الذِّي كانَ قائِماً بَيْنَ المَذاهب الفِكرية والفلسفية.

2.1 منطِقُ العِلْم كبديل للفلسفة عِند كارناب:

في البِداية ينبغي أن نَعْرِف ماذا قَصَد «كارناب» بِمُصطلح « منطِق العِلْم»؟ الإجابة على ذلِك، موجودة عِند «كارناب» نفسُهُ، لأنّه خَصّ هذه العِبارة بدراسة خاصّة، عَرَضَ فيها مشروعَهُ حول «النّحو المنطِقي لِلُغة العِلْم» عنونها بِـ « **النَّحو(التركيب) المنطقي لِلُّغة** The Logical Syntax of Language »، حيث يقول في هذا الكِتاب، كاشِفاً عن مقصدِه هذا المُصطلح: «يَجِبُ استبدال الفلسفة بِمنطِق العِلْم، لأنّ منطِق العِلْم ليس سِوى النّحو المنطِقي لِلُغَة العِلْم.»[2](1)

إنّ هذا التأسيس لِما يُسّمى بالنّحو المنطِقي لِلُغة العِلْم في مشروع «كارناب»، يأتي كمرحلة لاحِقة لاستِبعاد الميتافيزيقا مِن مجال الفلسفة العِلْمِية عِنده. حيث تَعْمَدُ هذه الأخيرة (أي الفلسفة العِلْمِية) على - إخضاع موضوع لُغَة العِلْم، إلى الدِراسة التحليلية. إذ تنحَصِرُ وظيفتها هُنا في التحليل المنطِقي لأَفَاهيم العُلوم وجُمَلها-[3](2).

(1) IBID. P.127.

(2) Carnap, Rudolf, The Logical Syntax of Language, trans, by Smeaton, Ameth, ed. Harcourt, Brace and Company, New York, 1937, p. XIII.

(3) راجع: وداد، الحاج حسن، رودولف كارناب – نهاية الوضعية المنطقية- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، وبيروت(لبنان)، ط1، 2001، ص، 101.

يُفَرِّق «كارناب» بِشِدَّة في مُؤلّفِه الثاني هذا والذي ألّفَهُ سنة 1934 م، بَيْنَ مسائِل اللُّغة ونَظَرِيات الجُملة مِن ناحِية، وبَيْنَ المَسائِل المَنطِقية مِن ناحية أخرى. هذه الأخيرة تَتَشكَّل مِن مَفاهيم وجُمَل ونَظَريات، وإلى حَدِّ الآن ما زَالَت الفّلسفة مُجرَّد مَزيج وخَليط مِن مَسائِل المَوْضُوع (التي تَخُصُّ الأشياء التي يَتِمُّ تَنَاوُلُها في العُلوم المُنفَرِدة مِنْ نَاحية، والمَوضوعات الغَيْر مُتواجِدة في مَجالات شَتَّى العُلوم المُنفَرِدة مِنْ نَاحية أُخرى (أي الموضوعات الوَهْمِية). بِناءاً على ذلك رَجَعَت الفَّلسفة بذاتِها لَدَيْهِ إلى ما أسماه بِـ: «المَسائِل المَنْطِقية «. وفيما عَدى مَسائِل العُلوم المُنْفرِدة، تَبْقى كَمسائل عِلْمِية حقيقية فقط مَسائل التَّحليل المنطقي للعِلْم، وجُمَلَها ومفاهيمِها ونظرياتِها. هذهِ المسائِل التي فيها تركيب لُغة العِلم كمحّل للنِقاش هِيَ ما يُسّميه «كارناب» بمنطِق العِلم[3](1) هذا الأخير يُصْبِحُ هُو المتَبَقي الوحيد وذلك حين تُنَّقى الفلسفة مِن العناصِر العِلمية.

ومِنهُ كان فَحْوَى هذا العمَل مُنحَصِراً في تَنْصيب «كارناب» كَمُمَثِّل مَنْطِقي للعِلْمِية الحديثة للفلسفة، فعَبْرَ صفحات هذا الكِتاب، نجِدُهُ يُلْغِي مَاهِيَتان للفَّلسفة هُما على التَّوالي:

- الصيغة النَّظرية التَّقليدية للفلسفة والتي كانَت تَرُدُّ الفلسفة إلى الميتافيزيقا.
- الصيغة التي كانت تهتَّمُ بالمسائِل الوُجودِية باعتبارِها «لُغز الحياة » ومِنْهُ إبعاد ما يُسَّمى بفلسَفة المُمارسة وضَّرورة تَرْكِها للإدارة الفَردية. إذن فكَيْنُونة الفَّلسفة الجَديدة لَدى «كارناب» تكمُنُ في كَوْنِها «منطِق العِلْم» أو «عِلْم أَسَاسي صَارِم»، هِيَ فَلْسَفةٌ تُرْجِعُ ذاتَها إلى التَّحليل المَنْطِقي للعُلُوم ولُغَتِها.

حاوَل «كارناب» أن يَسْتبدِل الفلسفة بِعِلم المَنْطق، مُبْتَدِءاً بالنَّحو، إذ يُمكِن استخدامَهُ لِتَشكيل لُغَة مِثالِية، اتُفِّقَ على تَسْمِيَتِها «ما بَعْد اللُّغة» أو كما يُسَمّيها «كارناب» «اللُّغَة الفَوْقِية»، وهِي لغة صورية، أَيْ لُغَة مِن الدَّرَجة الثانية[2] والتي سَتُعوِّض اللُّغة العادية، لِتَصِير لُغة مَنطقية حقيقية[3](1). هذا ما طرَحه كمشروع كلّ مِن «جوتلوب فريجه» و«برتراند راسل» و«فتجنشتاين الأوّل»، ومِنه فالتّركيب المَنطِقي للّغة، نَظَرِية صُورية تتناول التَّراكيب اللُغَوِية، وتنتُجُ مِن التحليل المنطقي للغة. ويتألّف هذا التَّركيب مِن ناحِيتين هُما: الناحية التركيبية **Syntaxe** للجُمَل وهذه تتناول التّركيب النّحوي للجُمل والنَّاحية المنطقية وهذه

(1) شنيدرس، فرنر Werner, schneiders، الفلسفة الألمانية في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 133.

(2) "ما بعد اللغة" هي تلك اللغة التي توضَع فيها القواعِد الصادقة على لُغة الموضوع، كذلك تُصاغ بِها ما بعد اللغة كلّ النتائج النظرية المُتعلِقة بِلُغة الموضوع، وأحياناً تُستخدَم لغة التَخاطُب بِوصفِها ما بعد لُغة. والسبب في تسمِيتِها "ما بعد اللغة" هُوَ أنّ هذه اللغة تُستَعمَل للكلام عن لغة الموضوع، فهي «بعد» لُغة الموضوع... وحسب ما يزعم "كارناب"، فإنّه في المنطق ينبغي التمييز الحاد الدقيق بين "لُغة الموضوع" و"ما بعد اللغة" وإلاّ يحدث مِن الخلط بينهما مناقضات معنوية) أنظر: بدوي، عبد الرّحمان، الموسوعة الفلسفية، ج2، ص، 253.

(3) Marc Le Ny, Découvrir La Philosophie contemporaine, Groupe Eyrolles, PARIS, 2009, Page 51.

تَتعلّق بِقوانين اشتقاق الجُمَل، ويقوم هذا التّركيب المنطقي للّغة على تَطبيق قوانين المنطق على التّركيب النّحوي للجُمَل.[1][2]

هذا ما يُوضِّح أنّ التركيب المنطقي للغة لا يهتّم إلاّ بالعلاقات الصورية بين الجُمَل وبِالتركيب الصوري للألفاظ، دون مراعاة للمضامين التي تحملُها تلك القضايا والألفاظ. ولِهذا نجِد أنّ «كارناب» يضَع مُقابلة مفاهيمية بَيْنَ مُصْطَلَحَي: «منطق العلم» و«التَّركيب المنطقي». وفي نفس السِّياق، نَجِدُ «كارناب» يُميّزُ بَيْنَ لُغَة المَوضوع Object Language، أو اللغة الشيئية، واللُّغة الفَوْقِية، فلُغَة المَوْضوع هِي التي تَكُون مَوْضوع للدِّراسة، أمّا اللُّغة الفَوْقية أو اللُّغة الشارِحة كما يُسّميها البَّعْض، فهِيَ التِّي تتِّم فيها صِياغَة النَّظرية الخاصّة بلُغة الموضوع.[2][3] ونظراً لِبنية اللغات الطبيعية غير المُنظّمة، وغير تامّة منطِقياً كاللغة اللاتينية والجِرمانية مثلاً، فإنّ «كارناب» يعتقد أنّ عرض قواعِدها الخاصّة بالتكوين والتحويل كما سبق وأَنْ ذَكَرْنا، أمْرٌ فيه الكَثير مِنَ التَّعقيد، والحَلُّ بالنِّسبة إليه (أي كارناب) يَكْمُنُ في الاستعانة باللُّغات الرَّمزية فهِي منطقيّة، إذ يَقول : «لأنّه فَقَط بواسِطة لُغَة رَمْزية تَتِّمُ البَرْهَنة على أنّهُ مِنَ المُمْكِن إنجاز صِياغة دَقيقة، وبَراهين صَلْبَة.»[1][3]

وَحْدَها هذه الطريقة حَسَبَ «كارناب»، التي سَتُمكّنُ مِن وَضْع نَسق مِن القَواعد التِّي تَتّسِم بالبساطة والصَّرامة في الآن نَفسِه. هكذا يتَجلى لنا بِوُضوح فَعاليات البِناء المنطقي، ومَدى إمكانية تطبيقِهِ. وانطلاق من هذا التسليم، -يعرِض لنا «كارناب» نَموذَجَيْن مِنَ اللُّغة لصُّورية الرَّمزية: اللُغَة رقم I، وهي مُحدَّدة «Définie» . واللغة رقم II وهِي غَيْرُ مُحدَّدة «In-définie» . لُغة فَوْقِية مُلائِمة سَتَسْهَمُ أساساً في صِياغة المُشكلات الفلسفيّة بِوُضوح أكثر، كما سَيَسْهم أيضاً في إغناءِها ومناقشَتِها بِشكلٍ كبير. إنّ اللُغَة I محدودة لأنّ مُتغيراتُها حُرّة غير مُقيّدة، ويقيمها «كارناب» عن طريق الاستعانة بمجموعة من قواعد التكوين التي يعرض فيها لِثوابتها ومُتغيراتُها والطريقة التي يتِّم فيها بِناء جُمَلِها، ومجموعة من قواعد التَّحويل والتِّي تَعْتمِد على قواعِد حِسابية غاية في التَّعقيد، لِتُحدِّد في النِّهاية جُملة الشُّروط التي وِفقاً لها يُمكِن اشتِقاق جُملة مِن جُملة أخرى. وعموماً فإنّ اللُغَة I تهتَّمُ بِالجُمَل التَّحليلية وليس بالجُمل التجريبية. أمّاَ اللُّغة II والغَيْر مَحْدودة، فإنّها تَحْتَوي على اللُغَة I بِوصفِها لغة فرعية داخلية، إضافة إلى احتوائِها على جمل أولية خاصّة بالفيزياء ومتغيرات وصفية، الأمر الذي يجعلها تَقْبَل الجُمَل التَّحليلية والتجريبية معاً، أمّا من حيث قواعِد التكوين والتَّحويل،

(1) رشيد، الحاج صالح، المرجع السابق، ص،ص، 134، 135.

(2) جابري، محمد عبد الرحمان، نظرية العلامات عند جماعة فيينا، رودولف كارناب دراسة وتحليل ، دار الكتاب الجديد المتحدّة، ط1، 2010 م، ص 174.

(3) Carnap, R, The logical Syntax of Language, OP, Cit, P.3.

فَهُناك تَشابُه مِن حَيث الشَّكل بَيْنَ اللُغَتَيْن I وَ II[1][2]- هكذا يتضِّح لنا من خلال التركيب المنطقي الذّي قَسّمَهُ «كارناب» إلى قِسمين حَسَب لُغة الموضوع: تركيبٌ منطقي مَحْض أو خالِص والذّي تكون تعريفاتُهُ صورية خالصة، وتركيب منطقي وصفي،والتي تَكُون تَعريفاتُهُ خاصّة بالجانب التّجريبي لِجُمَل لُغَة الموضوع.

إنَّ عَالَمُ اللُّغة هُوَ الغاية من دراسات «كارناب» المنطقية، لِذلك نَجِدُه يبتعِد عن العالم الخارجي، بل أحيانا يصِل إلى درجة إلغَاءِهِ وإحلال اللُّغة مَكانَهُ، فَحُدود معرِفتِنا تَمْنَعُنا مِن أنْ نَتناوَل ذلِك العالَم، فَحُدود مَعرِفتِنا هي حُدود لُغَتِنا. ولِهذا ينبغي استبعَاد كُلّ لُغة تَتحَدَّث عَنِ العَالَم الخارجي من دائرة العِلْم والفَلسَفة، ومنه يبرُزُ موقِف «كارناب» الرافِض «للأسلوب المادّي في الكلام» وتعويضُهُ «بالأسلوب الصوري في الكَلام».[2][3]

إذن وفي هذا القِسم من المباحث في الدراسات « المابَعد منطقية «، والتي انشغل بالبّحْث فيها الفيلسوف «كارناب»، نجِدُه يُرَّكِز على تحليل الجُمَل التحليلية، حاصِراً مُهمّة الفلسفة في التحليل السيمانطقي للجُمل التحليلية والتجريبية على السواء. وفي هذا الصدد يُبَيّنُ «كارناب» مُهِمّة التّحليل المنطقي ووَظِيفَتُه قائِلاً: «إنَّ وظيفة التحليل المنطقي هِيَ تَحليل كلّ المَعارِف، أقوال العِلْم، وأقوال الحَياة اليَوميّة، مِن أجل إيضاح مَعنى كلّ واحِد مِن هذه الأقوال، والعلاقات القائِمَة بَيْنها. ومِنَ المُهِمات الأساسية للتحليل المنطِقي لِقَضِيّة مُعيّنة، إيجاد طريقة للتَّحَقُّق مِن صِحَّة تِلك القضِية».[1][3]

(1) الحاج صالح، رشيد، النظرية المنطِقِية عند كارناب، المرجع السابق، ص،ص، 138،139.
(2) المرجع نفسه، ص،ص، 140، 141.
(3) مورتون وايت، عصر التحليل، ترجمة: أديب يوسف شيش، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، د(ط)، 1975م، ص، 230.

2. إسهامات «كارناب» في مجال البِنْيَة والتركيب المنطقي للعَالَم.

1.2 الفلسفة والبناء المنطقي للعالَم عند «كارناب»

شَكّلُ مُؤلَّف «كارناب»**البناء المنطقي للعَالَم «La Construction Logique du Monde»**، والذي ألّفَهُ سنة 1928م، عمَلَهُ الرئيسي ، حيث عَالَجَ في مُقدِّمة هذا الكتاب، الفلسفة بِنوع من الاقتضاب، حيث يرى أنَّ كلّ معرفة تَنْتُجُ عن طريق العُلوم المُنْفَرِدَة، وهِيَ أي الفلسفة على العكس من ذلِك، ليست بحث شيء، ولكنَّها انعكاس للأسُس والمناهِج، وفي المقام الأوّل للمنطِق وَلُغَة العُلوم، الفلسفة عِلمُ العُلوم، وفقط بِطريقة غير مباشِرة هِي عِلم العَالمَ، إذا كانت هِيَ ذاتها عِلماً-[2](1).

يرى «كارناب» أنّ كتابَهُ هذا: «البِنَاء المنطِقي للعَالمَ» هُو خُطوة على الطَّريق نَحْوَ الفلسفة، باعتبارِها عِلْمٌ مُتَحَرِّر مِن المِيتافِيزيقاَ. يعتَمِدُ «كارناب» في كتابِهِ هذا على المنطق الحديث المُتَطّوِر في نِطاق الرِياضيات(المنطق الرمزي الحديث) كأداة مُثلىَ للاستعمال في مجال الفلسفة وهُوَ يقصِدُ كما قال «هوسرل(1859/1938) «Husserl Edmund، الفلسفة التي تسلُك طريق العِلْم الصَّارِم.

ما يُبَيّن حقيقة هذه المساعي في هذا المنحى، هذا الكلام لِـ: «كارناب»في كتابِهِ» البِناء المنطقي للعالم «إذ يقول: «لا توجد قاعِدة نِهائِية في اللغة الفيزيائية، فجميع القواعِد يتّمُ وَضعَها بِتحَفُظ، بحيث يُمكِن تغييرُها بِمُجرّد أن يبدو القِيام بذلِك مُلائِماً، وهذا لا ينطبِقُ فقط على القواعِد الفيزيائية، بل ينطَبِقُ أيضاً على قواعِد الرياضيات.» [2](1)

إنّ المنطِق عِند «كارناب»- كما سبق أن وضّحنا- لا يقتصِرُ على تحليل الجُمل التحليلية فقط بل أيضا الجُمَل ذات الطابع التجريبي. هذهالأخيرة موضوعُها هُوَ العالَم الفيزيقي، وبالتالي تكون معرفتِنا بها عبرَ هذا النوع مِنَ التحليل المنطقي، حيث تقوم أي المعرفة التجريبية داخِل نسق منطقي تركيبي، حتى تتسنى لنا إمكانية معرِفتِنا بالعالم. ولكن «كارناب» يُقيمُ هذا نسق التركيب المنطقي للعالَم بِطريقة تختلِف عن طريقة التركيب المنطقي للغة من حيث طريقة البِناء. إذ يُقيمُ الأوّل (أي التركيب المنطقي للعالَم) بواسطة طريقة «تركيب المفاهيم»، وهِيَ طريقة تقوم على تعريف بعض المفاهيم ، ثمَّ تعريف المفاهيم الأخرى من خلال تِلْكَ المفَاهِيم المُعَرَّفة، وهذه الأخيرة هِيَ المُكَوِنات الأولية للعالَم، ومُهِمّة هذه المُكَونات هي إرجاع كلّ مَعارِفِنا عَن العالَم إِلَيْهَا، بحيث يُمكِن إرجاع جميع مفاهيم العلوم إلى تلك المُكونات الأولية، في حين

(1) شنيدرس، فرنرWerner, schneiders، الفلسفة الألمانية في القرن العشرين، المرجع السابق، ص، 131.

(2) -Carnap, R, La construction logique du Monde, Introduction de Elisabeth SCHWARTZ, TRAD. de, Thierry RIVAIN, Revue par: Elisabeth SCHWARTZ, Librairie Philosophique, J.VRIN, Paris, France, P. 318.

أنّ هذه الأخيرة نفسُها لا تكون قابِلة للتحليل.[1]لكن ما هي مُستويات مُكونات هذا العالم؟ يرى «كارناب» أنّ مكونات العالَم تتألف من مُستويين: الأول هو المستوى المنطقي والتي تُشَكِلُ العلاقات المنطقية التي تربِطُ بين تلك العناصر العلاقات الأساسية التي تتكوّن فيها معرِفَتُنا بالعالَم. فالعناصِر الأساسية التي هِيَ بِمثابة الوحدات الأولية للمعرفة عِند «كارناب» هِي التي تُشّكِل المُعطيات الحِسّية أو حالة الأشياء، أمّا العلاقات الأساسية فهِي علاقة «الشبه›› والتي عن طريقِها نَجِدُهُ يُصنِّفُ معارِفَنا بالعالَم إلى فِئات، بحيث تحوي كلّ فِئَةٍ الموضوعات المُتشابِهَة.

أمّا المُستوى الثاني، فهُو المُستوى الإبستمولوجي والذّي يتألّف حسبَهُ مِن أربعة مُستويات هِي على الترتيب:(مستوى السيكولوجية الذاتية أو كما تسّمى: الأناواحِدِية)، (مستوى الموضوعات الفيزيائية)، (مستوى السيكولوجية الغيرية ويتمحْوَرُ حول معرِفَتِنا بِعقول الآخرين)، (مستوى الموضوعات الثقافية)[2]3. هذه المُستويات الأربعة تُمثِّل كل أنواع المعرِفة بالعالَم، وما يَشُدُّ الانتباه في هذه التصنيفات لِلمُستوى الإبستيمولوجي، هُو أنّه كُلّما ارتفعنا في سُلّم المُستويات، تزيد نسبة التجريد في المعرفة، ولكنّها كلّها تسهَمُ في تشكيل الأساس الإبستمولوجي للنسق المنطقي. ومن هذه التقسيمات تنشأ عملية أساسية، وهِي جوهر عملية البناء المنطقي للعالم، إنّها «عملية الرَّد المنطِقي››، إذ من خِلالِها نقوم بردّ مُستويات المعرفة العُليا إلى مُستويات المعرفة الدُنيا، أو ردّ المفاهيم الأكثر تجريد إلى المفاهيم الأساسية، ويُشترط في هذه العملية أن نُحافِظَ على نفس قِيَم الصِدق في الجُمَل المردودة. إنّ النسق الذي شكّل البِنية التركيبية للعَالَم عند «كارناب»، هو بِمثابة عملية تركيب وَتأسِيس عَقْلي لِمعرفتِنا بهذا العالمَ. لِذلِك نجِد أنّ «كارناب» يؤكِّد في كتاباتِهِ على أنّ التركيب المنطقي للعالَم هو تطبيقٌ لِقوانين وقواعِد المنطِق على هذا العالَم، وهذا التطبيق جعل مِنَ العَالَم مُجرَّد صُوَر وأشكال منطقية وحوَّلَهُ إلى علاقات أكثر مِن عناصِر، حيث استعاض على العناصِر بتعريفات ومفاهيم، هِيَ التي يتعامَل معَها النسَق التركيبي، الذي يعتمِدُ في الأساس على العلاقات المنطقية أي على الناحية الصورية للمفاهيم الأساسية للنسق، باعتبار أنّ هذه الصورية هِي التي تضْمَنُ الموضوعية[3]1. هكذا اعتقد «كارناب» أنّهُ قدَّم نسقاً فلسفياً يُراعي مقتضيات العِلم مِن جِهَة ومُقتضيات المنطق مِن جِهَةٍ أخرى.

إنّ مشروع «دائرة فيينا›› والتي حملت لِواءه الفلسفة التجريبية المنطِقية، يهدِفُ بالأساس إلى ضرورة حذف العِبارات التي لا تحمِل معنى مِن الخِطاب الفلسفي، والاحتِفاظ فقط بالعِبارات التي تَحْمِلُ معنى إجرائي، أَيْ، مَعْنى لَهُ ما يُطابِقُهُ في العَالَم الخارِجي الحِسّي. في هذا

(1) الحاج صالح، رشيد، النظرية المنطِقِية عند كارناب، المرجع السابق، ص، 142.
(2) المرجع نفسه، ص، ص، 143، 144.
(3) الحاج صالح، رشيد، المرجع السابق، ص، ص، 146 ،147.

السِياق يرى «كارناب» في «النّحو المنطِقي للغة»-أنّنا مَهْما بَحثنا، أو مَهْما حَكَمْنا على نظرية عِلْمِية خاصّة مِن ناحية منطِقِية، فإنّ النتائج، أي نتائِج التحليل المنطقي يَجِبُ أن تُصاغ «بِجُمَل نحوية»، وذلِك بالنَّحو الصَّافي أو النّحو الوصفي، إنَّ منطِق العِلْم(المنهجية المنطِقِية) ليست سِوى «نحو لُغَوِي»، للعِلْم-[1][2] فهل إذن تكوين لُغة اصطناعية في مُستوى تجريدي أعلى (اللغة المِثالية كما ادعى أنصار النزعة المنطِقانية، بداية مع «فريجه» و«راسل» إلى «فتجنشتاين» الشاب في مشروعِه «رسالة منطقية فلسفية») يُلْغي دور اللغة الطبيعية؟ وهل يَظّل المعنى مُلْتَصِقاً دائِماً باللُغة؟ أليست قواعِدُ النّحو هِي مِن خارج اللغة؟ في هذا الصدد يرى «كارناب» أنّه لا يُمكِنُ التعبير عن قواعِد النَّحْو بواسِطَة اللغة الاصطناعية ذاتها، فهناك حاجة لِلُغَةٍ فَوْقِية لِدراسة اللغات الاصطِناعية [2]- هذا هُو المشروع الأعلى الذي سعت إلى تجسيده التجريبية المنطقية، منذ بداياتِها الفلسفية الأولى مع حلقة فيينا، إلى الوضعية المنطقية الجديدة. فَبَعْدَ استبعاد الميتافيزيقا من دائرة «الفلسفة العلمية»، لا يبقى لها (أي للتجريبية المنطقية كحركة فلسفية) كما يرى «كارناب» إلاّ أن تتناول لُغة العِلم بالتحليل والتفسير. فتَتْرُك الأسئِلة التجريبية للعلوم التجريبية [3]

إذن مُهِمَة الفلسفة الجديدة، ستكون مُقتصِرة على التحليل المنطقي لِجُمل العِلم، وفي هذا المعنى يقول «كارناب»: «يَجِب استبدال الفلسفة بِمنطق العلم أي بالتحليل المنطقي لأَفاهيم العلوم وَجُمَلِها لأنّ منطق العِلم ليس سِوى النحو المنطِقي لِلُغَة العِلْم.»[4]

إنّ عملية وصف التحليل بالمنطِقِية عند «كارناب»، معناه اختصاص هذا التحليل بموضوع مُحدّد دون غيرِهِ، إذ هُوَ تحليلٌ لَهُ آلياتُهُ وطُرُقُهُ التي من خلالِها يكشِفُ على العناصِر المنطِقِية المُتواجِدة في اللُغة. فالتحليل المنطِقي هُوَ طريقة لا تتوَقَفُ عِند حدود التجزئة، واكتشاف العناصر المنطقية وتحديد المفاهيم فَحسب، بل تتجاوز ذلِك إلى تعيين الشُّروط المنطِقِية التي يَجِبُ توَّفُرُها في النِّظام اللُغَوي، وتثبيت القواعِد المنطِقِية التي يَجِبُ اتِّباعُها عِند إعادة بِناء النِظام. فإذا كان «كارناب» قد اعتمد في مرحلة «التركيب المنطِقي للعالَم» على المُستوى الظاهِري في تحليلِهِ لِمعرِفَتِنا بالعَالَم، فإنّهُ هُنا ينتَقِلُ إلى المُستوى الفيزيائي في تحليل هذه المعرِفة – لِتَحُلَّ جُمَلُ البْرُوتُوكُول[5]()، محَلَّ حالة الأشياء بِوصفِها المُكَوِّنات الأوَّلية

(1) انظر: أدهم، سامي، إبستيمولوجيا المعنى والوجود، نقد التطورية (دراسة نقدية للواقِعِية، والمنطِقانية، والترنسندتالية ونقد تطور المعاني)، مركز الإنهاء القومي، بيروت، لبنان، د(ط،ت)، ص، 08.

(2) المرجع، نفسه، ص، 06.

(3) أدهم، سامي، إبستيمولوجيا المعنى والوجود، نقد التطورية (دراسة نقدية للواقِعِية، والمنطِقانية، والترنسندتالية ونقد تطور المعاني)، المرجع السابق، ص، 101.

(4) -Carnap, R, The Logical Syntax Of Language, P. XIII.

(5) هِيَ الجُمل التي تحْمِلُ بُعدَ الصِّدق النِهائِي، بَعْدَ أن تَتِّمَ عمَلِية الاشْتِقَاق اللُغَوِي لِمُفْرَداتِها، أي بعد التَحَقُّق النِهائي من

لِمعرِفَتِنا بهذا العالَم [1]-

إنّ «كارناب» حينَما يقومُ بِتحليل المعرِفَة العِلْمِية، لا يَهْتَّمُ بِتاريخِها وَ تَطَوُرِها كما فَعَلَ ذلِك «باشلار.غ Bachelard. G» بل اهتَّمَ بِالبِنيَة المنطِقية لِكلّ المفاهيم والنظريات وَ القَوانِين العِلْمِية، وهَذِهِ الأخيرة – أي القوانين العِلْمِية- هِيَ على قِسمان: **القوانين المنطِقِية** وهِيَ التي ترتَبِطُ بالعلاقات المنطِقية للمفاهيم العِلمِية، حيث تستَخدِمُ المنطِق الاستنباطي لأنّ صِدقها يكون داخِلِياً وضرورياً وقَبْلِياً. و**القوانين العِلمية الخاصَّة بِالعلُوم التجريبية**، حيث تستَخْدِمُ منطِق الاحتمالالذي يُعَبّرُ عن لاَحَتْمِية المعرفة التجريبية.[2]

هذا التقسيم عند «كارناب» خاصٌ بِحسب طريقة التحقق من صِدق كلٍّ منهُما، فالقَوانين العِلمية عِندهُ مُهِمَتُها الوصف والتنبؤ وليس تقديم تأويلات عقلية للعَالَم، لأنّ هذا قد يفسَحُ المجال لِدخول عناصِر ميتافيزيقية، تَتَسَبَّبُ في تراجُع العِلم أكثر مِمّا تُؤَدي إلى تَقَدُّمِهِ. ونفس الموقِف بِخصوص القوانين العِلمِية، يُقِيمُهُ «كارناب» على النظريات العِلْمِية، إذْ فِي رأيِهِ لا ينبغي أن تحتوي النظرية العلمية على أيّ حَدّ أو مفهوم لا يُمكِن اختِبارُهُ بالتَجرِبة. يُواصِلُ «كارناب» في تطبيق التحليل المنطقي على مُختَلف المَفاهِيم والمشَاكِل الفلسفية للعِلْم، وقد عبَّرَ في العديد من مؤلفاتِهِ، عن المسائِل المُتعلِقة بِدَمْج العلوم المُخْتَلِفة فيمَا يُسَّمى «وِحدة العِلم»، ومِن أبرز تِلْك المسائِل: مُشْكِلة تبرير المنهج الاستِقرائي، ومسألة إيجاد مِعيار دقيق للعُلوم التجريبية، وقضَايا التحليل المنطِقي للاحتِمَال. فَبَعدَمَا وَجَدَ مِعيَار صِّدق للعُلوم التَجريبية، وبَعْدَ مُحاوَلَتِهِ دَمْج تِلك العُلوم فيما يُسَّمى وِحدة العِلْم، والتي تقوم على فرضِية: أنّ جميع العُلوم - الطبيعية والاجتماعية – يُمكِن رَدُّها إلى عِلْم واحِد يُشَكِّلُ أساسُها المُشْتَرَك الذي يَجْمَعُها، إذ أنّ وِحدة العلم تُحاوِلُ إيجاد لُغَة مُوَحَدَّة[3]()، يُمكِن التعبير من خلالِها عن جميع قضايا العلوم، حيث وَجَدَ «كارناب»، أنّ العِلم الأمثل لِهذهِ المُهِمَّة هُوَ عِلم الفيزياء، ولِذلِك فقد شرَع في رَّد جُمل مختَلَف العلوم إلى جُمَل الفيزياء، وهِي النموذج الأرقى لِجُمَل «البروتوكول»، وهكذا فإنّ وِحدة العِلْم تعني وِحدة اللُغَة وَ وِحدة القوانين ووِحدة المناهِج.[4]إلاَّ أنّه ونظراً للطابع الكَمي المحض الذي تتميز بِهِ **لُغة النظرية الفيزيائية**، قام «كارناب» بِعملية تخفيف لِهذه اللغة، لِتصبُح مُقتَصِرةً على « لُغة الأشياء» أو « لُغَة عالَم الأجسام»، باعتِبارِها

صِدقِها، وذلِك من خلال مُطابَقَتِها للوقائع المُلاحَظَة، فهِيَ باخْتِصَار الجُمل ذات مَعْنَى.

(1) أُنظر : الحاج صالح ،رشيد، النظرية المنطقية عند كارناب، المرجع السابق، ص، 148.

(2) الحاج صالح، رشيد، المرجع نفسه، ص، ص، 148، 149.

(3) بِها يُمكِن التعبير عن كلّ قضِية عِلمِية، ولُغة كهذهِ لا بُدَّ لها أن تُحَقِّق شرطَين: إذ ينبَغي أولاً أن تكون لُغة بين الأفراد، أي لُغة ميسورة لِكُلّ إنسان، وعلاماتُها تَدُّل على نفس المعنى عند الجميع، وينبغي ثانِياً أن تكون لُغة عَالَمِية، يُمكِن بِها التعبير عن أيِّ موضوع نشاؤُهُ (أنظُر «بدوي عبد الرحمان، الموسوعة الفلسفية، ج2، المؤسسة العربية للدِراسات والنشر، ط1، 1984، ص،252.)

(4) -أنظُر: الحاج صالح، رشيد، المرجع السابق، ص، ص، 153-151.

الشرط الأوّل للتفاهُم بين النّاس.

وعِندَما يُقَسِّم «كارناب» حدود اللُّغة العِلْمِية، نَجِدُهُ يُرَكِّزُ على ثلاثة حُدُود:

أ. الحُدود المنطِقية، التي مِن ضِمنِها الرِياضِيات البَحتة.

ب. الحدود القابلة للملاحظة. (م)

ج. الحدود النظرية. (ن)

و بنفس الطريقة، قام بِتقسيم القضايا إلى: قضَايا أو جُمَل منطِقِية مُجَرّدة مِن الحُدود الوَصْفِية، وقضايا المُلاحظة أو جُمَل –م– التي تتضمن حُدود المُلاحظة، لكنّها لا تنطوي على أيّ حَد نظري. وأخيراً قضايا نظرية أو جُمَل –ن- وتحتوي على حدود نظرية خالِصة، دون حدود ملاحظة.[1](1) أمّا اللُّغة الكامِلة للعِلم (ل)، فقسَّمها إلى قِسمان، كلّ واحِد مِنهُما يحتوي على المنطق التام، والذي يشمُل الرياضِيات:

أ. لغات ملاحظة، أو لُغة - **م (ل م)**-و هِي التي تحتوي على الجُمَل المنطِقِية، وجُمَل - م، ولكِن دون الحدود - ن.

ب. اللغة النظرية، أو لُغة –**ن (ل ن)**، وهِي تلك التي تحتوي على الجمل المنطقية، وجُمَل – ن (مع أو ل).

ج. بدون حُدود– م بالإضافة إلى حدود - ن).[2](2) فَهُما يختلفان فقط مِن حيث عناصِرِهما الوصفِية، غير المنطِقِية، ومِنْهُ فمِن الواضِح جلِّياً أنّ فَيلسُوف العِلم «كارناب»، يجعل من الجانب الاستِقرائي التجريبي مِعيار الصِّدق الوحيد لِكُلّ معرِفَتِنا العِلْمِية، والشرط الضروري لِبِناء النّظرية العِلمِية.

2.2 «نظرية التركيب» كقاعِدة لتفسير بعض المشكلات الفلسفية عِند «كارناب».

يرى «كارناب» أنّ هناك أربعة مشاكِل صورية، وأساسية تطرَحُها «نظرية التركيب» (أو نظرية البِناء المنطقي للعالَم)، حيث أنّ هذه النظرية تبحث في تثبيت نسق مِن الأبنِية، بمعنى نسق مِن المفاهيم المُنظّمة في مستوى واحِد. ونظام كلّ مستوى يتمثّل في كون الأشياء الموجودة في كُلّ مستوى، يجِبُ أن توضَع على قاعدة الأشياء مِن ذوي المُستوى الأدنى، وفي معنى سَيُحدّد لاحِقاً يقول «كارناب». وإدارة هذا النسق يطرَحُ فبل كُلّ شيء المشاكِل الأربعة[3](3) الآتية:.

أ. يجب أن نختار أولاً وكقاعِدة للبِدء، المُستوى الأوّل، والذي يتأسّس على جميع المستويات الأخرى اللاحِقة.

(1) كارناب، رودولف، الأسُس الفلسفية للفيزياء، المرجع الأسبق، ص،264.

(2) المصدر نفسه، ص ، 264.

(3) voir: R. Carnap, La Construction Logique du Monde, OP.CIT. P. 89, 90.

ب. يجب تحديد الأشكال(أو الصُّوَر)،التي سيتِّمُ مِن خِلالِها الانتقال تدريجِياً مِن مُستوى لآخر.

ج. يجِبُ دراسة الكيفية التي سيَتِّمُ بها تركيب (بِناء) أشياء كُل مُستوى(صَّف) من هذه المستويات، مِن خِلال التطبيق المُتدَرّج لهذه الأشكال.

د. يتعلق بالشكل العام للنّسق البِنائي (أو التركيبي)، كما تحصله الوضعِية المتدرِّجة لِمختلف أصناف الأشياء.

و في آخِرِ هذا العرض يقول كارناب وفي نفس المصدر إنّنا نُعلِنُ هذه الأربعة مُشكِلات، كَمُشكِلات للقاعدة، لأشكال المُستوى، ولِصُور (أشكال) الأشياء، ولِشكل النسق.

إنّ استعراض بعض الأمثلة التي تمّت مناقشتها، وذلك لتوضيح أنّ هناك نِظام للمفاهيم التي حقّقتها نظرية التركيب (أو نظرية البِناء) والتي تسمح لمُصادرة (حجز) أكثر دِقّة للمشكلات.[1]، مُستَعْرِضا إياها (أي تلك المُشكلات) في كتابِه « البِناء المنطقي للعَالَم « ، أين حَصَرَها في النقاط الخمس التالية:

- **بعض المشكلات المرتبطة بالجوهر (أو بالماهيَّة):** فمن الدراسة المتعلقة بِالتمييز التقليدي بين المفاهيم الخاصّة والمفاهيم العامّة، يبرز أنّ الأمر لايتعلّق هنا، بنمطين مُتفرقين بالجوهر (أو بالماهِيّة)، فالمفاهيم المُسماة بالخاصّة، يجِبُ أن تكون هِي أيضاً مؤلّفة (مركبّة) من فِئات، أو علاقات. فالفرق لا يكون موجوداً إلاّ في حالة ما إذا كان المفهوم الخّاص، مُتعلِّق بِميدان مرتبط بِنِّظام الفضاء الزمني، في حين أنّ ما يرتبط بالمفهوم العام، متعلِّق بنظامٍ آخر (نوعي). من وجهة نظر منطقية، الأوائِل (أي المفاهيم الخاصّة) ليسُوا أكثر بساطةً، أو وهبة لوحدات أكثر مِن الثانية (أي المفاهيم العامّة).[2]
- **المُشكِل النفسو- فيزيائي (أوالعقلي- الجسدي):** هذا المُشكِل بالنِسبة لِكارناب، والمُرتبط بالفلسفة التقليدية، قد جَرَّ إلى تفسير (شرح)، التوازن النفسو- فيزيائي، هذا التوازن لا يُمكِن أن يرجع في الأصل إلى نفسية الآخر. وهذه النظرية تقول بأنّ العمليات العقلية (النفسية) والجسمية(الفيزيقية)، متلازمة، وأنّ إحداهُما تتغيّر بِتغيُّر الأخرى، ومن غير علاقة سببية[3].
- **المشكل البِنيوي أو الامبريقي للو اقع (للحقيقة):** يتناول هذا المشكل مسألة التمييز بين شيء «واقِعي» (أو «حقيقي) وشيء «لا-واقِعي» (أي لا- حقيقي)، على سبيل المثال: شيء مُتَخيّل فقط، أو مُصطنع، أو مُفترض بطريقة خاطِئة. إنّ المواصفات الإمبريقية

(1) -voir: R. Carnap, La Construction Logique du Monde, OP.CIT. P. 313.

(2) IBID, P, 313, 314.

(3) انظر: ادريس، سهيل، النهل، قاموس فرنسي- عربي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط4، 2012.، ص، 870.

المُشتركة للواقِع (الحقيقة)، في مختلف ميادين الموضوعات، هِي: امتلاك لِنسق عام، ومنظّم والتموقُع في نِظام زمني. إنّ حُدود نمط الواقِع، مُثبّت بِاستعمال اللغة، في مُختلف ميادين الموضوعات.[1]

- **المُشكل الميتافيزيقي للحقيقة:** نُسّمِي حسب «كارناب» مُصطلح››ميتافيزيقا‹‹ كلّ» شيء يَقَع خارِج دائرة العِلْم. فالمنهجية التطبيقية في علوم الواقِع، واقِعِية في لُغتِها، وهذا لا ينطبِق على المعنى في الميتافيزيقا.
- **مشكِلة واجِب وحدود العِلْم:** إنّ مُهِمّة العِلْم تكمُن حسب «كارناب» في اكتشاف القضايا الصادقة، وترتيبها(تنظيمِها). يحدث هذا أوّلاً، مِن خِلال البِناء لِنسق تركيبي. بمعنى وضع المفاهيم في مكانِها. وثانِياً بِالتحقيق التجريبي للعلاقات بين تلك المفاهيم.[2]

(1) voir: R. Carnap, La Construction Logique du Monde, OP.CIT. P.315.
(2) IBID. P. 316-317.

3. «كارناب» ومبدأ « القابلية للتحقيق» لدى التجريبية المنطقية.

1.3 إشكالية المنهج في الفلسفة العِلمية عِند «كارناب» :

ينطَلِق فلاسفة التجريبية المنطقية، وغيرِهِم مِن الفلاسفة المعاصرين، المؤيِدين لهذه الحركة الفلسفية، مِن التسليم بِمصداقِية النتائِج التي حَقَّها هؤلاء انطلاقاً مِن التسليم بِمبدأ «إمكانية التحقُّق» أو «القابلية للتحقُّق»، باعتِبارِه منهج قويم في التفرقة بين العِبارات التي لَهاَ معنى وما ليس لها معنى، وبِناءاً على ذلِك نستطيع التأكُد مِن صِدق تِلْك القضايا مِن عدمِها. وغالِباً ما يُنسَبُ هذا المبدأ في أصوله الفلسفية، إلى الفيلسوف النمساوي»لودفيج فتجنشتاين». – فقد نسبت «جماعة فيِيّنا» لِفتجنشتاين هذا المبدأ، ومؤدّاه أنّ معنى القضِيّة مُطابِقٌ لِطريقة تحقيقِها، أي أنّ القضِيّة تعني مجموعة مِن الخَبَرات أو التجارِب التي تكون مجموعها مُعادِلة أو مُكافِئة لِكَوْن القضية قضية صادِقة[1]-

لقد انتهى البّحث حول مضمون هذا المبدأ لدى الوضعيين المناطقة، إلى الإقرار بأنّ ما يحمِلُ معنى، ويُمكِن وصفُه بالصِّدق أو الكذب لا يخرُج عن هذين الصِنفين مِن المعارِف العِلْمِية:

أ. العلوم الإمبريقية(التجريبية): فَهِي وحدها التي يمكِن أن تُزوِّدنا بِما يُسمّى بِالصِّدق الواقِعي، و ذاك الصِّدق تُمثِّلُهُ علوم تجريبية دقيقة، نَجِدُ في رِئاسَتِها: عِلْمُ الفيزياء، ثُمّ الفلك، وعِلْم الأحياء، وعِلْم النّفس، إلى غير ذلِك مِن المعارِف العِلمية والتي تقوم على مُعْطيات الخِبرة الحِسّية، ومبادء المنهج التجريبي.

ب. العُلوم الصُورية: والتي تقوم على أساس «الصِّدق الصوري»، حيث يقوم على مُطابقة الفِكر لِذاتِه، مع مراعاة شُروط عَدم التناقُض. وهذا الصِّدق لا يُمكِن الوُصول إليه، إلاّ مِن خلال ما تَمُدّنا إياه الأنساق الرياضية (العِلْم الرياضي) والأنساق المنطِقِية(المنطِقِيات[2] المُعاصرة).

انطلاقاً مِنْ هذا التَّصْنيف، جاء قرار الوضعيين عموماً والوضعيين المناطقة (الوضعِيون الجُدُد) بالخصوص، حَوْل اعتبار كُلّ قَضِية خارِجة دائرة هذين الصِنفين مِن المعرفة (المعرفة التي تعتَمِدُ على الأقوال الرياضية والتجريبية)، هِي إمّا أشباه قضايا (أي أنّ الصُورة النّحوية مُحقَّقة، ولكِن المضمون الذي يُعطي للقضِيّة معنى غير مُحَقٌّ) وبالتالي فَهِي قضايا زائِفة، كما هُو الشأن بالنِسبة لِجُل القضايا الميتافيزيقية. وإمّا قضايا خالية تماما مِن المعنى، سواءاً

(1) رافد، قاسم هشام، «رودولف كارناب والوضعِية المنطِقِية، مقال منشور بِمجلّة: جامعة بابِل، للعلوم الإنسانية، المُجلّد 18، العدد 4، د(ت)، ص، 1059.

(2) استخدمت هذا المُصطلح (منطِقِيات)، لأنّه مُصطلح راهِن، في الفِكر العِلْمي والفلسفي المُعاصِر. فلَم نَعُد نتحدّث اليوم عن منطِق واحِد أو إثنين، بل أصبحنا نتحدث عن أنساق منطقية مُخْتلفة ومُتعدّدة، وفي مجالات مُختلفة مِن المعرفة.

الصُوري أو الواقِعي، وبالتالي هِي مُجرّد لَغْو. وكِلا النمطين المذكُورَيْن، يُصَنِّفُهُما الوضعِيون المناطقة (مُمثّلوا الفلسفة التجريبية المنطقية)، خارِج دائِرة العِلْم، فمبدأ التحقُّق بالنِسبة لَهُم، ذا قيمة منهجية وعِلْمية، تسعى مِن خِلالِها هذه الفلسفة الجديدة، إلى تطهير العِلْم مِن شوائِب الميتافيزيقا، وبِهِ تَتَحَقّق الوظيفة الجديدة للفلسفة، فتصير فلسفة عِلْمِية قريبة مِن العِلْم، بل أكثر مِن ذلِك››منطِق العِلْم››.

لقد كان هذا المِعْيار في أصولِهِ، ومبادِئِهِ التي صاغها الوضعيون المناطقة، - قريب قرابةً رُوحية مِن مِعيار الفيلسوف الأمريكي: «تشارلز سندرس بيرس» مُمثِّل الاتجاه الذرائِعي في الوِلايات المُتّحِدة الأمريكية، والذي صاغَهُ فيلسوف العِلْم: «بريدمانPridman». هذا المِعيار انتقل إلى «أوروبا» نتيجة الأبحاث المنهجية التي أقيمت في الفيزياء الحديثة، وخاصّة مِن جرّاء النتائِج التي كشف عنها «آلبرت آنشتاين» جرّاء «مذهب الإطلاقية» الذي تميّزت بِه فيزياء «نيوتن». إلاّ أنّ «آنشتاين»، أعطاها بُعْداً إجرائِياً في مجال الفيزياء بعد أن نسجَهُ في نظرِيّتِهِ النِّسبِية-[1](1)هذا التأثُّر ظَهَر جلِّياً مع الوضعِية المنطقية التي تبنّت المنهج العِلْمِي للفيزياء الجديدة، مُنتقِدةً المنهج الذي كان سائِداً في الفيزياء الكلاسيكية. فقد أثبَتت النظرية النِسبِية لآنشتاين، - كيف أنّ مفاهيم كالحركة والزمان والمكان، إذا ما استُخْدِمت بمعنى المُطْلق، أي مِن دون أن تُعرف ضِمن مُصطلحات نِظام أو مرجع مُعيّن، فإنّها تكون بِلا معنى[2]-

ومِنه فقد أعطى «أنشتاين» لِمفاهيم العِلْم الفيزيائي، معنى، حينما انتقد فِكرة إطلاقِية الزمان والمكان التي أقرَّت بِها الفيزياء الكلاسيكية (فيزياء نيوتن). هذه المفاهيم لا تكون ذات معنى حسب آنشتاين، إلاّ حينما يستطيع المرء –كما يقول- أن يُحَدِّد الإجراءات التجريبية المُؤدِّية إلى التحقيق مِن هذه المفاهيم.[3]

و بعد ما قام بِهِ كلّ مِن «آرنست ماخ»(المعنى يتحقّق مِن خلال تَمثُّل الأشياء في الواقع) و«برجمان» فيما بعد، توصّلت الوضعية المنطقية إلى إلى المبدأ القائِل: « بأنّ معنى قضِيّة ما، يتوقَّف على درجة التحقيق منها» وعلى غير الاستعمالات التي وظّفها كلّ من «آنشتاين» و« بيرس» لهذا المذهب، كُلّ على طريقتِهِ، فإنّ «الوضعيين المناطقة» استخدموا هذا المبدأ (إمكانية التحقُّق) كَسِلاح رئيسي ضِدَّ كافّة المذاهِب والأفكار الميتافيزيقية[4]. إضافة إلى هؤلاء فقد استلهم «كارناب» الجذور الأولى لهذا المذهب، لدى «هيوم»، بتصنيفاتِه التي

(1) أنظر: نفادي، السيّد، مِعيار الصِّدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية، مبدأ التحقُّق عِند الوضعية المنطقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د(ط)، 1991.

(2) راجِع: آلبرت، أنشتاين، نظريّة النِّسبِية الخاصّة والعامّة، تر: رمسيس شحاتة، الهيئة المِصرية للكتاب، ليبيا، د(ط، ت)، ص، 26.

(3) آلبرتآنشتاين، المرجع، نفسه، ص، 70

(4) نفادي، السيد، المرجع السابق، ص، 09.

قام بها لأنواع البحوث، وذلك في كتابِهِ الرئيسي: «مقالة في الفهم البشري(الإنساني) سنة 1748. حيث خَدم الموقِف الهِيومي(نِسبة لِهِيوم)، كثيراً آراء الوضعية المنطقية، خاصّة في قضيّة التقويض للميتافيزيقا، وذلِك مِن خلال عِبارتِهِ الشهيرة: « فإذا طالت أيدينا أيّ مِن كُتُب اللاهوت، أو الميتافيزيقا المدرسِيّة مثلاً، ورُحْنا نتساءل: هل يتضَمن أيّ تعليل مُجرَّد، مُتعلِّق بوقائِع الواقِع والوُجود؟ كلاَّ. إذن فلْنَقْذِف بِهِ في النّار لأنّهُ لا يتَضَمَّن سِوى الأوهام والسفسطة.»[1]فالدِراسة الجديرة بأن تكون موضوع اهتمام عِند «هيوم» لا تخرُج عن إثنين: إمّا الدراسات الرياضية(تحتوي على حقائق قبلية، والأقوال فيها مُسبقة، تُعرف قبل الخِبرة، فهِي تحليليةApriori)، أو الدّراسات التجريبية (حقائق بعدية، فالأقوال فيه مُلحقة، تُعرَفُ عن طريق الخِبرة Posteriori). كما نَجِد امتدادات هذا الاستلهام لِمبدأ التحقُّق، في فلسفة «فتجنشتاين» – كما سبق وأن أشرنا في دراستِنا السابقة والخاصّة بهذا الفيلسوف- أين ربط بين «القضِيّة» و«الفِكر» و«» اللغة» و«الواقع»، حيث يقول مثلاً وفي هذا السياق المُرْتَبِط بمبدأ التحقُّق التجريب ما يلي: « الفِكر هو القضِيّة ذات المعنى»[2]وأيضاً: « الفكر هو الرّسم المنطقي للواقِع»[3]وفي سِياق آخر يقول: «ليس لِشيء معنى إلاّ القضِيّة، فلا يكون لاسم ما معناه(دلالته)، إلاّ وهُو في سِياق قضِيّةٍ ما » [4]3.

إذن فالأقوال الكثيرة، التي أوردها»فتجنشتاين» في «الرسالة»، دالّة على أنّ معنى القضِيّة كما يقول «شليك» مُطابِقٌ لِطريقة التَحقُّق مِنها. فمبدأ التحقيق أهّم مبدأ استمدوه مِن «شليك» المُلْهِم لِفِكرة «مبدأ التحقُّق» القائِل أنّ(معنى القضِيّة هو طريقة تحقيقها) ، الذي استلهَمَهُ مِن «فتجنشتاين»، ومِن بعدِهِ امتدّ هذا التأثير لِيَشْمُل باقي فلاسفة الوضعية المنطقية، والذي يُعْتبر»كارناب» أبرزهم.

2.3 دراسة في منهجية التحقيق عند «كارناب»:

هناك مقولة لكارناب يجمع فيها بين أمرين أساسيين في منهجية التحقُق، الأوّل كان في تحديد المفهوم، أو المقصود من منهجية القابِلِية للتحقِيق، والثاني يُوَفِّرُ فيه للباحثين والمفكرّين، عناء البّحث الذي لا يُجْدي نفعاً، حينما يكشِفُ عن المجال الذي ينبغي البّحث فيه، والذي رَبَطَهُ بِحقل علوم الخِبرة أي حقل العلوم التجريبية، غذ يقول: «لقد أوضحنا سلَفاً، كيف أنّ معنى القضِيّة يَكمُن في منهج التحقُق مِنها، فالقضِيّة لا تُقرِّرُ سِوى ما يُمكِن

(1) نقلاً عن: لطفي، بركات جمعة، فلسفة الوضعية المنطِقِية والتربية، تقديم: زكي الفتوح، رضوان، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، د(ط)، 1968، ص، 49.

(2) انظر:لودفيج، فتجنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، المصدر الأسبق، الفقرة(4)، ص، 82.

(3) المصدر، نفسه، الفقرة(3) ص، 71.

(4) المصدر نفسه، العبارة(3.3)، ص،75.

التَحَقُّق منه بالنِسبة إليها، لهذا السبب، فإنّه لا يتسنى استعمالُها، إلاّ لِتقرير قَضِيّة تجريبية، وكُلّ ما يَكْمُنُ مِن حيث المبدأ- خلف نِطاق الخِبرة المُحتملة، غير قابِل لأن يُقال أو يُفكّر فيه، أو يُسأل عنه[1]»

إلاّ أنّ اهتمام وتَخَصُّص «كارناب» بإشكالية مبدأ التحقيق، جعلتْه يُميّزُ بين نوعين مِن التحقيق: «تحقيق مُباشِرٌ» و«تحقيق غير مُباشِر».

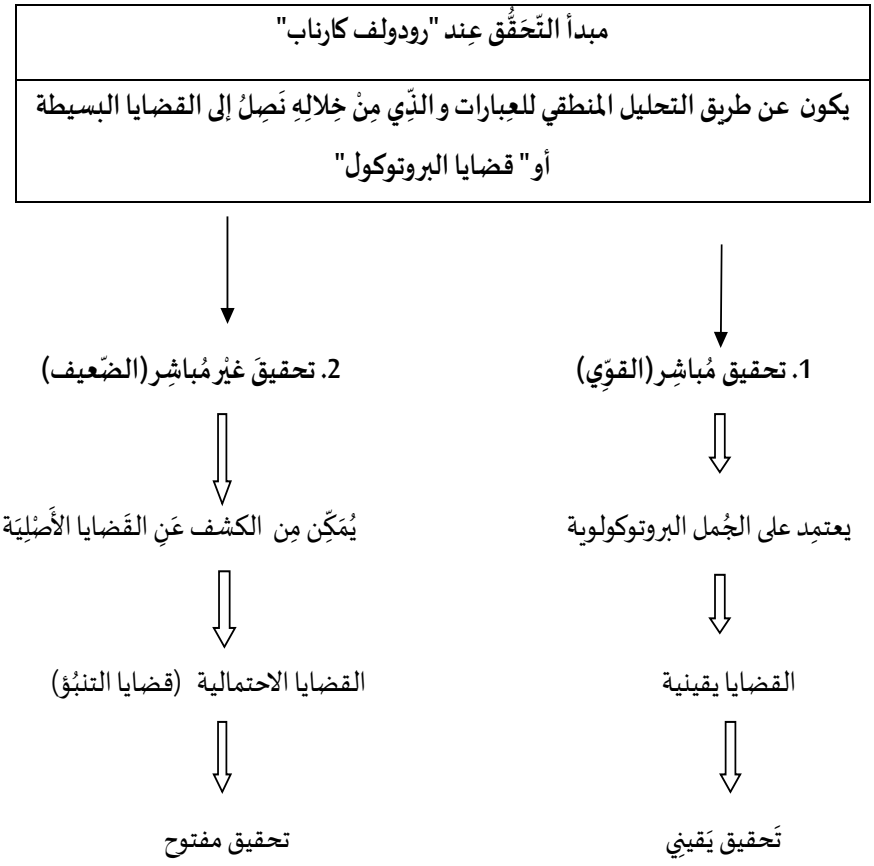

خُطَاطَة شَارِحَة رقم 01-

فأمّا الأوّل فيُمكِن البرهنة على صِحتِّهِ وفسادِهِ، بالرجوع إلى الوقائِع، والملاحظة والتجربة. أمّا الثاني لا يُمكِن التحقُّق من صِدقِهِ أو كذِبِهِ بصورةٍ مُباشِرة، لاعتبارات عديدة، لعلّ أبرزُها، مُرتبِط بِنُقص الوسائِل العملية المُساعدة على الكَّشْف، مِمّا يؤدّي إلى صعوبة في الحُكم على

(1) كارناب، رودولف، «حذف الميتافيزيقا عبرالتحليل المنطقي ، نقلاً عن: آي، جي، مور، وآخرون، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، تر: نجيب الحصادي، دار الآفاق الجديدة، ليبيا، ط1، 1994، ص، 163.

العِبارة بالصِّحة أو الفساد. وكذلِك ارتباط مضمون العِبارة بجوانِب ميتافيزيقية، ليس لها دلالات حِسّية.

أ. التحقُّق المُباشِر:

و يُسمّى بالتحقُّق العملي أو القَوّي، فعن طريق المُعطيات الحِسّية أو عملية الإدراك الحِسّي، يَتِّم اختبار القضية، وبِشكل مُباشِر.يُقضدِّمكرناب مثالاً على ذلِك فيقول: ««أرى الآن مربّع أحمر، على أرضية زرقاء»، فإذا كُنْتُ أرى حالِيّاً مربّعاً أحمر على أرضية زرقاء، لَتَحقّقت القضِية بِشكلٍ مُباشِر بهذِهِ الرُؤْيَة، أمّا إذا كُنت لا أرى ذلِك، إذن لَكان ذلِك إذن دحضاً للقضِيّة[1]»هذا النوع من التحقق، يعتَمِدُ على ما أسماه «كاناب» «بالقضِيّة البروتوكولية»، وهِي قضايا تنتمي إلى بْرُتوكول أساسي، أو تسجيل مُباشِر، لتجربة العَالِم الفيزيائي أو السيكولوجي.

يُوضِّح «كارناب» هذا المُصطلَح، مُعتَبِراً العِبارات البروتوكولية، كأبسط العِبارات في لُغة البروتوكول. فَهِي عِبارات لا تحتاج إلى توضيح، فهِي ليست في حاجة إلى تبرير. وتُستَخْدَم بِوصفِها الأساس لِجميع قضايا العلوم الأخرى، لأنّها تُعيّن بوضوح، المُعْطى التجريبي. ولكِنّها لم تَكُن مجال إتّفاق بين الوضعيين المناطقة، رُغْم أنّها مُؤسّسة على الانسجام والاتفاق المنطقي والداخِلي للفِكر.

ب. التحقُّق الغيرمُباشِر:

يُسمّى أيضاً بالتحقيق الضعيف أو المَبْدئي، وهُو في حَيثِياتِهِ كمنهج، مُماثِل بالاستقراء الناقِص والتي تقوم عليه مُعْظم قضايا العِلْم الطبيعي خاصّة. لِهذا نَجِدُ أنّ»كارناب» أَوْلاَه عِناية كبيرة مُقارنةً مع النّوع الأوّل. حيث يكشِف هذا النوع عن القضايا، إذ يُمَيّزُ بِهِ ومِن خِلالِهِ بين القضايا الأصلِية والزائِفة.

لِتوضيح ذلك، يضْرِبُ «كارناب» عِدّة أمثلة حول قضِيّة رَدّ القضايا المُركبة، إلى قضايا بروتوكولية. لنأخذُ على سبيل الإيضاح، هذا المثال الذي يَضرِبُهُ لنا في كتابِهِ: « الفلسفة والتركيب المنطقيThe Logical Syntax Of Language»[2]:

افترض القضِيّة(ق**1**): « هذا المِفتاح مصنوع مِن الحديد».

يقول: هناك عِدّة طُرُق لتحقيق مِثل هذه القضِيّة. كأن أضع المفتاح بالقُرب من مغناطيس

(1) Carnap, R, Philsophie and Logical Syntax, The international library –of Philosophy- founded byC-K, Ogden. P.425.

(2) Voir:The Logical Syntax Of Language, op.cit. P. 426.

وعِندئِذٍ أُدرِكُ حِسّياً أنّ المفتاح قد انجذب، والاستدلال الذي يجري هُنا يتِمُ بهذه الطريقة:

المُقدِّمات:

(ق1)ـــــــــــــ «هذا المفتاح مصنوع من الحديد» (القضية المطلوب فحصها).

(ق2)ـــــــ «إذا وُضِع الحديد بالقُرْب مِن مغناطيس، فإنّه سينجَذِب»ـــــــ (قانون فيزيائي مُحقَّق)

(ق3)ـــــــــــــ «هذا الموضوع قضيب وهُو مغناطيسي» (قضِيّة مُحَقَّقة بالفِعْل.)

(ق4)ـــــــــــــ «المفتاح موضوع بالقرب من القضيب»ـــــــــــــ (إنّ هذا مُحقّقٌ الآن بِشكلٍ مُباشِر عن طريق مُلاحظاتنا).

و مِن هذه المُقدِّمات الأربع يُمكِن استنباط **النتيجة (ق5)** الآتية:

(ق5) « سوف ينجَذِب المِفتاحُ الآن للقضيب. «

هذا الاستدلال، يُمثِّل طريقة التحقيق الغير مُباشِر، وهِي كما هُو موضّح تعتمِدُ على طريقة التنبُؤ، الذي هُو أساس العِلْم الحديث والمُعاصِر، ولكن هذا لا يكفي لإيصالنا إلى يقينية النتيجة التي توصّلنا إليها انطلاقاً مِن القضِيّة (ق1)، بل ينبغي أن نَصِل لا إلى درجة مِن اليقين تكون كافية لجميع أغراضِنا العِلْمية. لكِن وحسب «كارناب» لا يُمكِن الوصول إلى اليقين الكامِل أو المُطلق، لأنّ عدد الحالات التي يُمكِن تحقيقها بِشكلٍ مُباشِر عدد لا نِهائي. لهذا السبب سمّاها فرضاً،و يبقى مِعيار المعنى عِند «كارناب»، يتمثَّل في الاتِساق لا في المُطابقة مع الواقِع.

4. السيمنطيقا كنتيجة لأبحاث»كارناب» اللُغَوِيّة في ظِلِّ التجريبية المنطِقية:

توطئة:

لَقَد أَثار مَوْضُوع البَّحث فِي «عِلْم الدّلالة»، كَمُشكِلة لَها عَلاقة مُباشِرة بمَوضوعات فَلسفة اللُغة والمنطِق، جِدالاً حادّاً بَيْن «كارناب «وبَاقي أعضاء «جماعة فيينّا». حيثُ بَقِيَ السُؤال الأساسي الذي يتبادر في أذهان مَنْ يُقْبِلون على دِراسَة نِظام العلامة عند «رودولف كارناب» يتمَحْوَرُ حَوْلَ مَفْهوم العَلامَة نفسُه. ونظراً لاعتِبارِه (أي «كارناب») مِن أبْرَز مُمثِلي الوَضعية المنطقية، فإنّ تعريفُهُ لِهذا المُصطلح ومِمّا لا شَّك فيه، قَدْ صَبَّهُ في السِياق المَنطِقي، حيث جاءَ تَعريفُهُ في الصُورة الآتية:»العَلامات هِي أصغَرُ وَحَدات لُغَة ما، أمّا العِبارات فهِي مُتوالِيات مِنَ العلامَات.»[1].

إذن العِبارة هي ترتيب خطّي مَحْدود، يتألَّف مِن علامات، شأنُه شأن القِطْعَة المُستقيمة المحدودة بِنُقطتين، فتَعاقُب العَلامات في العِبارة، إنّما يتّم باتجاه واحِدٍ. كما قد تتألّف المُتوالِيَة (التَرتِيب الخَّطِي) مِنْ عَلامات كَثيرة مَحْدودة أو فَقط مِنْ علامة واحِدة. وفي هذه الحالة الأخيرة، يُفضَّل القَّوْل أنّها عَلامَة-[2]

إنَّ تَحْليل الكَلَام حَسَب «كارناب»، يتّم بِطريقة اعتباطية، لأنّهُ مُرتَبِط إلى حدٍّ ما بِالهَدَف المَرْجُو مِن البَّحث الذّي نَقوم بِهِ، فحينما يكون اهتِمامُنا مُنصَباً على» النّحْو» مَثَلاً، فإنَّ الكَلِمات المَنْطُوقَة أو المَكْتوبة هِيَ التي تَكُن عَلامات، باعتِبارِها أصْغَر الوَحَدات اللُغَوِية في هذا المَقام، أمّا إذا تَعلّق الأمر بِالتَهْجِئة نِسبة إلى حُروف الهِجاء، فإنّ الحَرْف هو الذّي يُمكِن اعتِباره عَلامَة-[3].

كان يُنظَرُ إلى «عِلْم الدلالة على أنّهُ ليس نَسَقاً واحِداً مُتكامِلاً البِنْيان، كما أنّه لا يُمثِّل مُستوى لُغوي مُحدَّد المعالِم، وليس أيضاً عِلْمُ النّحو، ولكنّه يُمثِّل مجموعة مُتكامِلة مِن الدِّراسات في كيفِية استعمال اللُّغة في علاقاتِها مع الواقِع الإنساني. - فعِلْم المعاني (السيمنطيقا) حسب «دافيد كريشال» هِي الدراسة العِلمية للمعنى في اللُّغة -[4]إنّ لهذا العِلْم أُصول، فَهُوَ ليس بِالجَديد، ولكِّن استخدامه كَمُصطَلَح في نِطاقِهِ الواسع، لَم يَكُن إلاَّ مع بِداية

(1) Carnap, R, Introduction to Semantics and Formalisation of Logic, éd, Harvard University Press, Cambridge, Mass, 1961 .P.04.

(2) جابري، محمد عبد الرحمان، نظرية العلامات عند جماعة فيينا – رودولف كارناب – دراسة وتحليل، المرجع السابق، ص، 163

(3) المرجع نفسه، ص، 164.

(4) إبراهيم، مصطفى إبراهيم، فلسفة اللغة – نشأتها وتطّورها وأبرز أعلامها- دار المعرفة الجامعية، مصر، د(ط)، 2009، ص، 268.

القرن العِشرين. فكما يَرى «بوكين» – أنَّ السيمنطيقا تتناوَل الأنساق الفِكْرية في علاقتِها باللُّغة، وما تُشيرُ إليهِ مِن مَعانٍ، أو بَيْنَ الاسْمِ والمُسَمّى، أو العَلاقة بَيْنَ الدّال والمَدلول، فَهُوَ عِلْم يدرُسُ نَظَرية المَعْنى عَلى وَجْه العُموم.[1]-

ففي بِداية القَرن العِشرين، زادَ الاهتِمام بِنَظرية المَعنى، نَظراً لِزيادة الاهتمام بفَلسفة اللُّغة. وبالخُصوص كان الاهتمام بِأهّم فَرْعٍ مِن فُروعِها، إنّه عِلْم الدلالة. فكان أنْ ظَهَر أبرزُ فلاسِفة التحليل في تِلك الفترة: «إدوارد مور E. Moore «الذي اعتمد في نظريتِهِ حول المعنى على التَّحليل الذي يَتِمُّ عن طريق مِعيار التّمييز، ومِعْيار التكافُؤ المنطِقي. أيضاً نَجِد «ويلاري كْوينQuine» الذّي فَهِم المَعاني على أنّها كِيانات مِن نَوعٍ خاص. أمّاَ أبرزُهُم في هذا السِّياق، فَكان «لودفيج فتجنشتاين» الذّي اختزل المَعنى في الاستعمال (L'usage)، فكان شِعارُهُ في ذلك: «لا تَبْحَث عَنِ المَعْنَى، ابْحَث عَنِ الاسْتِخْدام». إضافة إلى «نَظَرِية المَعْنَى والإشارة «لَدى «فريجه Frege «. وكذلِك نَجِد التيّار البْرَاغْماتِي يُوَلِي اهتماماً لإشْكاليَة المَعْنى، حَيْث أسَّسَ لِمِعْيار خاص بالمَعْنى واختزَلَهُ في قيمة الصِّدق.

إلاّ أنّ أبْرَز تَطَوُرات هذه النّظرية، كان مَعَ الوضعيين المَناطقة، الذّين بَحَثوا في إشكالية المعنى، مِن خِلال التَّحليل المنطقي للُّغة، فالمَعنى يَتَحَقّق عِنْدَهُم مِن خلال علاقة تِلْك التَّعبيرات مع الواقِع (المعنى الدّال على الواقِع)، وهنا تَتَحقّق الدَّلالة. فما المقصود بعِلْم الدّلالة(أو عِلْم المعاني)؟ وإلى أيّ مدى يُمكِن اعتبار هذا المُصطلح (أي عِلْم المعاني أو السيمنطيقا) مَفهوم أساسي في فلسفة التَّحليل اللُّغوي عِند «كارناب»؟ وكيف تعَامَلَت الوَضْعِية المنطِقية مع هذا المفهوم؟ مَعَ العِلْم أنّ «كارناب» قد اختار مَجَالَيْ **عِلْم الدّلالة المَحْض، والنَّحو المَحْض** كَموضوعات لِأَبْحاثِهِ التي أدْرَجَها خاصّةً في كِتابه: «مقدمة في عِلْم المَعاني Introduction to Sémantics and Formalizations of Logic «.

1.4 عِلْم الدّلالة (السيمنطيقا) بَيْنَ المفهُوم والمَضمون:

أ. في التّعريف بعِلْم الدلالة:

يُنسب هذا المُصطلح في أساسِه إلى عالَم اللُّغة الفِرنسي «ميشال بريل»(Michel Bréal) فَقَدْ قامَ هذا الأخير، بِتأليف كِتاب يَدْرُسُ فيهِ عِلْم الدَلالة، وكان عُنوانُه: « مُحاولة (بَحْثٌ) في السيمنطيقا أو عِلْم المَعاني Essai de Sémantique, Science des Significations «، الذّي عَرَض فيهِ مَشْروعَه، حيث قال في ذَلِك ما يلي:« ما أريد فِعْلَهُ، هُوَ أن أَضَعَ الخُطوط العريضة، لإبراز بعض التَّقسيمات كَمُخطّط مُؤقّت حَوْلَ مَيدان لَمْ يتِمّ بحثُهُ بعدُ، والذّي يَتَطلَّب عَمَلاً

(1) إبراهيم، مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص، 268.

مُشتركاً بَيْنَ أجيال عديدة مِن عُلماء اللُّغة، وألتمِسُ مِن القارِئ أن يَعْتَبِر هذا الكِتاب بمثابة مُقدِّمة مُبسطّة لِعِلْمٍ أقتَرِحُ تسمِيَتُهُ بِـ السيمنطِيقاَ.»[1](1)

مُنذُ ذاك الحِّين، صَارَ التَصَوُّر العَام لِعِلْم الدّلالة، على أنّهُ فَرْعٌ مِن الفُروع الهَامّة في عِلْم اللُّغة، والذِّي يَهْتَمُ بِمعاني الكلِمات والعِبارات، وتَغَيُّر دلالاتها. ولَكِن ما يَهُمُّنا هُنا، هو التَّعريف الذِّي قدَّمَهُ «كارناب» لِعِلْم الدّلالة أو عِلْم المَعاني (السيمانطيقا)، حيث يقول: «إنَّهُ الحقل الذي يهتَّمُ فَقَط بتحليل العِبارات، وما تُعبّرُ عنه مِن معانٍ، وما تُشيرُ إليه مِن دَلالات. »[2](2) وقَدْ وردَ في المُعْجم الفلسفي «لاروس» أنَّ السيمنطيقا مُشتقةٌ مِن اللّفظ اليوناني»semainein« وتَعْني « طَبْع لِعَلامَة أو إشارة»، وهِي أهّم فَرْع لُغوي، يدرُس بِطريقة يتِمُ فيها تَحْديد مَعاني العَلامات (الإشارات) المُعقدّة وكَذَا العِبارات». لقَدْ بَدَأَ «كارناب» مَعَ بَعْض تلامذتِهِ، وخاصّةً «د. كابلان D.Kaplan» باستكشاف المَنْطِقياتles logiques عَنْ قَصْد وتَعَمُّد، لِيَقومُوا بالتَّوحِيد والجَمْع، بَيْنَ مَنْطِق الجِّهات أو المَنطِق المُوَجَّه والمَنطق المُعاصر (الراهِن)- [3](3).

ب. موضوعات عِلْم الدلالة (السيمنطيقا):

إنّ عِلْم المعاني، أو عِلْم الدلالة تُميّزُهُ ميادين أساسِية تُحدِّد البِنية الداخلية لَهُ، فهِي بمَثابة الوحدات الأساسية التي تُشَكِّلُ بِنية المعنى في أيّ خِطاب أو نَّص. نَحصُرُها فيما يلي:

الكلِمة:

هِي الوِحدة الأساسية في عِلْم الدلالة. ولكِن نظراً لأنّها تعتمِد على المُواضعة، فهُناك صعوبة في معرفة الفواصل في النّص الكِتابي خاصّةً، فهِي ليست وِحدة لُغوية واضِحة التَّعريف. إذ ميّزَ النَّحويون بالخُصوص، على وجود صِنفين مِن الكلمات: الكَلمات التامّة وهِي التي تُعطينا نَوْع مِن المعنى، الذي يُمكِن تحصيلُهُ في المعاجِم اللغوية أو القواميس. والكلِمات الصُّورية (الشَّكلِية) إذ أنّ مَعناها تُحدِّدُه القواعِد النَّحْوِية للُّغة، ولا يُمكِن إدراك مَعناها إلاّ ضِمن السِياق الذي تَرِدُ فيه.[4](4)

الجُملة:

هناك من يعتقِدُ أنّ الجُملة هِي التي تُحَقِّقُ المَعنى، لأنّنا نَتَفاهَم بالجُمَل لا بالكلِمات، فهِي (أي الجملة) تعبّرُ تعبيراً كامِلاً وتامّاً عن الفِكرة القائِمة في الذِهن. فالكلِمات وَحْدَها لاَ تَفي

(1) جابري، محمد عبد الرحمن، المرجع السابق، نقلاً عَن:
Adam, Schaff, Introduction a la Sémantique, Union générale d'éditions, traduit du Polonais Par: George Lisowski, Paris, 1960, P.13

(2) Carnap, R, Introduction to Sémantics and Formalizations of Logic, OP. CIT, P. 09.

(3) LAROUSSE, Grand Dictionnaire de la Philosophie, OP.CIT, p. 953.

(4) جابري، محمد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص، 219.

بالغَرَض، وهذا الطرح يتَبَناه أنصار النزعة اللُغَوية، أمّا عِنْدَ أنصَار الطرح المنطِقي، فيُعوّضُون الكَلِمة بالقضِية، لأنّ هذه الأخيرة والتي تتشَكّل مِن مَوضوعٍ ومَحْمول، يُمكِن الحُكْم عليها بالصِّدق أو الكَذِب، على خِلاف الجُملة. كما أنّ – الإسم يُشير إلى شيء، ولا يُمكِنُ أن يُقال أنّه صادق أو كاذب. بينما تَخْتَّصُ القضِّية بِقيمة الصِّدق، فيُقال إنّها صادقة عِندما تُطابِقُ الواقِعة، وكاذبة عِندَ عَدَمْ مُطابَقَتِها[1]-

المفاهيم ((Concepts :

هِي أساس عملية الربط بين الكلمات والأشياء التي تُعبّرُ عنها تِلك الكلمات، ولا يتَحقّق ذاك الرّبط إلاّ مِن خِلال عملية تتوسَطُهُما، إنّها عَملِية تتَطلَّب تَدخُل العَقل لأجل تركيب المفاهيم الخاصّة بِتِلْك العلاقة، وأشهر الصِيغ التي أدرجها الفلاسفة واللِسانيين في ذلك: «نظرية العلامات» لِفردينار دي سوسير»، ونظرية «المُثلث العلاماتي لِـ «أوغدن وريتشارد». [2]

التسمِيّة (Naming)

يرتبِطُ هذا المُصطلح، بتحديد أسماء العَلَم. وأشهر مِثال في ذلِك، الطِّفل في مراحِلِهِ الأولى حينما يتلفَّظ بكلِمات، هِي في أصلِها أسماءٌ لأشياء. إذ – تتجلى مجالاته اللُغَوية الأولى في نُطقِهِ بكلِمات استلهمها من وسطِهِ الاجتماعي الذي يُحيط بِه،مثلاً تلَفُظِهِ بكلمات عِبارة عن مُسميّات، كقولِه: «بابا» و«ماما»، كما يُنتِج أسماء لِلُعبِه كالسيّارة مثلاً، أو القِطّة، أو دَرَّاجَة، عِندما يرى هذه الأشياء في الواقِع أو في كِتاب مِن الكُتُب [3]- صحيحٌ أنّ التسمِية مُرتبِطة بدرجة كبيرة بأسماء الأعلام، لكن هناك صُعوبات أخرى قد تواجِهُنا بِخصوص قواعِد التَسْمِيّة. إذ هناك حالات أخرى تُجَسّدُ فيها، - كالعِبارات الاسمية (مجاميع الكلِمات)، وكذلِك عِندما يتعلّق الأمر بفِئة الأشخاص والأشياء (في حالة الإشارة والمرجعية Référence). أي الأشخاص والأشياء المُشار إليهِم في نَصٍّ مُعيّن، فكلِمة قِطٌّ تُشير إلى فِئة كُلّ القِطَط. [4]-

2.4. أقسام عِلم الدلالة (السيمنطيقا) عند «كارناب»:

يرى كارناب أنّهُ يُمكِن التمييز في هذا العِلْم، بين صِنفين مِن المعاني، أو العِبارات:- العِبارات الوصفية والتي تنتمي إلى حقل عِلْم الدلالة الوصفي، إذ تتَضمّن الأفاهيم الواقِعِية والتي تَرِدُ في الجُمل التي لا يُمكِنُ تَعْيين قِيمة صِدقِها بِمُساعدَة القواعِد الدلالية فقط، بل يَجِبُ

(1) Carnap, R, Signification et Nècessitè, OP. CIT, P.29.

(2) بَلْمر PALMER، «علم الدلالة»، تر: مجيد عبد الحليم، د(ط)، بغداد، العراق، 1985، ص،33-32.

(3) المرجع نفسه، ص، 03.

(4) بلمر Palmer, علم الدلالة، المرجع السابق، ص، 25. للمُراجعة في مسألة المعاني الكُلّية ودلالاتُه، راجِع أيضاً: جابري، محمد عبد الرحمان، نظرية العلامات عند جماعة فيينا – رودولف كارناب – دراسة وتحليل، المرجع السابق، من الصفحة 221 إلى الصفحة 228.

معرفة الوقائع الملائمة لها. وذلِك بِعَكْس الأفاهيم المنطِقية التي تُمثِّلُها العِبارات المُجرّدة، التي تنتمي إلى حقل عِلْم الدلالة البَّحْت، والتي يَتعَيّن صِدقها وكذِبها بالقواعِد الدِلالية، فتكون إمّا صادقة منطِقياً (تحليلية) أو كاذبة منطِقياً (متناقِضة) والعِبارات المُجردّة(المنطقية).[1]-

أ. عِلم المعاني الوصفي (السيمنطيقا الوصفِية):

تُسّمى العِبارة واصِفة، إذا تضمنّت علامة وصفِية، عَدا ذلك تُعدُّ منطِقية.[2]وهذه الدِّراسة التي تهتّم بِتَصنيف أسماء الأشياء المُفردة في العالَم، وأجزاء الأشياء والأحداث، والتي تتَضَمَن بِدورِها أي تِلْك العِبارات عَلامات تُسّمى خَواص تَّجريبية، والتي تُشيرُ بِدَوْرِها إلى الوَظائِف التجريبية لِتِلك الأشياء، تُسّمى بالدِراسة التجريبية للغة، فَهِي تبحث في الرموز اللُغَوِية بالنِسبة لِطائِفة مِن الأشخاص، سواءاً استعمَلوها فِعلاً في زمن مضى، أم ما زالوا يستعمِلونَها. فالسِيمنطيقا الوَصْفِية، تتناول من اللّغة ألفاظها ونَّحوها وقواعِد صَرْفِها إلى غير ذلك مِن الميادين التي تَبْحَث فيها اللُغة. فالأمر هُنا يتعلّق بِقواعد النّحو الوصفي أو الصرفي. يقول كارناب في «النّحو المنطِقي للغة»: «إنّنا نَرى، إذن، أنّنا مَهْما بَحَثْنا أو مَهْما حَكَمْنا على نَظرية عِلْمِية خاصّة مِن ناحِية مَنطِقية، فإنّ النتائِج، أي نتائِج التّحليل المنطِقي يَجِب أن تُصاغ «بِجُمل نَحْوِيّة»، وذلِك بالنّحو الصافي أو النّحو الوَصْفي، إنّ منطِق العِلْم (المنهجية المنطِقية)، ليست سِوى «نَّحْو لُغَوِي» للعِلْم.[3]».

ب. عِلْم المعاني المجرّد (السيمنطيقا المُجردّة):

تُسمّى أيضا بالسيمنطيقا الخالِصة، وهذه الذي كانت موضوع اهتمام «كارناب» ومحطّة عِنايَتِهِ. فهِي في رأيِهِ تصدُقُ على لُغةٍ مُعيّنة بالذّات، وإنّما - تصدُقُ على كلّ لُغةٍ يُمكِن أن يتصوّرها الإنسان أداة للتفاهُم، وبالتالي فَهِيَ بحثٌ منطِقي لا تجريبي[4]- فماذا قصد «كارناب» بهذا المُصطلح أثناء تداوُلِهِ لَهُ ؟

وهُو بِصَدَد حَديثِهِ عن النّسق السيمنطيقي الخالِص كما سمّاه اعْتَبَرَهُ لُغة اصطِناعِية تَتكوّن مِنْ قواعِد مُحدّدة، تَنُّصُ على بعض الدَلالات وتُشير إلى مجموعة مِن العَلامات اللُغَوِية. ولتوضيح معالِم تِلْك العِبارات أو الجُمل السيمنطيقية(عِبارات أو جُمل السيمنطيقا المُجردّة أو الخالِصة)، يَضرِبُ «كارناب» مِثالاً توضيحِياً، فيقول – إنهّا الصِفة اللّفظية الواسعة التي

(1) وداد، الحاج حسن، رودولف كارناب ونهاية الوضعية المنطقية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص، 127. نقلاً عن:Carnap, R, Introduction to Sémantics and Formalizations of Logic, OP.Cit.P.141-145

(2) وداد، الحاج حسن، المرجع نفسه، ص، 126.

(3) Carnap, Rudolf, The Logical Syntax of Language, trans. By Smeaton, Ameth, ed. Harcourt, Brace and Company, New York, 1937, P.07.

(4) زكي نجيب محمود، موقِف مِن الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط01، 1956، ص، 208.

تُشيرُ إلى خاصِّية الاتِّساع بالمعنى المادّي، وهِي عِبارة سيمانطقية صَرفة، تُبَيِّن لنا كيف ينبغي أن تُستخْدَم كَلِمة «واسِع» في مجال لغة اصطناعية مَعْلُومَة[1]-

3.4 نظرية الأنساق والدّعم المنطِقي لِعِلْم الدلالة عِند كارناب:

لقد تَمَّ تغيير النظرة التقديسية لِلمَنْطق المألوف في النزعة المنطِ[2]قانية، التي كان «راسل» أهّم مُمثِّل لها، والتي اثْبَتَت الدِراسات المنطِقية المُعاصِرة قُصورَهُ(أي منطق «راسل») في بعض جوانِبِهِ، خاصّة في نَظْرَتِهِ لِقضية المَعْنَى، والتي لَم يُعطيها «راسل» حقّها مِن الدراسة، لأنّه وفي اعتقادِهِ، تُعتَبر مُشكِلة سيكولوجية يَصْعُبُ ضَبْطُها في نظرية منطِقِية دقيقة.[3]وهذا ما سَعى إلى تَحقيقِه مناطِقة مُعاصِرين أمثال: «لُوِيس Lewis « و»نِلسون Nelson « و»فايس Weiss» و»يورْغَنْسون Jeorgenson»، حيث دَعى هؤلاء جميعاً إلى ضرورة تعزيز هذا المنطِق الاعتِيادي المألوف (في الصورة التي قَدّمها «راسل») بِمنطِق جديد، أي منطِق المعنى ـ[4][4] وكانت استدلالاتهم في ذلك - يُضيف «محمد عبد الرحمن جابِري قائِلاً- مَحْصُورةً في الشَّطْر المَنْطِقي- اللُغوي مِن هذا المنطق. إذْ – وحسب تَصَوُّر «لويس»- اللُّغة التي اعتمدها المنطق الصُوري الاعتِيادي، هِيَ «اللُغة الماصدقِيَة Extensionnel language «، وهذِه الأخيرة حَسَبَهُ، تَفْتَقِرُ إلى « اللُغَة المَفْهومِية Intensional language «، لِذا كانَ مِن الضَّروري – حَسْبَ «لُويس»- أن نُضيف مَنْطِق المَضمون (أي منطِق المَعْنى) إلى المَنطق الصُّوري الاعتِيادي. لأنَّ الاستدلال (كَما يقول «كارناب» في كِتابِهِ «النَّحْو المَنْطقي للغة» في الصفحة 258، وعلى لِسان «لويس») يَعْتَمِدُ على المَعْنى، أي المَضمون المنطِقي. لَكِن هل وافق «كارناب» على هذا الطّرْح الجديد؟

للفَصْلِ في هذا التساؤُل، ينبغي أن نُشير إلى أنَّ مواقِف «كارناب» في ذلِك اتخذّت مَسِيرَتَيْن. فأمّا **في المسيرة الفلسفية والمنطِقِية الأولى**، فلقد بَدَت **مُعارضة** «كارناب» لِهذا الطّرح الذي قَدَّمَهُ «لويس» واضِحة المَعالِم، حيث يقول: «إنّ النقطة الحاسِمة هِي كالآتي: لِكي نُحَدِّد فيما إذا كانت الجُملة نتيجة لِجُملة أُخرى، لَسْنا بِحاجَة الإشارة إلى معنى الجُمَل(...)، إذ يَكْفي تَقديم تَصميم بِنائي للجُمَل[5]». وهُو يُشير هُنا إلى محدودية العلاقة بين المنطِق والمعنى، والتي اختزلها في الجانب الصّوري مِن العلاقات بين المعاني، لِتبقى قواعِد الاستدلال المنطقي تُشير حسبه فقط إلى صورة الجُمل.و لهذا نَجِدُهُ يؤكِّد على أنّ - جُل المُشكِلات التي نرغَبُ

(1) إبراهيم، مصطفى إبراهيم، فلسفة اللُّغة، (نشأتها وتطورها وأبرز أعلامِها)، دار المعرفة الجامعية، مصر، (2) د(ط)، 2009، ص

(3) مهران، محمد، فلسفة برتراند راسل، دار المعارِف بِمصر، 1976، ص، 243.

(4) جابري، محمد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص، 235. نقلاً عن: Carnap, Rudolf, The Logical Syntax of P.258 , Language.

(5) Carnap, Rudolf, The Logical Syntax of Language, op.Cit. P.259

في مُعالجتِها بمنطِق المَعْنى (وأبرزُها على الإطلاق مُشْكِلة المَعاني الميتافيزيقية التي كانت أبرز المُشكلات التي تَناوَلَتْها بالدِّراسة، ووِفق وِجهة النَّظر الكارْنَابية، الفَلسفة الوَضْعية المَنطِقية) ليست سِوى مُشكِلات عِلْم التّركيب، لكِن المُشكِلات التي تَتَحدّث عَن شيء غير قابل للتّوضيح صُّورياً مِثل المَضمون المَفْهومي لِبَعْض الجُمل، أو مَضمون الإدراك الحِسّي، فهِي لا تَنْتَمي إلى المَنطِق على الإطلاق، وإنّما تنتَمي إلى عِلْم النّفس-[1]فالمنطِق عِنده إذن هُو عِلْم التَّركيب.

أمّا **المَسيرة الفلسفية والمنطِقية الثانية**، فكانت بَعْدَ سَنَة(أي عَام) مِن إصدار «كارناب» لِمُؤلّفَهُ الشّهير « البِناء المنطِقي للّغة **La construction logique du Monde** »، حيث تأثّر «كارناب» بالأَبْحاث التي قام بِها «ألفريد تارسكي» في عِلْم الدلالة(السيمنطيقا)، إذ وَضَعَ مَنْهجاً عاماً، يُؤسِّسُ مِن خِلالِهِ لِمفهوم الصِّدق المنطقي في اللُغات المُقَعَدّة. حيث قام «كارناب» بِتوسيع وِجهة نظرِهِ البِنائية لِمنطق اللُغة. وعَن هذا التأثُر يقول «كارناب»: «عِنْدَما أخبَرَني تارسكي أوّل مَرّة، بأنّهُ قام بِبِناء تعريف لمفهوم الصِّدق، اعتقدت أنّ في ذِهْنِهِ تعريفاً بِنائِياً للصِّدق المنطِقي، أو لِقابِلِية البُرهان، لكِنّي فُوجِئْتُ لَمّا أخبَرَني بِأنّه يَقْصِد مفهوم الصِّدق بِالمعنى المألوف، ومِن ضِمْنِهِ الصِّدق الواقعي العرضي، وبِما أنّني كُنت أفكِّرُ فقط في اللُغة الفَوْقِية البِنائِية، تساءلت كيف يُمكِنُ عرض شرط صِدق جُملة بسيطة مِثل: «هذه المِنضَدة سوداء»، فأجابني «تارسكي: إنّ الأمر بسيطٌ جِدّاً، تكون الجُملة «هذه المِنضدة سوداء»صادقةٌ فقط، وفقط إذا كانت المِنضدة سوداء[2]». هذا ما يُوضِّحُ أنَّ «كارناب» قد ارتاح للطَّرْح الذّي قدَّمَه «تارسكي» فيما يخُصُّ اللُّغة الفوقية الدلالية. وقد كان ذلك التصريح، بِداية جديدة وإعلانٌ عن مرحلة جديدة في فلسفة كارناب اللُغوية. حيث يقول عن هذا التأثُّر: «إنّ اللُغة الفوقِية الجديدة، أثارت اهتمامي الشَّديد] بعِلْم الدّلالة [، أعترِفُ أنّها تُزَوِّدُنا ولأوّل مرّة بِوسيلة لِتفسير العَديد مِن المفاهيم المُستخدمة في مُناقشاتِنا الفلسفية[3][1]». إلاّ أنّه وبالرُغم مِن هذا الاهتمام الذي أبداه «كارناب» بأعمال «تارسكي» اللُغوية، خاصّة ما تَعلَق بِنظريتِهِ حول المفهوم الدلالي للصِّدق. إلاّ أنّها (أي هذه الأبحاث) لاقت اعتِراضاً كبيراً مِن طَرف فلاسفة «حلقة فيينا» وأبرزُهُم « أوتو نويراث» الذي اعتقد أنّ المفهوم الدّلالي للصِّدق، لم يَنْسَجِم كما يقول كارناب على لِسان «نويراث» مع التجريبيّة للميتافيزيقا. ولكِن «كارناب» بَيّن أنّ هناك سوء فهم لِذلِك المنطِق، إذ أنّ اعتراضات هؤلاء كانت نتيجة الخلط بين هذا المفهوم (الصِّدق) وبَيْنَ مفاهيم أُخْرى كاليَّقين والتَّحقُق التاّم الذّي كان يُؤْمِن بِهِ الوَضعيون

(1) IBID, P. 259.

(2) Carnap, R, Intellectual Autobiography, in: The philosophy of Rudolf Carnap, éd, by Paul Arthur Schlipp, North western University Evanston, Illinois. 1963. p. 60. .

(3) Carnap, R, IBID. P. 61.

المناطِقة. ومُنْذ تِلك الفَترة التي تأثّر بها «كارناب» مع «جماعة وارسو» وبالذّات مُمثِّل هذه المدرسة «تارسكي»، بِخصوص الأبْحَاث المُتعلِقة بعِلم الدّلالة، صارَ يَجْزِم بأنّ البِناء المنطِقي وَحْده غير كافٍ لِتَحقيق الدّقة في حلّ جميع المُشكِلات المُتعلِّقة بالمعنى، ولتَحقيق التكامُل لا بُدّ في رأيِهِ أن نَضُم عِلْم الدلالة إلى عِلْم التركيب(النّحو). وهكذا بَدأ «كارناب» عَمَلَهُ المُكثّف في الميدان الجَديد، إذ شَرح في مؤلّفِهِ «أُسُس المنطِق والرياضِيات»(1939)، الاختلاف المَوْجود بَيْن عِلْم التركيب وعِلْم الدلالة. وأوضَحَ أهميّة هذا الأخير في ميتودولوجيا العِلْم كَنظرية لِتأويل الأنساق الصُورية، وتَلَتْهُ أعمال أخرى مِثل:»مقدِّمة في عِلْم الدّلالة وصَوْرَنَة المنطق»(1942) و»المعنى والضَّرورة»(1947). وقد سَمّى «كارناب» هذا الحَقل الجديد الذّي يشتمِل على «عِلْم التركيب» و»عِلْم الدلالة» بـِ: «نظرية الأنساق Theory of Systems « وقد قِيلَ عنها الكثير، لدرجة اعتِبارِها أفْضَل أداة لِقِراءة نَموذَجية ومِثالية (لا أقصِد هُنا المثالية كما صوّرتها الفلسفة الأفلاطونية)، ودقيقة لِرؤية وفهْم العالَم، وهِي أفضل ما يُمكِن اعتِمادُه لجمع شتات المعرفة، وتنظيمِها. كَما يَقُول « ميزاروفيك ميحاجلو Mesarovic Mihajlo « في كِتابِهِ: «نظرية الأنساق في الفِكر العِلْمي»[1].

إذَن وعَلى غِرار الأبْحاث التي توصّل إليها « تارسكي»، واصَل «كارناب» أبْحاثه في عِلْم الدّلالة، وفي صُورة أكثر تَطَوُّراً مِن سابِقتِها، استطاع أن يُؤسِّس لِمفهوم الصِّدق، وتمييزِهِ بَيْن المفهوم[2](Intention) و**المَاصَدَق**[3](Extention)، مُقارِناً في ذلك بَيْنَ مَنْهجِهِ ومَنْهَج المَنطِقي «غوتلوب فريجه»، إذ يرى «كارناب» أنّ العِبارة في نَسَق اللُغة الصَحيحَةُ البِّناء، تتوفّر دائِماً على «المفهوم» و» الماصدق».

و ما يُمكِن قولُهُ في آخر هذا المَبحث، أنَّهُ أَوْلَى اهتِماماً بالِغاً لِمنطِق الجِهات الذي أهْمَلَهُ كُلٌّ مِنْ «جورج بُول» و»فريجه» كما يقول « ميزاروفيك ميحاجلو «.

(1) جابِري عبد الرّحمن، «نظرية العلامات عند جماعة فيِيّنا – رودولف كارناب نموذجاً، المرجع السابِق، ص، 239.
(2) والذي يعني المعنى الذي نستوعبه عِندما نفهم عِبارة معيَّنة دون أن نعرِفَ الواقع.
(3) استخدام العبارة التي تشير إلى الواقع.

الفَصْل الرابِع

«مشروع التّجريبية المنطِقِية في التّحليل المَنْطِقي للُغة «

ـ نَقْدٌ وَ مُساءَلَة –

- **المبحث الأوّل:** «نقد»كارل بوبر «لميتودولوجيا التحليل عِند النّزعة التّجريبية المنطقية.»
- **المَبْحَث الثّانِي:** «انتقادات «ويلارد فان أورمان كواين›› للفلسفة التّجريبية المنطقية».
- **المَبْحَث الثَالِث:** «تّحليل القضَايا كَموضوع للمُساءَلة في الفلسفة التَّجريبِية المَنطقية».

مدخل عام:

يُمكِن تلخيص المُنْطَلَق والأساس الأوّل الذي اعتمدتْهُ «الوضعية الجديدة»، والمُتمثِلة في الفلسفة التّجريبية المنطقية، في الأُطروحة القائِلة بأَنَّ المَعرِفة العِلْمِية، حتّى وإنْ تَمَّ إغْناؤُها وإثْراؤُها بِنَجاحات عِلْمِية جَديدة، فإنَّها لا تَستطيع بالرُغْمِ مِمّا حقّقَتْهُ على المُستوى المادّي، أنْ تُواجِهَ مُشْكِلات قَدْ تَطْرَأُ مِنَ الحِّين إلى الآخر على مُستوى البِنية النَّظرية والشّكلية التي تَحْتَويها، وبالتالي يَكون لِزاما على العِلْم الآن، أن يَخْضَع لِهذه الفلسفة الجديدة، بِحَيْث تُعينُه على تَخَطّي تِلك الأزَمات التي طالَما هدَّدت كِيانه وبِنيتُه المنطِقية والموضوعية. لِذلك كانَت مُهِمّتُها (أي الفلسفة الوضعية الجديدة) الأولى، هِي إعادَة النّظَر في الصِياغة اللُغوية لِقضايا العِلْم، باعتبار «أنّ المُشْكِلة التي لا تملِكُ حلاًّ، هِي مُشكِلة بالأساس خالية مِن المعنى. لِذا كان الواجِب الأوّل على الفلسفة الجديدة – مُتبِّعة في ذلك بَرنامَجها المُضاد للميتافيزيقا – هُو توضيح هذه المُشكِلات التي لا تَمْلِكُ مَعنى أو دلالة، مُبرهِنة بذلِك على أنّ استحالة حَّل مِثل هذه المُشكِلات، لا يعود البَتّة إلى مَحدودِية العِلْم، وإنّما يعود إلى خطأ في الطرح، وبالتَّالي فهِي ليسَت مَشاكِل حقيقية. كما أكدّت الوضعية الجديدة، على أنّ العِلْم يحمِل دائِما في طيّاتِهِ، مشاكِل ميتافيزيقية، ومِن هُنا تأتي ضرورة عَزْلِها وطَرْدِها، وذلِك مِن خِلال توضيح طبيعتِها الخاطِئة، مُتبِعّةً في ذلِك قاعِدتين أساسِيتين في منهَجِها: قاعِدة «التحليل المنطقي اللُغوي» وقاعِدة «التّحقيق التجريبي»، ومِن هاتين القاعِدتين أُطْلِق على الوضعية الجديدة اسمٌ آخَر هُو «التّجريبية المنطِقية»»[1]وتأثُراً بِـ: «رسالة منطقية فلسفية» لِفتجنشتاين، ركّزت أبحاث هذا الاتّجاه الفلسفي الجديد الوضعية أو التجريبية المنطقية على الدَّور الهام للّغة في اختبار ومُعالجة المُشكلات الفلسفية، وبَدَت مَعالِم هذا التأثُر في اختِزالِهم مُهِمّة الفلسفة في « نَّقْدِ اللُّغَة»، وهكذا عُمِّمَت هذه النّظرة على كافّة الأَبْحَاث الفلسفية: كالبَّحث الأخلاقي والبَّحث السياسي وحتّى الديني، هذا كُلّه تَحْتَ لِواء القاعدة الآتية: « كلّ بَّحْثٍ فلسفي، مَهْمَا كانَ، إذا أرادَ أنْ يَكُون بَحثاً جاداً يجِبُ أنْ يَكون بَحْثاً لِسانِياً أو لُغَوِيّاً.»[2]

إذَنْ وظاهِرياً يَبْدُوا أن قِيام هَذا الاتّجاه، كان نَتيجة مُشكِلات فلسفية مُجرّدة ومُصْطَنعة. فَأُطروحَتِهِم لا تَخْرُجُ كَما سَبَقَ وأن قُلْنا عَنِ الإطار اللُّغوي، فتَّحليل النَّظريات العِلْمِية التي قام بها الوَضعيون الجُدُد، كانت تهدِف إلى تحقيق هدف واحد وهُو أن تُعْطِي للنَّظريات العِلْمِية الشَّكل الخالِص مِنَ الصَرامة والخَالِي مِن كُلّ ميتافيزيقا[3].

(1) ليدفيكو غيمونا، «موقف من الوضعية المنطقية»، ترجمة النّص: الزواوي، بغورة، منشور في كتاب جماعي: «مدخل جديد إلى فلسفة العلوم دراسة تاريخية نقدية مع نصوص مُترجمة، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، ص، ص، 313، 314..

(2) ليدفيكو غيمونا، المرجع نفسه، ص، 315.

(3) ليدفيكو غيمونا ، المرجع السابق، ص، 316.

ولَعلّ أخْطَر ما في عَمَل الوَضْعي المَنطقي، هُو أنّه يتمسّك بِموقِفِهِ في الكَلام باسْمِ الصَّرامة المنطقية التي يعتمِدُها. فلقد اشتَهرت جَماعة فِّيينا، بِوَلَعِها الشّديد بالعُلوم الطبيعية، وبِفِكرة تَوْحيد المَعرفة أو العِلْم. ولكن رُغْم الدَّور الكبير الذي لَعِبَتْهُ النَّزعة الوَضعية المنطقية أو التَّجريبية المنطقية، في فلسفة العِلْم للقرن العِشرين، إلاّ أنّها لم تَسْلَم مِن النّقد، شأنُها شأن أَيّ فلسفة، كانَت تَسعى للكَوْنية، والدّفع بِحركة الفِّكر إلى أعلى مَرتبة يُمكِن أن يتميّزَ بِها.

وفي نِهاية عرضِنا عَن هذا الاتّجاه الفلسفي البارز، والمُميّز في الفلسفة المُعاصرة، نُحاوِل عَبْر هذه المباحِث، أن نتَطرق إلى بعض أهّمِ الآراء المُنتَقِدَة لهذا الاتّجاه الفلسفي(أي الوَضْعِيَة المنطِقِيَة). مَع العِلْم أنَّ اختِيارُنا لِهؤلاء المُنتَقدين، كانَ بِناءاً على اعتماد هاذَيْنِ المَبْدَأيْنِ: **الأوّل:** هُوَ مَدَى اطِّلاعٌ هَؤُلاءِ النُقَّاد المُباشِر على هذه الفلسفة، سواءاً بِمُعاصَرتِهم لهاَ، أو بِمُلازَمَتِهم لأبرز مُمَثّليها. **أمّا الثاني:** فيتمثَّل في اختيار أبرز أولائِك الذّين عَمِلوا على تَجاوُز الرُؤْية الوضعية الصّارمة، التي تبنّتها التَّجريبية أو الوضعية المَنطقية، جرآء رَفْضِهِم لأَطاريحِها التي كانَت تُدافِعُ عَنْها باستمرار، سواءاً فيما تَعلّق بالقضايا المنهجية، أو الابستيمولوجية التي تبنّتها هذه الحَركة.

1. نقد»كارل بوبر«لميتودولوجيا التحليل عِند النّزعة التّجريبية المنطقية:

توطئة:

لقد كانت الميزة الأساسية للقَرن العِشرين، انفتاحُه بِظُهور نَظَريتين شامِلتين في مَجال الفيزياء، وهُما «نَّظرية الكَّم «لِـ: «ماكس بلانك» و« نظرية النِّسبِية الخَاصّة والعامَّة ««لِآلبَرْت آيْنشتايْن»، أيْنَ كان لهُما الحَّظُ الأكْبَر في تَغْيير بُنيَة العِلْم. وهُنا اتَّجه النّشاط الفَلسفي نَحْوَ العَقل العِلمي مِن خِلال قِيام فلسَفة جَديدة هي فَلسفة العِلم والتِّي صَارَت بِمثَابَة مَنْطِق للعِلْم وبالذَّات العِلْمُ الطَبيعي.

لقد كانَت هُناك إسهامات عديدة مِن خِلال التَيّار الوَضْعي المَنْطقي أو ما يُعْرَف بالتَّجريبية المَنطقية في التَّطْوير التاريخي للعِلْم الواقِعي أو الطَبيعي، وذلك مِن خِلال عَمَلِيَتَين إجرائِيَتَيْنِ مُتَلازِمَتَيْنِ قام بِها أنْصَار هَذا التَيّار: **الأولى** هِيَ «استبعاد الميتافيزيقا» عَنْ طَريق «مِعيار التَّحَقُق»، أمّاَ **الثَّانِيَة** فَهِيَ «التَّحليل المَنطقي لِلُّغة العِلْمِية». بَيْدَ أنّ هذا المِعيار قَدْ أفْضَى إلى طَريقٍ مَسْدود لأنّه أدّى إلى استبعاد العِلْم الإمبريقي نَفْسُه، حَيث أنّ قَضايا العِلْم الحَديث لاَ يُمْكِن أنْ تَخْضَع دائِماً للمُلاحَظة، وعَلَيْه فإنّ هذا المَبْدَأ الذِّي اتَّخَذَتْهُ الوَضعية المَنطقية مِحْوَراً مَركَزِياً في فلسفتها بِغَرَض استبعاد الميتافيزيقا، لَمْ يَكُن قادراً على الاستبعاد الكلّي لَها، مِمّا فَجَّر الخِلافات الداخِلية بَيْنَ أعلامِها، وعَجّل في الأَخير بِتَحَلُّل هَذِه الحَرَكة. وهُنا بَدأَت فِكرة التأسيس لاتِّجاهات جَديدة في فلسفة العِلْم، هي اتِّجاهات «ما بَعْدَ الوَضْعِية المَنْطقية Poste positivisme-Logique، والتِّي مِنْ مُؤَسِسيها، أعْلام كِبار أمثال: «كارل بوبر» (1902 م / 1994 م) والذِّي يُعْتَبَر مِنْ أبْرَز فَلاسفة العِلْم الطَبيعي في العَقْدِ الأَخير مِنَ القَّرْن الماضِي، الذِّين أرْسُوا قَواعِد وأُسُس العقْلانِيَة النَّقدِية فقد كان لأَبْحاث «بُوبَر» التي طَرحَها في مَجال تَكْذيب النَّظريات العِلْمِيَة بَدلاً مِنْ تَحقيقِها، الأثَر الواضِح على تِلْك الأُطروحات، وبالتالي وَضَعت «جَماعة فيّينا» في مَوقِفٍ صَعْبٍ إزَّاءَ تِلْك الطُروحات[1]

ولعَلّ مِنْ أبرز ما يَطْرَح حُدود ذلِك التَّجاوُز لِمواقف «الوضعية الجديدة»، هو ما اعتَقَد في صِحّتِهِ، مِن خِلال تحديدَهُ لِأَبْرَز مُشْكِلْ في مَجال البَّحْث في العلوم الطبيعية والذِّي خَلَق بِمنظورِه أزمة حقيقية فيها، إنَّهُ «مُشكل الاستقراء». طرَحَ ذلِك في افتِتاحِيَة مُقدِّمة كتابِهِ الرئيسي» المعرفة الموضوعية Objective Knowledge» حيث يَقول: «أعتَقِدُ أنّني تمكَّنْتُ مِن حَلّ مُشكِلة فلسفية كبيرة: مُشكِلَة الاستقراء. (وقَد توَصَّلْتُ للحَّل في عام 1927، أو حَوالَيْ ذلِك) لقد كان هذا الحّل مُثْمِراً تماماً، ومكنَّنِي مِن حَلّ عددٍ كبيرٍ مِن المُشْكِلات الفلسفية

(1) »رافد، قاسم هشام«، رودولف كارناب والوضعية المنطقية، مجلّة جامعة بابِل، العلوم الإنسانية، المجلّد الثامن عشر، العدد 04، العراق، د(ط)، 2010 ، ص، 1057.

الأُخرى، ومع ذَلِك فإنّ قليلاً مِن الفلاسفة سيُؤيِدُون رأْيِي في أنّني حلَلْتُ مُشكِلة الاستقراء. إنّ بَعض الفلاسفة وَجَدوا مَشَقَّةً في دِراسة وِجهَة نَظرِي في المُشكِلَة.»[1] وهُوَ يُشيرُ هُنا إلى الوَضعيين المَناطِقة بالخُصُوص.

1.1 « كارل بوبر» والعَقلانِية النَّقدية:

لقد كان عام 1919، هو العام الذي حضر فيه «بوبر»، مُحاضَرة لآنشتاين في فيّينا، وكانَ مُنبهِراً بالمَدْخَل الجَديد في الفيزياء. وفي نَفْسِ السّنَة، أعْلَنت البَيانات الرَّصْدِية التّي أجراها العَالِمُ الفلَكي الإنْجليزي «إدينجتون»، والتي بَدَت أنَّها مُطابِقة لِتَنَبُؤات «آنشتاين» والمُتعَلِّقة بالانْحِراف الجاذِبي للضَّوْء. حِينَها، عَقَدَ «بُوبَر» مُقارنة بَيْنَ هذه التَنَبُؤات المُحْكَمة التّي أتَتْ بها الفيزياء الحَديثة وبَيْنَ المَوْقِف المُتَحَصَّل مِنَ العُلوم الثَلاث المَشْهورَة: « النَّظرية المارْكسِية للتَّاريخ»، و» التَّحليل النَّفْسِي» لِفرويد S.Freud، و»عِلْم النَّفس الفَرْدي» لِآدْلاَر Adle. فَوَجَدَ أنَّ هذه العُلوم تَخْفأُ بِوُضوح في إجراء تَنَبُؤات مُصَاغَة بِإحْكَام، ويُمكِن إخضاعها إلى اختبار تَجريبي مُباشر أو غَيْرَ مُباشِر. ومِنْهُ - تَوَصّل «بوبر» عَنْ طَريق عَمَلِية بَحْث واستقصاء في البِنية الداخِلية لِنِظام المَنْهج الاستقرائي ذاته وكان ذلك ما بَيْن سَنَتَيْ 1919 و1920 إلى النَتائج التالِية:[2]

- يُمكن الحُصول على إثباتات أو تحَقُقَات لِكُلِّ نَظَرية تَقريباً لو أنّنا بَحَثْنا عَنْها.
- كلّ نَظرية عِلْمِية جادّة وحَقّة إنَّما هِي مَنعٌ أو حضْرٌ: فهي تَمْنَع أشياء أن تَحْدُث ومِنْه فالنَّظرية الأَفْضَل هِي التّي تَمْنَعُ أكْثَر.
- النَّظرية التي لا يُمْكِن تَفنيدها لا تُعْتَبر نَظرية عِلْمية. أي ضَرورة خُضوع النَّظرية العِلمية لمبدأ القابلية للتكذيب.
- كُلُّ إختبارٍ أصْلِي لِنَظرية ما، إنّما هو مُحاولة لِتفنيدها أي تكذيبها.
- لا يمكن تأكيد أي إثبات لأي نظرية ما دون أن تكون نتيجة لاختبار أصلي للنظرية، وهذا يعني أنّها يُمكِن أن تُقَدَّمْ بِوَصْفْها ذات أهمّية، بيد أنّها مُحاولة غير ناجِحة لِتكذيب النظرية.
- في حالة اكتشاف بعض النظريات المُخْتبرة بِصورة أصلية، بحيث لا زالت تَلْقَى دَعْماً مِن مُؤيِدِها، وذلِك بإدخال فَرَض إضافي مثلاً، هذا الإجراء حسب «بوبر «يكون مُمْكِناً دائِماً، لكنَّهُ يُنقِذُ النظرية مِنَ التفنيد فقط، ولا يُنْقِذُها مِن انخفاض مكانَتِها العِلْمِية.

كتلخيص لهذه النتائج يقول «كارل بوبر»: «إنّ المعيار الذي يجعل النظرية تتصّف بأنّها

(1) ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البّحث، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت، د(ط)، 1985، ص، 367.
(2) نفادي، السيد، اتجاهات جديدة في فلسفة العِلْم، عالم الفِكر، المجلّد 25، العدد 02، أكتوبر/ ديسمبر، 1996، تصدر عَن المجلس العِلْمي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص، 92.

علمية هو قابليتها للتكذيب، أو التفنيد أو الاختبار، وليس قابليتها للإثبات »[1]

هكذا يُظْهِرُ هذا التَّصريح البُوبَري، مَدَى التَّجاوُز الفِعْلي للطَّرْح المَنْهَجي الذّي آمنت بِهِ «حلقة فيّينا» كمَدرسة، والفلسفة التَّجريبية أو الوَضعية المنطِقية كاتِّجاه فِكري وفَلسَفي، والمُتمثِّل في «مبدأ التَّحَقُق التَّجريبي» كآلية للبَّحث في مِصداقية النَّظريات والقوانين العِلْمِية، حيث شَدّدَ «بوبر» على ضَرورة الفَّحْص النَّقدي للأفكار العِلمية بالخُصوص، وذلك مِن خِلال دَعْوَتِهِ العُلَماء للبَّحث عَنْ تَكذيب أفْكارِهِم أكْثَر مِنْ التَّحقُق مِنْها، والهَدَفُ مِن هذه العَمَلية الإجرائية حَسْبَهُ، يكْمُن في وَضْع الحُدود الفاصِلة بَيْنَ ما هُوَ عِلْمِي وما هُوَ غير عِلْمي، أي بَيْنَ العِلْم الحَقيقي والعِلْم الزائِف.

فالاختلاف والتَّجاوُز بَيْنَ كِلا الطَّرْحَيْنِ أي بَيْنَ الطَّرح الذّي آمَنَت بِهِ الفَلْسَفة التَّجريبية المنطقية، والطَّرح البُوبَري لِمُشكِلة الحَقيقة العِلْمِية بالخُصوص جَلّي وبيّن. فتَكذيب النَّظريات عِند «بوبر» بِمَعناه الدقيق هُو أكْثَر تَعْيِيناً وتَحديداً وتَدْقيقاً لمُجريات البَّحث العِلْمي مُقارنة مَعَ «مبدأ التَّحقُق» أو «الاختبار التَّجريبي» عِند التَّجْريبِين المَناطِقة. لِذا فَنَظَرِية «بوبر» في المَنْهَج، والقائِمَة على مَنْطِق التَّكذيب، إنّما جاءَت لِتَهدِمَ مَبْدَأ التَّحَقُق التَّجريبي بالخُصوص، ومَنطِق القَّوْل في الفلسفة التَّجريبية المَنطقية على العموم. فَبُوبَر لا يَهْتَّمُ بالتَأييد أيْ البَّحث عنِ الحالات المُؤيِّدَة للفَرَض كما نَظَّرَت لَهُ «التَّجريبية المنطِقية»، بَلْ ومِن خِلال تَصَوُّرِهِ للنَّظَرية العِلْمِية، يَرى أنّ «الاختبار العِلْمِي الحَقيقي، يَكْمُنُ في مَدى مُثابَرَتِنا في البَّحث عَنِ الشواهِد المُكذّبة أو الحالات السالِبَة، وذلِك بُغْيَة تَفنيد النَّظرية أو الفَرَض والبَّحث عَنْ فَرَض جَديد، أمّا إذا ظَلَّ الفَرَضُ قائِماً مَعَ استمرار مُحاوَلات تَفْنيدِهِ فإنَّ هذا يُعَدُّ تعزيزاً.»[2]

لعلّ الخلْط الكَبير الذّي أوْجَدَه بَعْض الدارسين لِكِلا الفَلْسَفَتَيْن، دَفَع «بوبر» وعَبْر العديد مِن المُناسبات إلى أَنْ يُعلِن إنْكارَهُ المُستمّر لِفِكرة الانْتِماء إلى أعْضاء جَماعة فيّينا. – بَلْ إنَّ جانِباً كبيراً مِنْ فلسفتِهِ لَيْسَ إلاّ مُحاوَلات مُستمِرّة لِتفنيد آراء هذه المدرسة-[3]هذا الاعتراف المُسْتمّر بِعَدَم الانتماء للحَلقة، لا يَعْني وُجود نَظْرة عَدائِية بَيْنَ فلسفة كِلَيهما. بَل هُو تَعْبير عَنْ مَبْدأ الاستقلالية بالآراء وبِطريقة التَّفكير عِنْدَ كِليهما (أي أعضاء الحَلقة و«بوبر»)، فَلقد كانَت لَهُ عَلاقات صَداقة بَيْنَ أبْرَز أعضائِها: أخُصُّ بِالذِّكر «كارناب»، «هربرت فيجل»،

(1) نفادي، السيد، المرجع، نفسُه، ص، 93، نقلاً عن:
K, Popper, The logico of scientific Discovery hutchinson, London, 1959, P.36

(2) محمد قاسم، محمد، كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د(ط)، 1986، ص، 161.

(3) محمد السيد، محمد أحمد، التمييز بين العِلْم واللاعِلْم – دراسة في مشكلات المنهج العلمي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د(ط)، 1996، ص،76.

و« فريدريك وايزمان»، و»كرت جودَل» و«فِكتور كرافت». تتجلّى معالِم تِلْك المُعارضة، في رَدَّةَ فِعْلِهِ اتّجاه المُناقَشات العَديدة مَع أعضاء الحلقة، إلى دَرَجة أنّ – «أوتو نويراث» أطْلَق على «بُوبَر» اسم: المُعارِض الرَّسمي للدائِرة. يَظْهَر هذا في مَقولَة لِبُوبَر يَقول فيها: «لقد دَأَبَ «نويراث» على تَسْمِيَتي «المُعارِضْ الرَّسمي لدائرة فيّينا، على الرُغم أنّ الحّظ لَم يُسْعِدني، بأنْ أكُون أحَدَ أعضائِها»[1]

بداية مِن هذا الطَّرح، يُصرّح «بوبر» وفي سنة 1923، أنّه قَدْ أصْبَحَ مُهْتَماً بِمُشْكِلة الاستقراء، مُنطلقا مِنْ كِتابات ومَواقِف أوَّل مَنْ أثارَ تِلْك المُشْكِلة»، إنَّهُ «دافيد هيوم». مُنْذُ ذلك الحّين، أعلَنَ «بوبر» عَنْ مُوافَقَتِه للدَّحْض الذِّي قَدّمه «هيوم» للنَّتائج والاستدلالات الاستقرائية، **ولكنّه** لم يَكُنْ راضِياً بالتَّفسير السيكولوجي الذِّي برّر بِهِ «هيوم» مَوْقِفَه هذا. حيث أكَدَّ «بوبر» أنَّ فلسفة العِلْم في عَصْره (الأيَّام الأَخيرة مِن اتّجاه «ج.س. مل» ونِهاية كِتابات الوَضعية المنطقية») ، كانت تُؤمِن بِصِّحة الاستدلالات الاستقرائية، ومِنْهُ تَوَصّل» بوبر» إلى هذا الحُكْم الذِّي مَفادُهُ أنَّ فَلسفة العِلْم قد تَوَّصَلت بِسبب التُّراث التَّجريبي إلى طريق مَسْدود. وأنّ الطَّريق الوَحيد لِوَضْع الأُمور في نِصابِها هِي أن نَجْعَل العُلَماء يتَّجِهُون نَحْوَ اخْتِبار نَظَرياتِهم والبَّحث عَنْ الأَمْثلة التي تُكذِّبُها، أكثَر مِنَ البَّحْث عَن الأمثلة التي تُحَقِّقُها أو تُدَعِّمُها.

ولِتوضيح كيفية حُدوث ذلك، يُميّز «بوبر» بَيْنَ أرْبَعة أبْعاد في فَحْص أيّة نَّظَرية عِلمية[2]:

- **الأول:** إخضاع النتائج فيما بينها للمقارنة المنطقية، من أجل التَثَّبُت أو التَأَكُّد مِن انْسِجامِها الداخلي وخُلُّوها مِنَ التَناقُض.
- **ثانيا:** البَّحث في الشَّكل المنطقي للنَّظرية العِلمية فيما إذا كانَت ذات طَبيعة تّجريبية أو تَحْصيلية (**tautologie**) .
- **ثالثاً:** مقارنتها بالنظريات الأخرى لِمعرفة ما إذا كانت تُقدِّم حقاً نتائج تزيد من المعرفة العلمية.
- **رابعاً:** اختبار النظرية عن طريق التطبيقات التجريبية للنتائج المشتقة منها.

2.1 الحَقيقة بَيْنَ الطَّرح «التّجريبي المنطقي» والطَّرح «البوبري»

عِندما تَقابَلَ «بوبر» مَع أعضاء»حلقة فيّينا»، وكان ذَلِك في نِهاية القرن العِشرين، كانَت أفْكارُه قَدْ تَبَلْوَرت بالفِعْل، وأخَذ اتِجاهاً مُستقِلاً, وقَدْ واجَهَهُ في هذه الفترة سُؤال مَركزي،

(1) محمد السيد، محمد أحمد، المرجع نفسه، ص، ص، 79-78. نقلاً عن:
Popper, K, «Conjectures and Réfutations, op.cit. P.269.

(2) نفادي، السيد، اتجاهات جديدة في فلسفة العِلْم، المرجع الأسبق، ص، 93.

كان حافِزاً جَوهرِيّاً في تأسيسِه لفلسفتِهِ النّقدية. إنّه السؤال الذي يبحث في شروط تصنيف النظريات العِلمِية. أي حَول طبيعة المعايير التي مِن خلالِها نستطيع تمييز ما هُو عِلْمي مِمّا هُو غير عِلْمي في النظريات العِلْمِية. حيث كان يقول: «لم تشغلني في تِلْك الآونة، مُشكِلة متّى تكون النّظرية مقبولة، وإنّما كانت مُشكِلتي مُختلِفة. إنّني رغبت في التمييز بين العِلْم والعِلْم الزائِف.و كُنت أعلَم أنّ العِلْم يُخْطِئ أحياناً، كما أنّ العِلْم الزائِف قد يُصيب الحقيقة[1].»

ينطلق «بوبر»إذن، من فِكرة أنّ الحَقيقة تَكْمُنُ في مُطابقة القَضايا والنَّظريات للواقِع، ولَكِن هذا غَيْر كافٍ عِنده إذْ أنَّ القَوْل بِيَقينية النَّظرية العِلْمية هو مِثال أعلى كاذِب، إذ في نَظَرِهِ «العِلْم يَتَعامَل مَع نَظَريات، والنَّظَريات مُعَرضّة دَوْماً للتَّكذيب وللنَّقْد وللدَّحْض، وأحْسَن النَّظريات هي النَّظرية التي دُحِضت، وسَمَحت لِنَّظَرية جديدة بأنْ تَقوم مَكانَها، وهَكذا يَتمَكن العِلْم من أن يَسير إلى الأمام ودُونَ نِهاية، مِمّا يَجْعَل المَعْرفة العِلْمية كُلّها حَسْبه، تَتَمَيَّزُ عَن المَعْرفة العاَدِية بأنَّها ذات طابِع افتِراضِي.»[2]

والحقيقة أنّ تأثير «كارل بوبر» على القرن العِشْرين، كان قَويّاً إلى دَرجة كبيرة، يظهر ذَلك مِن خِلال تَشْديده على ضَرورة الحَاجَة إلى فَحْصٍ نَقْدي للأفكار، وأيضاً دَعْوَته المُوَجَّهَة إلى العُلماء مِن أجْلِ التَّركيز في أعْمالِهم عَن التَّكذيب لأفكارهم أكثر مِنَ التّحقق مِنْها، وضَرورة تَمْييزهِم بَيْنَ العِلْم الحَقيقي والعِلم الزائِف. إضافةً إلى أنَّه أوَّل مَنْ مَهّد السَّبيل إلى الاهْتِمام بالإبستيمولوجيا المُسْتَنِدة إلى مَبادئ سوسيولوجية.

لقد رَفَضَ «بوبر» الطَّرْحَ الذي قَدّمَه الوَضعِيون المناطِقة، بِخُصوص رَفْض الميتافيزيقا، إذْ مِن خِلال رَفْضِهِ وانتقادِهِ لمبدأ «التَّحقيق» عِندَهُم، حاوَل تِبيان أنَّ الفلسفة الوَضعِية، فلسفة هَشَّة وساذَجة، ولِذَلِك قَدّمَ البَديل لِذلِك، مُقترِحاً «مبدأ القابلية للتَّكذيب» لِسَدِّ الفَجَوات التِّي خَلّفَها التَّحقيق التَّجريبي.[3]

إنّ الحقيقة العِلْية عِند «بوبر» مرهونة بنتائج البّحث، وبالقوانين المنهجية التي تحكُمها، وقَدْ ناقَشَ «بوبر» - هذه المسألة في كِتابِهِ « مَنطق الكَشْف العِلْمي»، أيْن تَطرّق إلى «الاستقراء» ومُشْكِلتُه المُتعلّقة بالقضايا الكُلّية والقوانين. لكِنّهُ خالَفَ الرأي الذّي قالَ بِهِ الوَضْعِيون المَناطِقَة، كَمَوقِف «هانز ريشنباخ» (رُغْم أنّه لم يكُن هُو أيضاً مِن أعضاء مدرسة فيينّا، إلاّ أنّه كان وَضْعِياً منطقِياً في تأسيسِه لفلسفَتِهِ العِلْمِية) الذّي كان يَرى في الاستقراء الطريقة

(1) محمد السيد، محمد أحمد، المرجع نفسه، ص، 80.

(2) نفادي، السيد، اتجاهات جديدة في فلسفة العِلْم، المرجع السابق، ص، 93، نقلاً عن:
Popper K, Objective knowledge, An Evolutionary Approach, Clarenton Press, Oxford, 1972, (note 8) P.01

(3) ولباني، مليكة، مقال: حلقة فيينّا، أو .. دِفاعاً عَن الفلسفة العِلْمِية، إعداد: سعاد، تونسي، مجلّة آيس، المرجع الأسبق، ص، 86.

العِلْمِية الأنْجَع، الذي يَسْلُكُها العِلْم للوُصول إلى الحَقيقة-[1]. فَبِالنِّسبة إليْه (أي «ريشنباخ») يُعْتَبَرُ الاسْتِقْراء الأداة المُثْلى التي تُساهِم في التَحْدِيد والكَشْف عَن صِدقِ النَّظريات العِلْمِية. أمّا «بوبر» فيَعْتقِد- أنّه بإمْكانِنا الاستغناء عن الاستقراء، والاستعاضة عنه بمَبدأ الاستدلالية Déductivism-[2] .

لقد كان الانشِغال الأوّل الذي أولتْهُ التّجريبية المنطِقِية لأبحاثِها، مُتعلّق بقَضِية التَّمييز بَيْن ما هُو عِلْمي ولا عِلْمي في النَّظَريات العِلْمِية، أي في مسألة التَّمييز بَيْن القضِيّة العِلْمِية والقضِيّة الميتافيزيقية، فَكانَ أنْ تُوّجَت أبْحاثُهُم الأولى بِوَضْع مَنْهجية بَّحْث، كان يَعتَقِدُ أنْصارُها (أي الفلسفة التّجريبية المنطقية)، أنّهَا المَنْهَج الأفْضَل في تَحقيق ذاك الفَّصْل أو التَميز، إذ بِهِ نَسْتَطيع الحُكْم على طبيعة القضِيّة، إنَّهُ «مبدأ القابِلِية للتَّحقيق». هذا المَبْدَأ الذي آمنت بِهِ هذه الفلسفة، سُرعان ما بدأت تَظْهر نقائِصُه، باعتِبارِهِ لم يُحقّق الغاية التي وجِد مِن أجلِها، والمُتمثِلة في حَلّ مُشْكِلة العِلْم في علاقَتِهِ بالميتافيزيقا. والأكثر مِن ذلك أنّ هذه المَنْهَجية زادَت في تَعقيد تِلك العلاقة، حينما قامت بتقديم تصنيفات لِكثير مِن القَضايا العِلْمِية الهامّة، مُعتَبِراً إيّاها قَضايا دون مَعنى شأنُها شأن القضايا الميتافيزيقية، هذا ما شكّل نَوْع مِن الخُطورة على مُستقبَل المَعْرِفة العِلمِية، هذا مِن جِهة، أمّا مِن جِهة أخرى، فقَدْ كانت هناك مُحاولة ثّانية قام بِها المُتبَنُون لِهذا المَنْهَج. كانت تقوم على التثّبُت مِن القضِيّة التَّجريبية، بالرُجوع بِها إلى قضايا تَّجريبية بَسيطة، إذ أدَّت هذه المُحاولة، إلى نتيجة غَير عِلْمِية، ولا تَستطيع التثّبُت مِن القَضايا العامّة-[3]، لِهذا كان لِزاماً على «بوبر» أن يُحْدِث هذا التَّغْيير.

يُعتبر «بوبر» مِن الفلاسفة المُعاصِرين الذّين أحْدَثوا تَجديداً في الفِكر الإنساني بِصِفة عامّة، والأوروبي بالخُصوص، حيث - قامَ بِنَقد المَذاهِب الفلسفية القائِمة على الارتياب، والتي كانَ أبرزُهاَ على الإطلاق (وهذه رُؤيَتُهُ الخاصّة) «التَّجريدية» و«الوَضعِية المنطِقِية» وأقام مَنْهجاً نَقدِياً مِن مفاهيمِهِ الأساسية: «القابلية للتكذيب» و«التعزيز»، وكان الهَدف مِن وراء ذلِك، التطّوُر والإبْدَاع العِلْمِيَيْن القائِمَيْن على استِخْلاص النَتائِج الدّقيقة-[4].

إنَّ جُلْ العُلوم الإمبريقِية تُصَرّحُ حسب «بوبر»، أنَّها تستَخْدِم الطُرُق الاستِقْرائِية. وبِناءاً على ذلك سَيُصْبِحُ منطِق الكَشْف العِلْمِي عِنْدَهُ مُتَطابِقاً مع المنطِق الاستِقرائي. فَما قامَ بِهِ

(1) خليل، ياسين، مقدِّمة في الفلسفة المُعاصِرة، دراسة تحليلية ونقدية للإتجاهات العِلْمِية، في فلسفة القرن العشرين، دار الشروق للنّشر والتوزيع، عمّان، الأردُن، ط2، 2012، ص، 238.

(2) كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، ترجمة وتقديم: ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنّشر، بيروت، ابنان، د(ط)، 1986، ص، ص، 32، 33.

(3) خليل، ياسين، المرجع السابق، 239.

(4) موسوعة الأبحاث الفلسفية، للرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة «الفلسفة ةالغربية المعاصرة» – صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج- ج2، إشراف: علي عبّود المحمداوي، تأليف: مجموعة من الأكاديمين العرب، تقديم: علي حرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص، 1022.

«بوبر» هُنا، هُوَ التّحليل المَنْطِقِي لِتِلْك الطُرُق الاستِقْرائِية. هكذا يَفْتَرِضُ «بوبر» منهَجِية جديدة في الكَشْف العِلْمِي، هِيَ منهَجِية « القابِلِية للتَّكذيب»، فَهِيَ وحدها حسَبَ «بوبر» تسْمَحُ لَنا بِتبْرير الإجابَة على ذاك الإشكال الجوهَري حَول إشكالِية الاستقراء، والمحصور في الصورة الآتِية: كَيْفَ يُمكِن تأسيس صِدْق القضايا الكُلِّية المُسْتَنِدة إلى الخِبْرة كالفُروض والأنْساق النَّظرِية للعُلوم الإمبريقية؟ هكذا يَصيرُ «مبدأ التّحقيق» المُباشِر خاصّةً، عاجِزٌ كُلّ العَجْزِ عن تبرير الاسْتِدلالات الاستِقْرائِية.

إنَّ هذا المَنْهَج أو المَبْدأ حسب «بوبر»ـ يستطيع فَقَط أنْ يُقَدِّم الخُطوط المَنْطِقِيَة لإجراء الاخْتِبار، ورُبّما لا يَزالُ هَذا هُوَ كُلّ ما يُقْصَدُ بِهِ مِنْ قِبَل هَؤُلاء الذّينَ يَتَحَدَّثونَ عَن إعادَة البِناء المَنْطِقي للطُرُق التّي بِمُقْتَضاها نَصِلُ إلى المعرِفَة ـ[1]. فَمِنَ المَعْروفِ أنَّ «كارل بوبَر» وهُو يُعَبِّرُ عَن مَوْقِفِهِ الابستيمولوجي اتّجاهَ قَضايا المَنْهَج، انتَقِد الاستِقْراء وجُل النَزَعات الاستِقْرائِية في أكثَرِ مِن مَقام. أمّا أعضاء «حَلَقة فْيِّينا» عُموماً والوضعِية المنطِقِية بالخُصوص، فَقَد قَبِلُوا الاستِقْراء واعتبروه فَرَضاً عاماً في العِلْم. هذا المَوْقِف سَوْفَ يَشْهَدُ نَقْداً لاذِعاً مِن طَرَفِ «بُوبَر» نفسُهُ، حينَما يُحَلِّل مُشْكِلَة الاستِقراء، ويُبَيِّن الأخطاء التّي تَكْتَنِفُ المذاهِب الاسْتِقرائِيَة.ـ[2]

لَقَد كانَ هُجُوم «كارل بوبر» الذّي وَجَّهَهُ للوَضْعِية المنطِقِية في مُؤَلَّفِهِ «منطِق الكَشْف العِلْمِي» سنة 1934، مِن بَيْنِ أهَمِ الأَسباب في تَفَكُّك «جماعة فيّينا» فِكْرِياً. رُغْمَ أنَّهُ وكَما يُشيرُ «فِكتور كْرافْت Victor Kraft» وهُوَ مِن أقطاب الوَضْعِيَة المَنْطِقِية، في مقالٍ لَهُ بِعُنوان: «بوبَر وحَلَقَة فْيِّيناَ» أنَّ أعمال «كارل بوبر» لا يُمكِن فَهْمها، بِدون الإشارة أو الرُجوع لِحَلَقَة فيّيناَ، والتي لَعِبَت دَوْراً هاماً في تَطَوُّر آرائِهِ. ـ[3]

وفي الأخير نَجِدُ أنَّ «بُوبَرْ» قَدَّمَ رِسالَةً هامّة، وهِيَ بِمثابَة ثَوْرَة حَقيقِيَة على القَّوْل باختِزال مَنْهَجِيَة بَحْث واحِدة، ينْبَغي للفيْلَسوف استِخْدامَها بِما لها مِنْ سِمَة مُمَيّزة في الفلسفة عَن أيّ بَحْثٍ عقْلي أو عِلْمي. فَفِي زاوِيَةٍ خاصَّةٍ مِنَ البَّحْث، نَجِدُهُ يَخُصُّ منهَجِيَة «التحليل المَنْطِقِي» بِمَوْقِفٍ خاصٍ إذ يَقول: «إنَّني لاَ أُنْكِرُ أنَّ شيئاً ماَ ذلِكَ الذّي يُمْكِنُ أنْ يُطْلَقَ عَلَيْه «التَّحْليل المنطِقِي Logical Analysis» يَلْعَبُ دَوْراً هاماً في هَذِهِ العَمَلِية، خاصّةً في تَوْضيح مُشْكِلاتنا وحُلولَناَ المُقْتَرَحة، وإنَّني لاَ أُقَرِّرُ أنَّ مَناهِج التَّحْليل المَنْطِقِي أو تَحْليل اللُّغة لا قيمَة لها بالضَّرورة.»[4]

(1) كارل، بوبَر، منطِق الكَشْف العِلْمِي، ترجمة وتقديم: ماهِر عبد القادِر، محمد، دار النَّهْضَة العَرَبِيَة للطِباعة والنَّشر، بيروت، لبنان، د(ط)، 1986، ص، 68.

(2) كارل بوبر، المَصْدَر السابِق، ص، ص، 22،23.

(3) المصدر نفسه، مَنظورٌ إلِيه في: مُقدِّمة الكِتاب، لِماهر عبد القادر، محمد، ص، ص، 17، 18.

(4) المَصْدَرَ نفسه، ص، ص، 52، 53.

2. «انتقادات «ويلارد فان أورمان كو اين» للفلسفة التّجريبية المنطقية»:

1.2 مُميّزات فلسفة « ويلارد كو اين Willard Quine (1908 م/ 2000 م):

بِداية، وقَبْلَ الخَوْضِ في مَسألة الانتقادات التي أدرَجها « ويلارد كواين» سَنُشير إلى مُميّزات فلْسَفَتِهِ، حيْث تَجْمَع هذه الأخيرة عِنده - بَيْن المَنطِق والأنطُلوجِيا، والعِلْم أو النّظريات، وذلك مِن خِلال تَّحليل وتَحْديد مَفْهوم الإحالة. إنَّهُ التَّحقيق في العلاقة الوثيقة بَيْن النَّظريات والأشياء، مِن خِلال البَّث في أمر المعنى والإحالة، مُعْتمِداً في ذلك الأدوات المنطقية التي يَسْتقيها مِن «راسل» و»وايتهيد» أو «فريجه»-[1]. وفي هذا السِياق، نَجِدُ «كْواين» يقتَرِحُ مَسْألَة اعتِماد الوُجود على اللُغة، إذ يُؤكِّد عَبْرَ هذِه الدَّعْوى، أنّ ما هُو مَوْضوع مُناقشة في هذه المَسألة المُشار إلَيْها (أي عَلاقة اللُّغة بِالواقع)، ليْسَ المَقْصود بالواقِع، الواقِع الأنطلوجي، بل وكما يَقول «الالتزام الأنْطُلوجي للخِطاب فمَا يُوجَد لاَ يتوقّف بِشَكْلٍ عَام، على استِعْمال المَرْء للُّغة، بَل عَلى ما يَقْرأُ المَرْءُ بأنّهُ يُوجَد»[2].

ولِكَي نَتَطَرَّق إلى الطَّرْح الابستيمولوجي الذّي يُقدِّمهُ «كواين»، حول «النَّزعة التَّجريبية المَنطقية»، ننطلِق مِن مَقُولة لَهُ وَظّفها في المَقال السَابِع، مِن كِتابِهِ» الكَلِمَة والشَّيْء LE MOT ET LA CHOSE» حيث يقول:« خِلال القَرْنَيْن الماضِيين، كانت هُناك خَمسة أمور أفْلَحَت فيها النَّزعة التَّجريبية للتَّغَيُر نَحْوَ الأَفْضَل: أوّلُها الانْتِقال مِن الأَفكار إلى الكلِمات، وثانيها تَحَوُّل اهتِمام الدَلالِيات مِن الأَلْفاظ إلى القَضايا، وثالِثُهُما انتِقال اهتِمام الدَلاليات مِن القَضايا إلى نَسَق القضايا. ورابِعُهُما مَبْدَأ المَنْهَج الواحِدي الذِّي وَضعَهُ «مورْتَن وايْت Morton White» ومَفادُهُ تَرْك الثُنائِية: تَّحْلِيلي- تَرْكِيبي. وخامِسُهُما هو المَذْهَب الطبيعي أي التخلّي عَن السَّعْي نَحْو فلسفة أولى سابقة على العِلْم الطبيعي»[3].

ولَعلّ ما يَهُمُنا هُنا، وفي هذا المَقام، هُو الأَمْر الأَوّل والثَّاني باعتباره يَتَعلّق بالفلسفة الوضعية والتَّحليلية، وبالأمر الرابِع الذي هُو مجال بحثِنا هذا، والذّي يتَمَحْوَرُ حَوْل قَضِية نَّقْد الوَضعِية المَنْطِقِية. في هذا الصَّدَد يقول مُتَرجِم كِتاب «مِن وِجهة نَظَر مَنْطِقِية» «يوسف تيبس» – أنّهُ إذا كانت مُشكِلة التّجريبية المنطقية والفلسفة التَّحليلية هي مَسْأَلة التَّحقُق التَّجريبي مِن عِبارات العِلْم، والفَّصْل بَيْن عِبارات العِلْم والعِبارات الزائِفة، فإنّ «كواين» يَذْهَب أعْمَقَ مِن ذلك، إذ يتَساءَل عنْ نَّوْع المَواضيع التِّي يَدْرُسُها العِلْم، مِنْ هُنا جاء سُؤاله

(1) ويلارد، فان، أورمان كواين، مِن وجهة نظر منطِقِية، تِسْع مقالات منطِقِية وفلسفية، ترجمة: يوسف تيبس، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010،مقدّمة المترجم، ص، 07.

(2) المصدر نفسُهُ، نقلاً عن: W.V.Quine, from a logical point of view, Harvard Universite. Press, 1980.P. 103.

(3) Quine, Willard Van Orman, LE MOT ET LA CHOSE, Traduit De L'américain Par les Professeurs Joseph Dopp et Paul Gochet, FLAMMARION, 1977, P.P. 67-72.

الذّي يُشكّل عُنْوان المَقالة الأُولى مِن « كتابِهِ « مِن وِجهَة نَظَر مَنْطِقية››، أقصِد - يقول المترجِم – «ما الذّي يُوجَد؟ ‹[1].

لقَد حاوَلَ «كواين›› أنْ - يُصَحّحَ المَفاهيم المَنْطِقية والرياضِيَة مِنْ خِلال تَتَبُّع تاريخي دَقيق للأفكار، وكَيفِية استِخْدامِها في الأنساق المُختَلِفة-[2]. وبِخُصوص التَّحليل، فإنّ «كواين›› غالِباً ما يُشيرُ إلى منهَج القُدماء في تحليل الصِيَغ المَنْطِقية، والذي يَسْتَنِدُ إلى استِخْدام قوائِم الصِّدق. حيث توضَعُ الصيغة المَنْطِقية في قائِمة صِدْقٍ، وتوضَع القِيَم تحت المُتغيِرات مِن خِلال تَطبيق معْنى الثَوابِت المَنْطِقية ـ[3]هُنا سنكون أمام قائِمة مِن المُتغيِرات، ولِهذا دعى «كواين›› إلى ضرورة بَذْل جُهْد أكبَر لأَجْلِ تَحليل تِلْك القائِمة حتّى تَتِم عَمَلِية الكَشْف عَن مواضِع الكَذِب في الصيغة. وهذا يَتَطَلَب حَسْبَهُ البَّحْث عَن صيغَة مُثْلى للتَّحليل. ولَكِن وفي نفسِ السِّياق، لا يُلِّحُ «كواين›› على ضرورة إخْضاع تِلْك الصيغة المنطِقية بِصورة كُلِّية للتَّحليل كما فَعَلَ ذَلِك السابِقون. إذ يدْعُوا إلى اختِيار أحد المُتغيِرات التي لَديْنا، مَعَ افْتِراض صِدْقِهِ أو كَذِبِهِ بالتَتالي، وُصولاً إلى استِنتاج نتائِج مُترتِبَة عن تِلْك الافتِراضات.

2.2 «كو اين» والقراءة الابستيمولوجية لفلسفة النّزعة التَّجريبية- المنطِقية:

لقد وجّه «كواين›› لِفلسفة «كارناب» باعْتِبارِهِ أبرَز مُمَثِّلي هذه النَّزعة(أي الوضعِية المنطِقية)، نَقْداً حَوْل تِلك المُقاربة المَنْطقية التي أقامَها هذا الأخير، حَوْل تَرْجَمة القَضايا المُراد تَحليلها، إلى لُغة أخرى، أي لُغة رَمزية لِتَجَلي بِنْيَتِها المنطقية، وعلى هذا الأساس يتِّمُ الحُكْم عَلَيْها بِمنطِقِيَتِها أوّلاً. لقد مارَسَ «كارناب» هَذا التَّحليل عَلى عِبارة « العَدَم يَعْدِم›› لِلفَيلَسوف «مارتن هيدغر»، فتَوَصَّلَ إلى تِبيانِ اسْتِحالَةَ تَرْجَمَتِها إلى لُغة مَنْطِقية مَعْقولة، لِيَحكُمَ علَيْها بأنّها خالِية مِنَ المَعنى، وأرْجَعَ ذَلِك إلى سُوء استِخْدام لِمَنْطق اللُغة، وهذا في رأيِهِ هُو حَال الميتافيزيقا عُموماً.

هذا ما جَعَل الفيلسوف الأمريكي «ويلارد كواين››، يَنْقُد هذه الطَريقة في تَعامُلِها مَع القَضايا، وذلِك من خلال حَديثِهِ عَنِ «التَّرْجَمَة الجِذْرية». فالتَّحليل المنطقي يَدَّعِي أنَّه يُترجِم عِبارات اللُّغة العادية، إلى لُغة مَنْطقية مَضبوطة، وهذا بالنِسْبة إليهِ، تَرْجمة مِن لُغة مَعْروفَة إلى لُغة أخرى مَجهولة لَنا تَماماً، الأمر الذي جَعَلَهُ أي «كواين». يكشِفُ عَلَى أنّهُ لاَ يُوجَد طَريق واحِد صَحيح لِتحديد التَّرجمة لِهَذه اللُّغة المَجْهولة، وهذا ما يُدْعَى «عَدَم تَحْديد التَّرْجَمة››،

(1) ويلارد، فان، أورمان كواين، مِن وجهة نظر منطِقِية، تِسْع مقالات منطِقِية وفلسفية، المَصدر السابق، مقدِّمة المُترجم، ص، ص، 08،09.

(2) ماهر عبد القادر، محمد علي، التّطَوُر المُعاصِر لِنظَرِية المنطِق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د(ط)، 1988، ص، 57.

(3) المرجع نفسه، ص، 69.

كَما لاَ يُوجَد طَريق واحِد لِتَحديد ما الأشياء وما الخَصائِص التي يَرْجِع إلَيْهاَ المُصْطَلح الذّي تَرْجَمْناه.

لتأكيد وِجهة نَظَرِهِ هذه، يَضْرِب «كواين» مِثالاً، إذ يَتَخيّل عَالِماً يُحاوِل تَرْجَمة لُغة قَبَلِيَة إلى لُغة مُجتمع مُتحضِّر، إذ يَسْمَع فرداً مِن أفرادِها ينطِقُ بالصّوت الآتي» غافاغاي» عِند مُرور «أرْنَب» أمامه، فَهَل هذه الكلِمة تَعْني بِالضَّرورة « ها هُو الأرنَب»، ألاَ يُمكِن أنْ تُشير إلى جُزءٍ مِن «الأَرنب». هُناك احتمالات كثيرة. وهُنا يَتَحقَّق ما يُسّميه « إبْهاَم المَرْجَع»، لِهذا رفَضَ «كواين» أنّ يَكُونَ للُّغة صُورة مَنْطِقِية، نَكْتَشِفُها بِمُجرّد الرُجوع إلى المَنطق الرَمزي.

بالإضافة إلى ذلِك رفَضَ «كواين» التَّمييز بَيْن القَضايا التَّركيبية، والقضايا التَّحليلية، اللَّتَين تُشكِّلان عَموداً آخر تَقُومُ عَليه الفلسفة الوَضعِية المنطقية، حَيْث يَظْهَرُ مُنْذُ البِدايَة مَوْقِف «كواين» النَّقدي حَوْلَ النَّزْعة التَّجريبية، إذ يقول:« تَشَكَّلت النّزعة التّجريبية المُعاصِرة، في جُزءٍ كَبير مِنها، اعتمادا على مُعْتَقَدَيْن ، الأوّل هو الاعتقاد في انْفِصال جَوْهري بَيْنَ الحقائق التَّحليلية، المُؤَسّسة على دَلالات مُستقلة عَن الوقائع، وبَيْنَ الحَقائِق التَّركيبية، أو المَبْنِية عَنِ الواقِع. والثاني هو النزعة الاختزالية: أي الاعتقاد بأنّ أيّ عبارة دالّة تتكافأ مع بناء منطقي يتكوّن من حدود تُحيل على التَّجْرِبَة المُباشرة. كِلاَ المُعتقدَين، كما سأبيّن ذلِك، يَقُومَان على أساس واهٍ. كما أنّ إحدى نَتائج التَخّلي عَنْهُما هِي كَما سَنَرى ذلك، غُموض الحُدود المُفْتَرَضة بَيْنَ الميتافيزيقا التَأمُلية والعِلْم الطَبيعي، والنَتيجة الثَّانية هِي تَحَوُّل المَوقِف اتّجاه النَّزعة النَّفعية»[1].

تعْتَبِرُ التَّجريبية المَنطقية القضايا التَّحليلية صادقةً انطِلاقاً مِن معنى ألفاظِها، أمّا صِدق القَضِية التَّرْكيبية فَيَنْتُج عَن مَعاني الأَلفاظ ومُطابقتها للعَالَم الخارِجي. لَكنّه كَشَف على أنّ صِدق القضِية مُعلّق على شَبَكة مِن الاعتقادات، بِذلك اسْتَنْتَج أنّهُ لاَ داعي لِتَصنيف القَضايا إلى تَّحليلية وأُخرى تَركيبية، ونتيجة لهذا الرّفض، نشأ هناك تصوُّر آخر مُضاد للذّرية، بالمعنى الذّي تَمَسّك بِهِ الوَضْعِيون، لأنّ المَعْنى في نَظَرِ «كواين» ليساً وَصْفاً لِمَجْموعة وقائِع وإنّما هُو فِكرة تَتَوَقَف على استخدامِنا للأَلْفاظ وعَلاقَتُهاَ بأفعالِنا وتَفاعُلَنا مع العالَم. وبِذَلِكَ أوْضَحَ «كواين» الجانِب السِلبي في «نَظرية المَعْنى» التي قالَت بِها الَوضعية المَنطقية.

هذا مِنْ جِهة الفكرة التي تحمِلُها التّحليلية عِنْد «كوايْن» وبالخصوص حول نظرِيَة المعنى، والتي صاغَها بِصورةٍ أكثَرَ عُمْقاً مِمّا قَدّمَتْهُ النّزعة الاختِزالية للتّجريبية المنطِقية. لِنَنْتَقِل إلى أهّمِ نُقطة، أثارها «كواين» والتي رَمَزَت للعُنصُر المُثير للجَدَل في النَّزعة التَّجريبية المنطِقية،

(1) ويلارد، فان، أورمان كواين، مِن وجهة نظر منطِقِية، المصدر السابق، ص، 49.

إنّها مسألة البّحْث عن المَقْصود بِنَظَرِية التَّحَقُّق مِن المَعنى، باعتِبارها كانَت تُمَثِّل الشِعار الأساسي للنَّزعة التّجريبية؟ لهذا رأى «كواين» ضَرُورة البَّحث خَلْفَ وِجْهَة نَظَر التَّجريبانية المَنطِقِية بُغْيَة إيجاد حُلول مُمْكِنَة لِمُشكِلة المَعْنى والمَشاكِل المُرْتَبِطة بِها.

يرى «كواين» أنَّ نظَرِية التَّحَقُّق مِن المعنى، التّي تَتَخَلَّل الأدَبِيات مُنْذُ «بيرس» .CH. S Pierce، بأنّ معنى العِبارَة هُوَ المَنْهَجُ التَّجريبي لِتأكيد أو رَفْض العِبارة. ولاَ يُسْتَثْنى مِن هذِهِ الطَرِيقة بأَيِّ حالٍ مِنَ الأحوال سِوى العِبارة التَّحليلِية.-[1]معنى ذلِك القَّوْل، أنَّ نظرِية التَّحَقُّق ترى أنَّ العِبارات لاَ تَكون مُترادِفة، إلاَّ إذا تماثَلَت مِن حَيْث المَنْهَج التَّجْريبي للتأكيد أو الإبطال كما يقول «كواين». إذن مسألة الترادُف[2] والتّحليلية[3]، مسألتين حاسِمَتَيْن تُرَكِّز عَلَيْهِما نَّظرية التَّحقُّق مِنَ المَعْنى عِنده (أي عِنْدَ «كواين»)، كما أنَّ صِيانة فِكرة التَّحلِيليَة، عِنْدَما يَصيرُ مِنَ المُمْكِن قُبول نظرية التَّحَقُّق كتَصَوُّر مُلائِم لِترادُف العِبارات.

انطِلاقاً مِن هذا المبدأ الذي آمَنَ بِهِ «كواين»، فقد خَصَّصَ بالبَّحث، مقالَةً حول «مُعْتَقَد النَّزعة التَّجريبية»، و- التي اعتُبِرَت مِن أشهَرِ المقالات وأكثَرُها أهَمِيّةً في القرن العِشرين. إذ تَمَكّنَ مِن إبطال التَميز بين التَّحْليلي والتركيبي، وبالتالي هَدْم نظَرِية التَّجريبية المنطِقِية في المعرِفة، مُعْتَمِداً مِثال ((لا واحِدَ مِنَ العُزّاب مُتَزَوِج)) لِيُبَيِّن أنَّ الرَوائِز التي تقومُ عَلَيْها التَّحْليلية، خاصّة القابِلَة للتَبادُل والحِفاظ على الصِدق، ليست فَعّالَة بِشَكْلٍ مُطلَق: يُمكِن استِبدال((غَيْر مُتَزَوِج)) بِـ((عازِب)) كَمُرادِف لها. مِمّا يُسْقِطُنا في مُشْكِل التَرادُف الدّلالِي وكذا مُشْكِل الدّلالَة، وبالتالي مبدأ القابِلِيَة للتَبادُل أو الإنابة مَعَ الحِفاظ على الصِدْق المَنْطِقي.-[4]

ما يراه «كواين» هُنا، أنَّ العِبارات التّحلِيلِية المُستَنِدة إلى مبدأ القابِلِية للتبادُل عَديمة الوُجود. وفي مُقابِل ذَلِك ومِن وِجهَة نَظَر «كواين» نفسُهُ، فإنّ النزعة التَّجريبية المنطِقِية كانت تقوم على فِكْرة الاخْتِزالِية المُتَطَرِفة، والتي كانَت تَنْطَلِقُ مِن فِكرة إمكانِية اختِزال كُلّ العِبارات الدّالَة إلى عِبارات بسيطة ترتَبِطُ مُباشرةً بالتّجرِبة الحِسّية المُباشِرة. هذا ما أطلَقَ عَلَيْهِ هؤلاء اسم «عِبارات البْروتوكول»مِمّا يسمَحُ بالتَّحقُّق مِن دلالَتِها وبالتالي عِلْمِيَتِها أو العَكْس، ومِن جِهَةٍ أُخرى على عِبارات تَحْصِيلِية (عِبارات الرِياضِيات والمنطِق الكلاسيكي عُموماً) لا يحتاجُ تأكيد صِدْقَها أو كَذِبها إلى التَّجربة، بَل فقط إلى التكافُؤ أو الهُوِيّة بَيْنَ حُدودها، مِمّا يَجْعَلُها

(1) ويلارد، فان، أورمان كواين، المصدر السابق، ص، 65.

(2) المَقْصود بِهِ عِنْدَ "كواين" الترادُف المعرِفي بِالعِبارات، وليس بِعُموم الصِيَغ اللُغَوِية، ولَكِن حسبه يُمكِن اشْتِقاق مفهوم ترادُف باقي الصِيَغ اللُغَوِية مِنْ مفهوم ترادُف العِبارات، وذلك باعتِماد الحُدود بدَلَ العِبارات كَوَحدات.

(3) العِبارة يُمكِن أن تُنْعَتَ بالتَّحليلِيَة، متى كانَت مُرادِفة لِعِبارة صادِقَة منطِقِياً، فالتّحليلِية عِنْدَ "كواين"ــ تُعَرَّف باعْتِماد الترادُف المَعْرِفي بين العِبارات والصِّدق المَنْطِقي فقَط .

(4) «ويلارد فان أورمان كواين»، المصدر السابق، مُقَدِّمة المُترجِم، ص،10.

حقائِق منطِقِية غيْر قابِلَةٍ للإبطال ـ[1] وما قامَ بِهِ «كواين» كَرَدَّة فِعْلٍ على ذَلِك، هُوَ اعتِمادِهِ تِبْيان عَدَم تحليلية بعض عِبارات البروتوكول، كما سعى إلى البرهنة على عَدم يقينِية عَمَلِية الاختِزال هذه، والتي كانت تهدِفُ عِند التَّجريبيون المناطِقة إلى تسهيل عَمَلِية التَّحقُّق وتأسيس العِلْم على مُعْطيات التَّجربة المُباشِرة. كما رَفَضَ «كواين» فِكْرَة أن يَتِّمَ اختِبار عِبارات العِلْم الطبيعي أو التَّجْريبي بشَكْلٍ فَرْدي، بل أن تَتِّمَ بِشَكْلٍ جماعي مُتماسِك.

يرْفُضُ «كواين» فِكرة إمكانِية القُدْرَة عَلَى التَّمْييز المُسْبَق بَيْن القضايا أو العِبارات الفاسِدة مِن الصَحيحة (أي عَدَم إمكانية معرِفَة أيُّ العِبارات العِلْمِية يَجِبُ تركها وإبطالها بِشَكْلٍ مُسْبَق). فَفِي نَظَر «كواين» كُلّ العِبارات قابِلَةٌ للتّصحيح مِن حيث المبدأ، وما اعتِقاداتُنا الجازِمة بِوُجود بعض العِبارات البديهِية يُضيف «كواين» مُحَلِّلاً ليست إلاّ نتيجة لِجَهْلِنا المُؤَقَّت بالشروط التي ستُؤَدّي إلى تركِها.

يُؤَكِّدُ «كواين» على وُجود مُعتَقَديْن مُسَيْطِرَيْن على النَّزعة التّجريبية، هُما «التَّمْييز بَيْن التّحليلية والتّركيبية» مِن جِهَةٍ و«الاختِزالِية» مِنْ جِهَةٍ أخرى، وهذين المُعْتَقَدَيْنِ هُما ما حاوَل هذا الأخير أن يتجاوزُهُما بالرّفض. لِذلِك وفي هذا الغَرَض بالذّات، عَمِلَ على ابتِكار جِهازاً مفاهيمِياً مُتَّسِقاً منطِقِياً، وأهّم تِلْك المفاهيم كما يقول «كواين»:

أ. امتِناع تحديد التَّرْجمة: هُنا يُبَرْهِن «كواين» على - استِحالة وَضْع التَكافُؤ الدلالي بَيْنَ العَديد مِن العِبارات المُختلِفة سواءاً داخِلَ المنظومة اللُغَوِية الواحِدة أو بَيْنَ لُغَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْن بالخُصُوص، مِن خِلال افتِراض أو اصطِناع تجرِبَة المُعْجَمي أو اللُغَوي الذي يسعى إلى ترجَمة لُغَةٍ غَريبَةً عَنْهُ، بِدائِية مثلاً، إلى لُغَتِهِ الخاصَّة مِن دون أنْ يتَوَفَّر على سِجِّل للترجَمَةِ أو مُرْشِد، ويتساءَل عَن كيْفِيَة وَضْعِهِ للتقابُلات بَيْنَ الحُدود والأَلْفاظ، وبَيْنَ العِبارات، وبَيْنَ الروابِط المنطِقِية مِن اللُغَتَيْن.-[2] وما دامَ أَنَّ هذا النَّمَط مِن التَّرجمة يَقْتَضي وُجود نَوع مِن التكافُؤ الدلالي بَيْنَ تَرْكيبة اللُغَتَين(المَنْقول عَنْها والمَنْقولَةِ إليهِ)، فإنّ النَّقد الذي مارَسَهُ «كواين» على التّرجمة، هُوَ إشارة إلى انتِقادِهِ الغَيْرُ مُباشِر إلى الدلالة، والتي شَكّلت أساس التَصَوُّر الوَضْعي لِمِعْيار التَّحَقُّق، خاصّةً مع رودولف كارناب. عِلّة ذلِك في نظر «كواين» أنّ اختِبار سِجِّل الترجمة لا يَتَوَقَف على الوقائِع ، بَل على خُطاطَتِنا المَفْهُومِية التي اكتَسَبْناها عَبْرَ تَعَلُّم اللُّغة. لِذا عِنْدَما نُتَرْجِم فإنّنا نُسْقِطُ منطِقَ لُغَتِنا ومقولاتِها ومَعيشِنا على اللُغَة المُترجمة.-[3] وهُنا ونِتاج اندِماج مقولات لُغَتِنا في لُغة الآخر، فإنَّهُ تَسْقُطُ الصلاحِيَة المَنْطِقِية لِمِعْيار التَّحَقُّق مِن مَدى صِحّة التّرجمة. فكواين

(1) «ويلارد فان أورمان كواين»، المصدر نفسه، مُقَدِّمة المُتَرْجِم، ص، 10، 11.
(2) المصدر نفسُهُ، مُقدِّمة المُترجِم، ص، 11.
(3) W.V.O. Quine, From a Logical Point of view, (1953). Chap.03. P. 63.

وفي هذا السِياق، يَرفُض فِكرة وُجود تَرْجمة جِذْرِية إلاّ في حُدود ما أسماه الفَرَضِيات التّحليلية.

ب. امتِناع تمحيص الدلالة (أسطورة الدلالة): السُؤال الأساسي هُنا يتمَحْوَرُ حَوْلَ موقِف «كواين» مِنْ مَسألة علاقة الإحالَة بالدلالة، وعن إمكانِية التَّحَقُق أو اختِبار نَظَرِيّة أو قَول مِن الداخِل بُغْيَة التَّعَرُف على مواضيعِهِ. وكذلِك عن وَضْعِ الواقِع العَيْني.

إنّ الإحالة في عُرْفِ الوَضعيين المناطِقة، أو النّزعة التّجريبية المنطِقِية، مُرتَبِطة بالتّحَقُق التَّجْريبي، أي الرَّبْط بَيْن العِبارات العِلْمِية لِنَظرية ما، والتَّجربة المُباشِرة أو المُعْطى الحِسّي. غيْرَ أنَّ «كواين» يَعْتَبِرُ المُعْطى الحِسّي مُجَرَّدَ أُسطورَة، لأنّ الأمْر يتَعَلَق بِالمَواضيع ولَيْسَ بالأَحاسيس ـ[1] فالإحالة إلى المواضيع تَتَغَيَّر بالتَناسُب مَعَ تَطَوُّر اللُّغة. وبِذلِك فإنّها لن تصيرَ مِعْياراً للتَّحَقُق، بل وفي مَنْظورِ «كواين» مُجَرّد أسطورة.

لِيَبْقى أهّم قرارٍ اتّخَذَهُ «كواين»، مُنَدِّداً مِن خِلالِهِ على الموقِف التجريباني – المنطِقي، هُوَ قوْلُهُ بِصعوبة البّحث، بل تَعَذُّر البّحث عَن وُجود فصل بَيْنَ العِبارات التَّرْكيبية، التي يجوز أن تنطَبِق على التّجربة، وبيْنَ العِبارات التَّحْليلية، التي تَّصْدُقُ في كُلّ الأحوال، لأنَّ أيّ عِبارة يُمكِن أن تكون صادِقة في كُلّ الأحوال إذا نَحْنُ قُمْنا بِتعديلات جِذْرِية كافِيَة في أيّ مَوْضِع آخر مِن النَسَق. ومِن ثَمّة قد تصْدُقُ حتّى العِبارة أكثر مُحاذاة للمُحيط، والتّي تَتَصادَم مَعَ التَّجْرِبة، إذا ادّعَيْنا الهَلْوَسة، أو قُمْنا بِتَعْديل بَعض العِبارات مِن جِنْس القوانين المنطِقِية.[2]

حوصَلَة القول، أنَّ «كواين» يرى أنَّ راهِنِية الفلسفة، تَتَطلّب مُعالجة قَضَاياها مِن خِلال اللُّغة، باعتِماد الارتِقاء الدلالي مِنَ المادّي إلى الصّوري، ومِنْهُ يَصيرُ لِزاماً على الفيلسوف كَمَا عَلى الفيزيائي أن يُوَضِّح قضاياه عَن طريق إعادة بِناء خِطابِهِ. لَكِّن يَجِب أن يُسَلِّمَ بِعَدَم وُجود أيّ إمكانِية لِبِناء لُغَة صورِية نموذجِيَة، طالَما أنَّ المنطِق لا يأتي بِشَيْءٍ جَديد لا يوجد في اللُّغة الطبيعِية، ومِن ثمّة - حسب «كوايْن» – أن نَعْمَلَ ضِمْن لُغَتِنا، أي خُطاطَتِنا المَفْهومِية، ونسعى إلى تحسينِها لِبُلوغ مَقاصِدِنا الابستيمولُوجِية والعِلْمِيَة.[3]

هذا الطَّرْح الذي اقترحَهُ «كواين»و الذي يَعْتَبِرُ لُغة المُلاحَظة غَنِيَّة في الجُمَل التَّحليلِية ومعناها أوسع بِكثير مِن صِدق (ق) أو ما يُسَّميه هُوَ بالصِّدق المنطقي، والذّي مِنْ خِلالِهِ لا يُمكِنُنا أن نَنْعَتَ هَذه الجُمَل (أي التَّحليلية) بالصِّدق أوِ الكَذِب، إلاَّ إذا فَهِمْنا مَعانِي الحُدود الواقِعِية والمَنْطِقِية معاً، لا تُقِرُ بِهِ» التّجريبية المنطِقِية» والتي اختَزَلَت اللُغة العِلْمِية في اللُّغة

(1) W.V.O. Quine, LE MOT ET LA CHOSE, op. Cit. P. 41.

(2) ويلارد، فان، أورمان كواين، مِن وجهة نظر منطِقِية، المصدر السابق، ص، 71.

(3) ويلارد، فان، أورمان كواين، المصدر نفسه، ص، 18.

الفيزيائِية، والتي هِيَ لُغة صورِية محضّة، صالِحة لأَن تَكونَ نموذَجاً لباقي اللُّغات العِلْمِية الأخرى. وهذا أيضاً بُعْد آخَر مِن أبْعاد التَجاوُز التّي أسّسَ لَها «كواين»، مُلّمِحا بِذَلِك إلى بَعْضٍ وُجهات النُّقْص التي مَيّزَت الفلسفة التّجريبية المنطِقِية.

3. «تّحليل القضَايا كَموضوع للمُساءَلة في الفلسفة التَّجريبِية المَنطقية»:

1.3 القضايا العامّة كموضوع نّقْد للتَّجريبية المنطقية :

ابتداءاً من سنة 1937 م، كانَت تَشْهَدُ الوَضْعِية المَنطقية انتشاراً واسِعاً في مختلف دُول أمريكا وأوروبا الغَرْبِية والشَّرْقِية، وحتّى في بَعض البُلدان العَرَبِية وأهّمُها مِصْر. حيث خَرجَت مِن دائرتها الضَيّقة، لتَنْتَقِل مِن جوّها المَدرسِي المُختزل في «حَلقة فيينّا»، وفي مَدْرَسَتَيّ: «أكسفورد» و«لُنْدُن»، حيث ضَمّت أَلْمَعَ الشَّخصِيات العِلمِية والفلسفية. في هذا الوقت بالذّات، بَرَزت إلى الساحَةِ الفِكرِية، شَخْصِية عِلْمِية وفلسفِية، اهتّمت بهذا التُراث الذّي خَلّفته جماعة فيينّا، والذي برَزَ مع التيّار الوضعِي المنطِقي، إنّهُ صاحِب كتاب: «المنهج العِلْمِي ScientificMéthod «: «ريتشى». لَقَد كانَ هذا الأخير يُدرّسُ بجامعة أدنبرة، في «اسكُوتْلَنْدا « في تِلْك الفترة، وكَانَ يمْلِكُ مِن الثَّقافة العِلْمِية والرِياضِية، ما كان يُمَكّنُهُ مِن الإدراك لنُصوصِهِم، والفّهم لِمقاصِدِهِم، بحيث صار النّقد لهُم، أمراً يسيراً. إذن، إدراكه لِما ألّفه الوَضعيون المناطقة في الحقل الرياضي والمنطقي واللذّان أدمَجوهُما في الحَقل اللُغَوي بالدّرجة الأولى، كان الحافز الأكبر- بالنِسبة إليه- للمُمَارسة النّقدية لمبادِئِهِم ومنهجِيَتِهِم في التَّحليل.

انطَلِق «ريتشى» في نَقْده هذا مِن ملاحظة سجَّلها، وهو يتابِع نشاط الحركة الوضعية المنطِقِية، إذ كان يرى - أنّ الوضعيين أنفسهم، قد نَصّبوا أنفسهم نُقّاداً هَدّامين للفلسفات التقليدية. إلاَّ أنّهُم بِحسَبِهِ قد بالغوا في ذلِك، مبالغة شديدة، رُغْم أنّهُم أفادوا الفكر الإنساني كثيراً حينما خلّصوه مِن الكثير من النظريات العابثة والطُفيلية.[1]- وقد كان الكِتاب الذي ألّفه «ألفريد آير» سنة 1936 والموسوم بِـ « اللُّغة والصِّدق والمنطق» بِمثابة المُحرّك الأساسي لِكِتابة هذا البّحث الذي قام به «ريتشى» حول نَّقد الوضعية المنطقية. ولكن رغم ذلِك لم يُغامِر «ريشتى»، بل ركَزّ في انتقاداتِهِ لِما كان مُتَحَكّماً فيه، إذ آثر القِيام بنّقد القضايا العامّة في مذهب الوَضعِية المنطِقِية، وتطبيقاتِها على نَظَرية العُلوم.

يقول «ريتشى» مُعلّقاً عن كتاب «آير» السابق الذِّكر - أنّه يكفي لتصوير كلّ الأفكار المتعلقة بموضوع النِّقاش، فإذا كان «آير» قد نَجَح في تقديم ادِّعاءاتِه النّظرية بِوُضوح، فقد ثبُت خَطأ تِلْك الإدّعاءات بنفس الوُضوح، ولم يَعُد من المُستغرب أن تَكون النتائِج المُستَقاة مِن هذه الإدّعاءات الأوّلية خاطئة أيضاً. ولَمّا كان«ريتشى» مِن رِجال العِلْم، فقد آثر أنْ يَكْتفي، بِنَقْدِ القَضايا العامّة في مذهب الوضعِية المنطقية وتَطْبيقِها على نَظَرِيّة العلوم. كما يَعْتقِد «ريتشى»، على أنَّ« آير» قد وَضَع نَفسَهُ في صُعوبةٍ كبيرة حينما يؤكِّد على مذهبِهِ

(1) عبد الفتّاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، مطابِع الهيئة الرسمِية العامّة للكِتاب، الاسكندرية، مصر، ط2، 1985، ص، 276.

في التحقُّق[1]. فَحَسَب «آير» بالخُصوص والوَضْعِيين المناطقة على العُموم، فإنّ القضايا لا تَعْدوا أن تَخْرُج على ثلاثة تصنيفات أو طوائِف:

- الطائِفَة الأُولى: هي القضايا التي تُقَرِّر شيئاً عن عَالَم الواقِع، أو عن الأحداث في الخارج، بحيث يُمْكِن تَحقيقها بالتّجربة.
- الطائفة الثَّانية: قضايا تحصيل الحاصِل، وهِي ما أُطلق عليه اسم القضايا التّحليلية. بمعنى أنّه يستحيل تقَرير نَقيضها. فهِي لاَ تُقَرِّر شَيْئاً عَنِ الواقِع، وتُمثِّل هذا النّوع مِن القضايا، القضايا الرِياضِية. وتدّعي الوَضْعية المَنْطقية أنَّ كُلّ قضايا الفلسفة، ينبغي أن تكون من هذا القبيل. وسَبَب ذلك أنّ وظيفة الفلسفة هي القِيام بِتَحليل مِثْل هذه الأحكام السائدة في الفِكر الرياضي.

وأخيراً ومَتَى استَثْنَينا الطائفتين: الأولى والثّانية فإنّنا سنكون أمام الطائفة الثالثة فهِي القضايا الميتافيزيقية، الخالية من المعنى.

يناقِشُ «ريتشى» هذا التّصنيف الذي قدّمه «آير» للقَضايا، ويُعلِن عن موقِفِه النَّقدي له، إذ يقول عَن الفِئة الثانية، أي «قضايا تحصيل الحاصِل» - أنّه قد يكون شيئاً بسيطاً ما يبدو مِن الخَلل في استخدام كلمة تحصيل حاصِل، ولكنّه استخدام زائِف، ولا بُدّ من توضيحِهِ. ذلك أنّ تحصيل الحاصِل معناه أن يكون ثمّة تعادُل في الهُوّيات، بل يجب أن يكون ذلك هو معناه مثل: (2=) أو (الشُغْلُ شُغْلٌ) وبالتَّالي فَلاَ يَهُمُّ في مِثْل هذه العِبارات المَعنى، بَلْ الذّي يَهُم في هَذه الوَضْعِية هو كَوْن الأَمْر يتعلّق بالعَدَد وَحْدَه، وهو الذّي يَهُمّنا في حَدّ ذاتِهِ، أمّا الصِفات فلاَ تَهُم، فكَأنْ أَقُول مثلاً « خَروفان وبَقَرتان يُكَوّنَان أرْبَعة» فهذا من النّاحية الصُّورية صَحيح، لأنّ الصِّدق يَتَعَلَّق بالعَدَد ولا تَهُم مُواصفات تِلْك الحُدُود المُشَكِّلة للقَضِيَّة-[2].

إذن وحسَب «ريتشى» فإنَّ هُناك حقيقة مَشْهُورَة مَفادُها أنَّ «كلَّ لُغةٍ تَمْتَلِكُ بعض الأَلفاظ والعِبارات، لا يُمكِن تَرْجَمَتُها إلى لُغَةٍ أجنَبِية»، فَكلُّ رُموز وكُلّ لُغَةٍ ذات أرضِية مُغايِرة، لأرضِية سِواها. فتاريخ وتقاليد كلّ شَعْبٍ هِي التي تُحدِّدُ الطابِع العام لِلُغَتِهِ، وتَسْبَغُ كُلّ رُموزِها،عكس ما رأتْهُ «الوضعية المنطقية» وبعض الاتجاهات المؤيّدة لها، والتي تَضَعُ ذلِك التَّصنيف في مَصَّف اللُّغات العاطِفِية أو الشعورية فقط، ولا ينطَبِقُ على اللُّغات العِلْمِية المشروعة والمعروفة. هذِهِ الإثارة لِلُغة العواطِف والوِجدان والتي قَدَّمَتْها تِلْك التَّيارات الفِكرِية المُشار إليها، والتّي تُحاوِل بل تُؤَكِّد على لا شَرْعِيتِها، يرفُضها «ريتشى» مُتسائِلاً: - كيف أو لِماذا نَزْعَم

(1) عبد الفتّاح، الديدي، المرجع السابق، ص، 277.
(2) عبد الفتّاح الديدي، المرجع السابق ، (بتَصَرُف)، ص،ص، 278، 279.

أنّ التعبير أو إثارة العواطِف هُوَ بالضَرورةِ غير مشروع ولا يتَّفِقُ الاستِخْدام العِلْمي للُّغة؟ إذ يُؤَكِّدُ هُوَ بِدورِهِ عَلى أنَّ التَعْبير وإثارة العواطِف هُوَ أحَد الوظائِف الأساسِية الهامَّة لِكُلِّ تداوُل لُغَوي بيْنَ النّاس، ولَوْ كانوا رِياضِيين أو مَناطِقَة.-[1]

فحتّىَ اللُّغة التي تَنْطَلِق مِن العاطِفة، هِي إلى حَدٍّ كبيرٍ عامِل مِن عوامِل تحقيق المعنى، كما أنّها تَخْضَعُ لِمنطِق الواقِع، شأنُها شأن اللغات العِلْمِية. فالقَضِية المُعبّرة عَن العاطِفة تكون صادِقة، حينَما تكون مُلابِسة لِمُجريات أو مُعطيات الوقائِع، وتكون عَكْسَ ذَلِك أي خاطِئة أو مُظلِّلة حينما تَتَجاوَز ذلِك (أي لا تُلابِسُ الوقائِع).

إنّ الوضعِيون المناطِقة يَتَعامَلُون مَعَ اللُغَة الرِياضِية، باعْتِبارِها تِلْك الحالَة النَّموذَجِية، والتّي تَكون رُموزها مُفْرَغَة مِنْ كُلّ مُحتوى مادِّي، حيث يُتيحُ هذا التَّصَوُر بالنِسبة لَهُم (أي الوضعيون المناطِقَة)، إمكانِية استِبدال الحُدود بِغَيْرِها دون الوُقوع في أيّ خَطَأ إطلاقاً. وهذهِ ميزة اللُّغة الرِياضِية في جَوْهَرِها عِندَهُم. فبالنِّسبة لريتشى، هذا الاهتمام باللُّغة الرِياضية، لم يتَجَسّد بالمعنى الذي أخذتْهُ هذه اللغة عِندَهُم(إفراغ رموزها من كلّ محتوى مادّي)، فمِعيار الصِّدق عِندهُم هو المُطابقة للواقِع، إذ حسب زعْمِ أبرز مُمَثِّليها «ألفريد آير»، فإنّ القضية الصادقة أو الصحيحة، هِيَ التّي تُقَرِّرُ شيئاً عَنِ الواقِع، إذ المُعْطيات الحِسّية التي تُقَرِّرُهاَ تَخْضَع فِعْلاً للتّجرِبة وفي ظروف مُعَيّنة. وأكبر خَطَأ وقعت فيه الوضعِية المنطِقية، كان في نظرِيتِهِم حول القضايا، أين استَلْهَموا مبادِئ الرياضة في النَّسْجِ على مِنوالِهِم.

مِن زاوِية أخرى، وعلى المُستوى الإجرائي، لم يحدُث إطلاقاً - كما يَرى «عبد الفتّاح الديدي» في كِتابِهِ «الاتجاهات المُعاصِرة في الفلسفة»- أنّ أحداً(وَهُوَ يَقْصِد واحِداً مِن مُمَثِّلي الاتِّجاه الوَضْعي المنطِقي والذّين نَادوا بِمَبدأ التّحقق التّجريبي) قامَ بِتَحويل قضِيّة عِلْمِية إلى قضايا تُشيرُ إلى المُعْطيات القائِمة بالفِعْل أو المُمْكِنة الوُقوع بالفِعل أو إلى مَضْمون التَّجربة الحِسّية، حيث اعتادَ الوضعِيون أنْ يُخْفُوا فَشَلهُم وراء عِبارات شائِعَة استعملوه في خِطاباتِهِم، وظَلّت مُبْهَمَةً بِدون شَرْحٍ مِثْل: « الشُّروط»، « سبب البِناء المَنْطِقي»، « المُلاحَظ شخْصِياً». فإمكانِية التَّحَقُق التَّجريبي، أو البِناء المنطِقي، لَم نَشْهَدُها –يُضيف عبد الفتّاح الديدي قائِلاً- كحالة إجرائِية في مُمارسة الخِطاب الفلسفي والعِلْمي لَدى التَّجْرِيبيين أو الوَضْعيين المناطِقة، إذ بقِيت مُجرّد أسْطُورة أو ضَرْب مِن الميتافيزيقا الفاسِدة.[2]وبالتّالي فالوَضعيون المناطِقة حتّى في مُحارَبَتِهِم للميتافيزيقا، لَم يستَغْنُوا عَنِ الميتافيزيقا في تَبرير مواقِفِهِم. فهل ارتقى العِلْمُ الطبيعي عِندَهُم إلى مُستوى الوَضعِية فِعْلاً؟

(1) المرجع نفسه، ص، 280.

(2) عبد الفتّاح الديدي، المرجع السابق، ص، ص، 284، 285.

لقَد أشار «هوايتهيد» في مُؤلَّفٍ لَهُ بِعُنوان: « مُخَاطَرات الأفْكار» إلى أنَّ العِلْم الطَبيعي لَم يَكُن وَضْعِياً تماماً كما صَوّرَهُ لنا المُختَصّون، فلَوْ كانَ الباحِثون في مجالِهِ وَضْعِيون، لَمَا أَتَمُّوا ما قامُوا باسْتِكمالِهِ مِنَ الاكتِشافات. فالعِلْمُ قد قامَ أساساً على اعتِقاد شِبْهُ ميتافيزيقي، بِوُجود عَمَلِيات سَبَبْية تَتَفاعَل في العالَم الطبيعي دون أن تَتَكَوَّن بِأَكْمَلِها مِنْ مُعْطَيات حِسّيّة. ويُمكِن مِن ثَمَّ أن نَقول (أولاً) أنّ المُعْطيات الحِسّية المُمْكِنة هِي لا شيء إذا لَم تَتَوافَر وسائِلُ تحويلِها إلى مُعْطيات فِعْلِية. (ثانِيا) كَي يَملأَ الوضعِيون العالَم الذي خَلَقوه أرادوا استِخلاص أبْنِيَة وأشكال منطِقِية مِنَ المُعْطيات الحِسّية ولكِن ليسَت هذه نَفسُها مُعْطيات. فالوضعِيون المناطِقة لا يأتون بِجديد حين يَتَوَسَّمون الخَطأ في كُلّ شيء، ولكنّهُم يَفْشِلون حَقّاً، حين يُهْمِلُون ما هُوَ صَحيح[1].

هذا الموقِف يسانِدُه «ريتشى» حينَما يُؤَكّد على أنّ خَطأ الوَضعية المَنطِقِية ناشِئ مِن بِناء أفكارِهِم على سُوء فَهْمٍ لِطبيعة البَّحْث العِلْمي. أضِف إلى ذلِك ارتِباطَهُم بِنظَرِيات الفَلْسَفَات الفينومينالِية(الظواهِراتِية).

2.3. الحُدُود والقَضَايا والوَ اقِع دِراسة نَقْدِية في الفلسفة التَّجريبية المنطِقِية ــ

تُعْتَبر «الواقِعِية الجديدة» أهّم أشكال فَلسَفة العِلْم الوَضعِيَة في ثَوْبِها الجديد (الوضعِية المنطِقِية الجديدة)، حيث رَبَطت هذه الفلسفة «الواقِعِية» الفَلْسَفِية بِبَعْضِ نتائِج المَنْطِق الرِياضي الحديث، إذ واصَل «برتراند رسل»(1872 -1970) و«ألفريد وايتهيد»(1861 – 1947) عَمَل «فريجَه (1925 -1848)G. Frege، وساهَمَ مُساهَمةً هامّة في تطوير المنطِق الحديث، وعالَجَا في نفسِ الوقت مسائل فلسفة العِلْم على أساس الواقِعِية الجديدة ـ[2]

إلاَّ أنَّ هذا الفَهْم للواقِع والواقِعِية عِندَ الوضعيين المناطِقة، وبهذا الشّكل، يَدْفَعُنا إلى ضرورة الوُقوف عِنْدَ حُدود المَعنى الذي سِيقَت واستُعْمِلَت فيهِ هاتَيْن العِبارتَيْن «واقِع» و«واقِعِية»، وذلِك لِنَكْشِف عَن بعض التناقُضات أو لِنَقُل التَجاوُزات في طَبيعة التَداوُل لِلعِبارتين المذكورتين آنِفاً، في الفَلسفة الوَضعِية أو التّجريبية المَنطِقِية. لِنَنْطَلِق في بَحْثِ ذلك، مِن الأساس العام الذي قامَت عليه هذه الفلسفة، وبِخُصوص هذا المَوْقِف المُثير للجدَل، يَرى الدكتور «يحيى هُوَيْدى» أنّهُ وانطِلاقاً مِن الفِكرة التي قرَّرها «اسبينوزا» بالنِّسْبة إلى الحَقيقة المنطِقِية وقولِهِ عَنْها إنّها ليست قائِمة في مُطابقة الفِّكر مَعَ الواقِع، بَل في تطابُق الفِّكر وانسِجامِهِ واتِّساقِهِ مَعَ نفْسِهِ، رَتَّبَ المناطِقة الذَّرِيون والوَضعِيون على هذه البِداية تِلْك

(1) انظر:المرجع نفسه ، ص، ص، 285، 286.

(2) الموسوعة الصغيرة، تصدرها دائرة الشؤون الثقافية والنّشر، رئيس التّحرير: موسى كريدي، سكرتير التّحرير: ماجد أسد، دار الحرية للطِباعة، بغداد، العراق، د(ط)، 1985م، ص، ص، 157، 158.

النتيجة التي ليس لها ما يُبَرِّرُها، والتي تقول بأنَّهُ لا علاقَة للدِراسات المنطِقية بالواقِع وبأنّها تُخاصِم الواقِع، عِلْما بِأنّنا رأيْنا– يُضيف «يحيى هُوَيْدى» قائِلاً- أنَّ «اسبينوزا» لم يَنْتهي إلى هذِه النتيجة، وقَرَّرَ على العَكْسِ مِن ذَلِك أنَّ الدِّراسات المنطِقية بالرُغم مِن أنّها مُستقِلّة عَمّا يَجْري في الواقِع، إلاَّ أنّها لاَ تَتَعارَض مَعَ حوادِث الواقِع ولا تُخاصِمُها. ـ[1]هذه القراءة الواعية للمَوقِف الإسْبينُوزي، هِي التي جَسّدَتْها النّزعة الوَضعِية أو التَّجريبية المَنطِقية في أتَّمِ صُوَرِها، إذ أنّها رأَت أنّ الحقيقة المَنْطِقية لا تَخْرُجُ عن إطارَيْن أساسِيين، شَكَّلاَ الفَهْم العَام لِمُصْطلَح «الحقيقة المنطِقية» في هذا الاتِّجاه الفلسفي. تَمثَّل الإطار الأَوَّل في «مُطابقة الفِكر لِنفسِهِ واستقلالِهِ التّام عَنِ الواقِع»، أمّا الإطار الثّاني فَيكْمُن عِنْدَهُم في مُفارَقَة مع الطّرح الأوّل مفادُها: « عدَم تعارُضِ الفِكْر مع هذا الواقِع في الآنِ نفسه». فَكَأنَّ الأمْرَ في جَوْهَرِهِ عِنْدَهُم قائِمٌ على عَدَم نَصْبِ العَداء للواقِع. ولَعَلّ أبرَزَ ما يُدَعِّمُ أطروحة «الوضعيين المناطِقة» هذه،هُو مبدأُهُم الأساسي الذين أطلَقوا عليهِ تسمِيَّة « التّحقيق التّجريبي» الذي يَنُّصُ على أنَّ المعنى يتَحَقّق حين تَكُون الفِكرة المؤدِيّة لَهُ مُطابِقة لِمُعْطيات الواقِع الحِسّي، إذ صِدق القَضِيّة[2] مُرتَبِط هذا هُو التأويل الذي يُقَدِّمُهُ كُلّ الذين يُناصِرون هذا الاتِّجاه. لَعَلَّ المَنْفَذ الرَئيسي والذي يُتيحُ لنا إمْكانِية الوُلوج إلى عالَم النّقد حَوْل فلسفة الوَضْعِية أو التَّجريبية المنطِقية هُنا، هُو التعامُل مع فَحْوى مَبْدَأ التّحقيق عِنْدَهُم. وما يساهِم في ذَلِك، مقولة لِموريس شليك، في أحد مقالاتِهِ والموسوم بِـ « المعنى والتّحقيق»، إذ يُصَرِّحُ في بِدايَتِهِ أنَّ ما يقصِدُهُ المناطِقة الوضعِيون بالتحقيق هُوَ مُجَرّد «إمكانِية التحقيق، وفارِقٌ كبير بَيْن الاثنين، فإنّ مَن يأخُذ نفسه بالتّحقيق، عَلَيْهِ أنْ يُراجِع ما تَضَمّنَتْهُ القَضِيَّة مِن أسماء وحُدود علَى مَا يُقابِلُها في عالَم الأشياء وعلى الوقائِع التي في الواقِع. أمّا مَنْ يَأْخُذ نفسه بالبَّحْث في إمكانِية التَّحقيق فلاَ يَقوم أبَداً بِهذه المراجعة. بل يَتَّجِه بِذِهْنِهِ ويَحْصُرُ تفكيره في عالَم المُمْكِن. وفَارِقٌ كَبير بَيْن «عالَمَ المُمْكِن» و«عالَم الواقِع» [3]

إذن وَ وِفْقَ هذا التَصْريح لِشليك، فإنّ الوَضعِيون المناطِقة يَقْصِدون بالتّحقيق، مُجَرَّد «إمكانِيَة التَّحقيق»، والإمكانِية عِنْدَهُ هِي الإمكانِية المنطِقية للواقِعِية(أي إمكانِية وَصْف الواقِعة في حدود أو جُمَل، وهذا ما يُعْرَفُ كما يقول «يحيى هويدى بالمَيْدان اللَّفْظي أو

(1) يحيى، هويدى، ما هو علم المنطق؟ دراسة نقدية للفلسفة الوضعية المنطقية، مكتبة النهضة المصرية لأصحابِها حسن محمد وأولاده، القاهرة، مصر، ط 1، 1966 م.

(2) المقصود هنا وعِنْد "الوضعيون المناطِقة"، ليس القضِيّة التّحليلية لأنّها تتعامَل مع قضايا "تحصيل حاصِل"، بل القَضِية التّركيبية لأنّها وحدها يُمكِن التَّحَقُّق مِنْها تجريبِياً. وفي هذا الصَدَد يتحَدَّث الفيلسوف "فتجنشتاين" عن القَضِيّة التّركيبية، فيقول عنها أنّها «صُورة للواقِع ».

(3) يحيى، هويدى، المرجع السابق، ص، ص، 32، 33. نقلاً عن:

Moritz Schlick, Meaning and Verification, The Philosophical Review, vol. 45, 1936.

النَّحوي) وليست الإمكانِية التَّجْريبِية أو الحِسّية، لأنّها تقوم على الظّن والاحْتِمال. يكشِفُ لنا «يحيى هويدى» في هذا المَقام، عَنْ حقيقة تكاد تَكون خَفِيّة بالنِّسبة للعَديد مِنَ الدارسين لطبيعة مَبْدأ إمكانِية التّحقيق عِند «الوضعيين المناطقة»، حيث يؤَكِّد لنا أنَّ هناك مجال واحِد ووَحيد يُصْبِحُ حَديثَنا عَنِ التَّحقيق في الواقِع لَهُ معنى عِنْدَهُم (أي الوضعيين المناطِقة). وهذا المجال هُوَ مجال الميتافيزيقا وعِلْم الأَخلاق وعِلْم الجَمَال. فالقَضايا التي تُناقِشُها هذه العُلوم بِأُمور لاَ تَجْري في الواقِع... ومِن ثَمَّ فإنّ القضايا التي تتَناوَل مِثْلَ هذه المشكلات ليست فقط قضايا خاطِئة أو كاذبة، بل هِي في رأي المناطِقة الوَضْعِيين فارِغة مِنَ المَعْنى، لأنّنا لا نَستطيع أن نَصِفَها بالصِّدق أو الكذِب.

مِن أجل مُهاجمة الميتافيزيقا إذن، قال هؤلاء بِمبدأ التحقيق، وهُنا فَقَط قَصَدوا بِهِ التّحقيق في الواقِع[1]. فكأنّ العَمَلِية مِن هذا المَنْظور، هِيَ عَمَلِية إيحاءٍ مارَسَها المناطِقة الوضعيون لِتَرْك الباحِث في هذا الميدان، يفهَم مِن هذا المبدأ، التّحقيق الفِعْلي في الواقِع، ولَكِن ما عدا تِلْك الميادين المعرِفِية السابِقة الذِّكر فإنَّ الأمر يَصيرُ مُتعلِّق بالقَوْلِ بالإمكانِية. هذا مِن جِهَة، أمّا مِن جِهةٍ ثانِية، يَبْدوا لَنا الغُموض والتَضارُب في آراء الاتِّجاه التّجريبي المنطِقِي، حينَما نراهُم يُصَوِّرُونَ لَنا وفي مقامٍ آخر، معنى الاستقلالِية بَيْن عَالَم القَضايا المَنطِقِية والتي تُمَثِّل بالنِسبة لَهُم قَضايا تَحْصيل حاصِل، والقضايا المُرْتَبِطة بالعَالَم التَّجريبي الحِسّي، باعْتِبارِهِ (أي معنى الاستِقلالِية) يَعْنِي القَطْع للعَلاقات. صَحيحٌ أنَّ القضايا في المنطِق الحديث الذي اعتمَدتْهُ الوضعية في ثوبِها الجديد، ينطَلِق مِن ذاك المبدأ العقلي الذّي يُقِّرُ بمُطابقة الفِكر لِذاتِهِ، أي استقلال القضايا والحُدود المنطِقِية عنِ الواقِع، لَكِن هذا لا يَمْنَع مِن وُجود حَرَكة ديالكتيكية مُستَمِرّة بَيْن القَضايا المَنطِقِية وانطولوجيا الواقِع. إذ أنّ هناك مسألتان تحكُمان هذا الطَّرْح: مسألة قبول صِدق أو كَذِب القضايا المنطِقِية بِناءاً على مدى اتِّفاقِها مع الواقِع أو مُعارَضَتِها لَهُ، وقُبول النَتائِج المُتماسِكة والمُنْسَجِمة مَنْطِقِياً مَع المُقدِّمات، هذا مِن جِهَة، أمّا مِن جِهَةٍ ثانِية ومادامَ عِلْمُ المنطِق هُوَ العِلْمُ الذّي يبحَثُ في البِناء الداخِلِي للحقيقة، فإنّه كما يرى «يحيى هويدى» في مؤلّفِه السابِق الذِّكر أيضاً يهتَّمُ بمسألَة الصِّدق المنطِقي(عِلم الصِّدق أو عِلْم الحَّق كما يُسّمى). لِنختِم هذا النّقد بمقولةٍ لِـ: «إدموند هوسرل» في كِتابِهِ «التّجربة والحُكْم»[2] الذّي ألّفَهُ سنة 1948 إذ يؤَكِّد في هذه المسألة كيف أنَّ الحُكْم المنطِقي يَجِدُ نفسه دائِما في مُواجهة تشكيلات ومجموعات واقِعِية للأشياء. وأنّ هذه التشكيلات والمجموعات وإن كانت لا تصدر أوامِر للحكم المنطقي، إلاّ أنّ هذا الأخير يُراعيها

(1) المرجع نفسه، ص، ص، 34، 35.

(2) E. Husserl, Erfahrnng und Urteil, Hambourg, 1948.

تمامَ المُراعاة دونَ أدنى تَسَلُّط مِن أحد الطرفين على الآخر.[1].

لقد أفْصَحَ لنا البّحث وفي نهاية دراستِنا لموضوع مشروع « التّحليل المنطِقي للغَة» في الحقْل الابستيمولوجي للفَلسفَة التَّجريبية المنطِقِية، عَن التشابُك والتَدَرُج في تناوُل هذه القَضِيّة الجوهَرِية التي ميّزت البّحث المُعاصِر في إطار فلسفة اللُّغة، وهذا في أبرز الاتّجاهات والمَدارِس الفلسفِية المُعاصِرة. لِنكْشِفَ بعد الخَوْضِ في مسألة «التّحليل المنطِقي للغة»، على أنَّ هذا المَشْروع جَاء كَنتيجة حتْمِية لإرهاصات حُقول فرعِية مِن البَّحث، مارَسَها مُمَثّلوا هذا الاتّجاه، لِنَخُصَّ بالذِّكر هُنا «رودولف كارناب». وقَد كانَت على مَتْنِ تِلْك القَضايا التي مَهّدت لِنشأة ذاك المَشْرُوع: مَسألة «تقويض الميتافيزيقا». فَقد وَجَدْنا أَنَّ التوّجُه الرَئيسي للتَّجريبية المنطِقية، كانَ مُنحصِراً في مَشروع البَّحث عَن مَنْهجية تُمَكِّن مِن الاستبعاد الكُلّي للميتافيزيقا مِن مَجال العِلْم والفلسفة، بَعْدَما كانت هذه الأخيرة كَبديل للميتافيزيقا في وَضْعية «أوجست كونت» الكلاسيكية. فكان أن تبنّت مَنْهجية جديدة اختزلت في مَبدأ أو مِعيار «القابلية للتّحَقُق»، والذّي يَنُّصُ على أنَّهُ لاَ يتحَدَّد المعنى الواقِعي لِعِبارة ما، إلاَّ مِن خِلال تحَقُق هذا المَعنى، هكذا جعلَ أنصار الفلسفة التّجريبية المنطقية، مِن مِعيار التَحَقُق، جُزءاً لا يتجزأ مِن نَظرية المَعنى عِندَهُم. والمعنى هنا مقصودٌ بِهِ: المعنى الإبستيمولوجي أو المعرِفي للعِبارة، وبالتّالي فَالفِكرة الرئيسية التي ينطوي عليها هذا المبدأ، مُنحصِرة في التَّمْيِيز بَيْن نَمَطَين مِن القَضايا: قضايا ذات معنى: وهِي إمّا تِلك القضايا التي تُعْلِنُ أنّها تقرّرُ شيئاً ما عَن العالَم الخارِجي أو الواقِعي. أو القضايا التَّحليلية، والتي تكون بِدورها صادقة في أيّ عالَم مُمْكِن، كالقضايا الرياضية. وقضايا خَالية مِن المَعنى أو زائِفة، وهِي التي لا يُمكِن التأكُد مِن صِدقِها تَجريبياً. في الحَقيقة ومَهْماَ تعدَّدت المواقِف والآراء حَوْل « التّجريبية المنطِقِية «، كفلسفة اهتمّت بقضايا العِلم التّجريبي، ومِن عِدّة زوايا شكلّت البِنْية القاعِدِية لَهُ، فلا سبيل للشّك في أنّ هذه الحَركة، كان لها إسهامات جادّة في قضايا « التحليل المنطِقي اللُغوي» بِصِفّة دقيقة وبِمناهِج البحث العِلْمي بِصِفَةٍ عامّة. مِمّا أسهَم بنِسبَة أكبر في تفعيل المَجال أمام فلسفة العِلْم المُعاصِر، خاصّة في الوِلايات المُتَّحِدة الأمريكية وإنجلِترا. ولعلّ ما يكشِف حقيقة ما قُلْناه، هُو تمَرْكُز جُل وأبرَز المفكرين والفلاسفة والعُلماء الذّين شكَّلُوا هذه الحركة، في هذين الموطِنين أمثال: «رودولف كارناب» و«أوتو نويراث» و«دافيد هامبل» و«هانز ريشانباخ» و« هاربرت فيجل» و«فريدريك وايزمان». فالتّطورات التي لَحِقت بالعِلْم الراهِن مِن أكبر مُنجزاتِهِ التي خَصّت مجال العلوم الفيزيائية والطبيعية عُموماً، كانت رَدّة فِعْلٍ لِما أنجَزَهُ هؤلاء مِن أطروحات رئيسية مَسّت جُل محطات العِلْم والفلسفة معاً. ولعلّ في قول فيلسوف العِلْم المُعاصِر «كيبرج Kyburg Hery

(1) يحيى، هويدى، المرجع السابق، ص، 44.

« في كِتابِهِ: «العِلْم والعَقل SCIENCE AND REASON « ما يُؤَكِّد على الدَّوْر الفَعّال لِحَركة الفلسفة التّجريبية المنطقية مِن خِلال أعضائِها البارزين، في إعادة النّشاط الفلسفي عُموماً وفلسفة العِلْم بالخُصوص إلى مكانتِها وقيمتِها داخِل المنظومة الفِكرية والمعرفية التي يُنتِجُها العقل الإنساني باستِمرار، إذ غالِباً ما يُقال – حَسْبَهُ- أَنَّ الوَضْعِية أو التَّجْرِيبية المَنطِقِية قَدْ وافَتْها المَنِيَّة، وهذا القَولُ في رأيِهِ، يُغَلِّفُهُ الكثير مِن الشَّك، لأنَّهُ ليس واضِحاً تماماً مَن هُوَ الذي تُوُفِيَّ. إذ لاَ تزالُ منهجية الصِياغَة والتَحْليل حَيَّةً حتّى ضِمْن أولائِك الذّين يَكْتُبُون بَيْنَ الحِّين والآخَر النَعْي تِلْوَ النَّعْي في وفَاتِها.

أمّا فيما يَخُصُّ فلسفة «فتجنشتين»، فترجَعُ أهميتُها في رَأيِنا، إلى نُقْطَتَيْن: **الأولى** أنها شَكَّلَت نُقطة تَحَوُّل كبير في تاريخ الفلسفة التّعليمية والعِلمية المُعاصرة، وذلك عندما غَيَّرت وظيفة الفلسفة ومجالها، وحوَّلت الفلسفة إلى طريقة مِنَ التَّحليل والتّوضيح المَنطقي للفِّكر واللُّغة والحقيقة. أمَّا الأهمية **الثانية** فتعود إلى أنَّ «فتجنشتين» أدْخَل الفلسفة إلى ما بَعْد الحَداثة مِن أوسع أبوابها عِندما أنْكَر الحَقيقة الثابتة المُطلقة وحوَّلها إلى حقيقة شِبه تاريخية مُتعددة السياقات التي تَرِدُ فيها. مِمَّا يُؤَكِّد على أهَمِيَّة دَوْر «فتجنشتين» في الفِكر الفلسفي المُعاصر للاستطلاع الذي أجرته مجلة «فلاسفة» بمناسبة نهاية القرن العِشْرين والذِّي بَيَّنَ أنَّ أرسطو أعْظَمَ فيلسوف عَرَفَتْهُ البَشَرية، وأنَّ «فتجنشتين» أعظم فيلسوف عَرفه القَّرن العِشرين.

لقد استخلصنا أيضاً عَبْر هذا البّحث ، أنّ «كارناب» وفي العَديد من النِّقاط التي نُسِبت إليهِ لَم تَكُن أبحاثُهُ، وبنسبة كبيرة أصيلة. وقد استلهَمَ مُعْظَم مُنطلقات بحثِهِ في قضايا اللّغة والنّحو المنطقي، وبِدرجة كبيرة مِن أبْحَاث «فتجنشتاين الأوّل» في اللّغة، لِدَرَجة أنّنا لا يُمكِن أن نُنْكِر حُضور القَضايا التي ذَكرها هذا الأخير في مُؤلّفِهِ الرئيسي الأوّل: «رسالة منطقية فلسفية»على فَلسَفة وأفكار «كارناب» بالخُصوص، و» التّجريبية المنطِقية» على العُموم. وهذا باعتراف مِن «كارناب» نَفْسهُ، مِن خِلال تَصْريحاتِهِ المُتباينة، إذْ نَجِدُهُ يُسَلِّمُ شَخْصِياً، بِأنَّ «فتجنشتاين» هُوَ الفيلسوف الذّي له التَّأثير الأَكْبَر عَلى فِكرِهِ، فَضلاً عَنْ «راسل» و»فريجه». هذا لا يُقَلِّصُ مِن قيمة «كارناب» وبَوادِر تأصيلِهِ للفلسفة الوَضْعِية المَنطِقِية، إذ أكَّد على أنّ عِلْمِية الفلسفة، مَرهون بِمدى اقتِصار عَمَلِها على التّحليل المنطِقي لِجُمَل العِلْم وأفاهيمِهِ، إنَّهُ السّبيل الوحيد لتَجَنُّب الخَوْض في المَسائِل الميتافيزيقية، وهذا هُوَ المَشروع الأكْبَر الذي اشتغلت علَيْهِ «التّجريبية المنطِقية» أي استِبدال الفلسفة بِمَنطِق العِلْم. فلقَد أسهَم «كارناب» بِنِسبة عالِية في تطوير طريقة تَفكير «حلقة فيّينا»، مِن خِلال مشروعَهُ في «البِناء المَنْطِقي للعَالَم»، وكان انتِماءهُ لِجَماعة فيّينا، يَهْدِف وبِدرجةٍ كبيرة إلى السَّعْي في تَحقيق مشروع « ضمان موضوعِية العِلْم» وتجسيد ما أُطْلِقَ علَيْهِ «العِلْم المُوَحَّد».

- ما يُمكِن إبرازُهُ في الأَخير، أنّهُ كان هُناك مُعْتَقَد مُهَيْمِن، بَنَى علَيْهْ أنصار هذا الاتِّجاه، كُلّ فَلْسَفَتِهِم العِلْمِية، هذا المُعْتَقَد كَانَ مُنحَصِراً في مَسْأَلة الاعْتِقاد بوُجُود انفصال تَام بَيْنَ الحَقائِق التّحليلية المُؤسَسة على دَلالات مُسْتقِلة عَن الوقائِع، والحَقائق التّركيبية المَبْنية على الواقِع، هَذِهِ الأخيرَة، هِي التي كانت مِحوَر عَمَلِية التّحليل عِنْدَ أغلَب مُمَثِّلي هذه النّزعَة.

المُلخّص:

حقلان يزدهر فيهما البّحث المنطقي اليّوم، حقل يظهر فيه المنطق كَشُعبة مِن شُعب الرياضيات، مثلما هُو الحال عِند أنصار النّزعة اللوجستيكية، وحقلٌ يُقدَّمُ فيه المنطِق كأداة مِن أدوات التفلسُف، كالفلسفة العِلمِية، التي كانت نقطة استشرافٍ ومدخل جديد للفلسفة المُعاصِرة، هذه الأخيرة التي أخذت صورتها المتكامِلة مع الفلسفة الوضعِية المنطِقية أو التجريبية المنطِقية في آخِر تطوُراتِها، إذ أرسَت مَشْروعَها الخاص بِخلق فلسفة، تأخُذ صَرامتها مِن داخِل بِنية العِلْم ذاتِه والذّي يُمكِن اختِزالَهُ (أي هذا المشروع) في جَوْهَر هذين المبدأين الأساسيين:

- حذف الميتافيزيقا عبر «التّحليل المنطقي للُغة». (بِحُجّة أنّ أصل كُلّ فلسفة ميتافيزيقية أخطاءٌ منطِقية)
- تحقيق وِحدة العِلْمَ، وذلِك بِرَدّ العِلْم ذاته، وبِمُختلَف صُوَرِهِ ومجالاتِهِ ومباحِثِهِ إلى لُغَة التحليل، ومِن ثمّة يكون مجال العِلْم واضِحاً جَلّياً.

فَكَم هِيَ كثيرةٌ تِلْك الإشكاليات الفلسفية والعِلمِية، التي طَرَحها وناقَشها الخِطاب العلمي والفلسفي المُعاصِر وما يطرَحُهُ مِن رِهانات وما يواجِهُهُ مِن عوائِق ابستمولوجية، ومِنه رَأينا أن يكون مجال بحثِنا محصوراً داخِل حُقول النّزعة التّجريبية المنطقية، ومَنبعُها الذي نشأت فيه مدرسة «فيينا» المنطقية، والتي كانت نِتاج حِقبَة معرِفية في تاريخ الفلسفة المُعاصِرة، إذ كانت تنطلِق مِن تصوُّر للمعرفة، يرجَع في جُذورِه إلى نسق مُغْلَق، يتّخِذ مِنَ المُعطى الحِسّي التّجريبي المُباشِر، النَّواة الصَّلْب التي تَنْطَلِقُ مِنها كلَّ أنواع المَعرِفة.إلاَّ أنّهُ ولِنخرُج مِن مَأزق الاختِلاف، يَجْدُر بِنا أن نَنْطَلِق مِن إيضاح الرُؤية حول مسألة جوهرية في انطلاقة هذا البّحث، يُمكِن حصرُها في قضية الاستعمال والتداوُل للمُصْطَلَح الجَوهَري في بَحثِنا هذا، وهُو مُصطلح مُركّب، إنّهُ: « التَجْرِيبِاَنِيَةالمنطِقِيةLogique Empiricisme»، إذ وَجَدْناَ مُصطَلَح «التّجريبانِية Empiricisme» وهُوَ إشارة إلى النّزعة يَحمِلُ نفس المعنى والدلالة مَعَ مُصطَلَح: «التّجريبية Empirisme « وهو إشارة إلى فلسفة هذا الاتّجاه، إلاّ أنّ كِلاهُما يَعْكِسُ روح البّحث الإمبريقية التّي تَتَّخِذُ مِن الخِبرة الحِسّية المُباشِرة النَّمُوذج الأوحد لتحقيق العِلْمِية. ومِنْهُ ستكون استعمالاتِنا لَهُ في مَتْنِ البّحث بالصُّورة التي نَجِدُها عليهِ في مادّة بحثِنا، أمّا مُصطَلَح « منطِقِيَة Logique» فلم نَجِد لَهُ اختلاف في المَعنى على حِساب أنَّهُ لفظ تِقني وليس حَولَهُ خِلاف مِن حيث الحُمُولَة المَعرِفِية الدّالَة علَيه، وهكذا سنستَعمِل لَّفظ « التّجريبية المنطقية Logique Empirisme» بنفس المعنى مع « التَّجْرِيبِاَنِيَة المنطقية». أمّا فيما يَخُصُّ مُطابقتِهما مع مُصطلحي: «الوضعِية المنطِقِية Positivisme Logique» و» الوضعِية المنطِقِية الجديدة

Néo- Positivisme Logique «التي سُمِيّت كذلِك، تمييزاً لها عن الوضعِية الكلاسيكية لِـ: «أوغست كونت»، وتأكيداً على التزاماتِها بآلِيات وقواعِد «المنطق الحديث» في شكلِهِ المُعاصِر، والذي تبلْوَرَ مع كلٍّ مِن «فريجه» و» برتراند راسل»، فإنّنا تعاملنا مع هذين المُصطلحين، باعتبارِهما يُمثِّلان آخر التطورات على مُستوى البِنية المَفهومية والحُمولة المَعرفية المُكافِئة لِمُطلَحَيْ «التّجريبانية المنطِقِية» أو «التّجريبية المنطِقِية». باعتبار أنّ مُصطلح «وضعِية» يعني كُلّ تفكير إيجابي، يُعطي معنى للعِبارة، مِن خِلال منهجية مُحدّدة وصارِمة هِي منهجية القابلية للتّحقُق. والجدير بالانتباه، أنّ هذا الاتجاه الفلسفي المُعاصِر، والتِّي أرْسَت مُنطَلَقاتُهُ الأساسية الفلسفة بالنّمسا، البلد الحاضِن لأَهّم حلقة فِكرية وفلسفية آنذاك هِيَ»جماعة فيينّا»، ثُمّ توسعت استعمالاتُهُ على كافّة الأنشِطة الفلسفية والعِلْمِية للاتجاه الوضعي، في ثوبِهِ الجديد (الوضعية المنطقية الجديدة). كان غَنِّياً بإنتاجاتِهِ التي مَيّزت مشاريعَهُ الثّرية، التي إن لم نَقُل أنّها كانت قريبة مِن الواقِع، فإنّها على أقَلِّ ميزة يُمكِن أن نَصِفُها بِها، كانت مُعبِرّةً بالفِعْل على الرُّوح الوَضْعِي الذي خيّمَ على معالِم هذه الفلسفة، وفي ميادين كانت تُمثِّل المُقَدّس في الفلسفات التقليدية(مسألة دحض الميتافيزيقا، عن طريق منهجية جِدُّ متطوِرّة وملازمة للأفكار العِلْمِية المُعاصِرة، إنّها منهجية التّحليل المنطِقي). وفي بحثِنا هذا، نَرُومُ إلى كشف معالِم تِلْك المُمارسة المنهجية على مُستويات معرِفِية، دقيقة جِدّاً. لِماذا القول بهذه الدِّقة والصرامة؟ لأنّ الأمر وبِكُلّ بساطة مُرتبِط بالعِلْم، وانجازاتِهِ مِن جِهة، وبالتأسيس للفلسفة العِلمِية مِن جِهَة مُقابِلة. مِمّا جعل الإطار المعرِفي المَبحوث فيهِ، يمَّسُ جوانِب فلسفية بِمفهوم عام، وابستيمِيّة ولُغَوِيّة بِمفهوم خاص.

هكذا جاءت إشكالية بحثِنا محصورةً في مسألة الاستقصاء عَن معَالِم «الفلسفة التّجريبية- المنطِقِية»، والتي مِن خلال المضمون الفلسفي والمنهجي الذي حَمِلَتْهُ واحتوتْهُ، اعْتبُرِت أصْل مِن أُصول الفلسفة المُعاصِرة، إذْ تَميّزَت بِدعوَتِها إلى تحديد وبيان أهَمِيّة اللُّغة، وتركيباتِها المنطِقِية والحُصول على بِناء سليم للعُلوم لِغرَض التوضيح الفِكْري، وهذا عن طريق التّحليل المنطقي للغة.

و لِهذا كان استهلالُنا للبحث في الفصل الأوّل قائم على أساس التأصيل لِهذا المفهوم(التحليل المنطقي) مِن خِلال فِكرة العَوْدْ للتراث الفلسفي (القديم/الوسيط/ الحديث)، إذ كان تركيزنا على ثلاث نماذج كبرى: الأوّل كان «أرسطو»(374ق.م/322ق.م) في الفلسفة اليونانية، مِن خِلال أبحاثِهِ المنطقية، فلقد طَرَح «أرسطو» النموذج اللُّغَوي اليوناني مِن خِلال نُصوصه المنطقية الموسومة في كتابين، عَبّرا بِصدق عن تلك الأهمية هما: كِتَابَيْ «المقولات» (قاطيغورياس)، و»العبارة» (باري أرمينياس). ومِنْه كان التّحليل المَنطقي الذي مَارسَهُ «

أرسطو» مُنحصِراً بدرجة وثيقة بِمجال اللّغة، مِنْ خِلال مُحاولته ضبط العلاقة بين اللّفظ والمعنى. أمّا الثاني: فكان أبرز المُشتغلين والذين مارسوا التّحقيق والشرح والتعليق على المنطق الأرسطوطاليسي في الثقافة الاسلامية، «أبو نصر الفارابي»(259هـ/ 339هـ) ، إذ كان المقصد من إخضاع اللغة للتّحليل المنطقي عِنْدَ «الفارابي» هو تَنقيتُها والكَّشْف على المَفاهيم الغَيْر مُلتَزِمة بِشُروط المَنْطق، فكان هذا مُحاوَلَةٌ مِنه لبِناء نَسَق لُغَوي مُؤَسَّسٌ على قواعد عَمَلِية ومَنْطِقية تَتَّسِم بالدّقة والوُضوح، وخاليَة مِن كُلّ تناقُض. يتَرَتب على هذه القِراءة، أنّ فكرة «الفارابي هنا، تَضع أمام نَظَر المُتَعَلِم «مُودِيلاً» منطقيا لتحليل اللغة، متمثّلاً في «نظرية التعريف». أمّا في العصر الحديث وكنموذج ثالث، فكان وَقعُنا على الرُؤية الكانطية، والتي أعطت قيمة عَمَلِية للفِعْل التَّحليلي، باعتبارِهِ مصدراً مَوْثوقاً فيهِ لإصدار الأحكام. نَجِدُ جانِباً آخر، بَدت مِن خلالِهِ معالِم التداخُل بين الفلسفة الكانطية والفلسفة التّجريبية المنطقية، هُوَ عُنصُرُ «التّجربة أو الخِبرة الحِسّية» والتّي كانت وراء منهج التَّحقق في هذا التيّار. فكما يُؤكّد»كانط» في بداية كتابِهِ «نَقْد العَقْل الخالِص (1781)بأنّ كل معارِفَنا تبدأ بالتجرُبة ولا ريْبَ في ذلِك البتّة، لأنّ قُدْرَتُنا المعرِفِيَة لَن تستيْقِظ إلى العمَل، إنْ لَمْ يَتّم ذلِكَ مِنْ خِلال موضوعات تَصْدُم حواسنا. وهُنا تظهر الرابطة القوّية بين هذا الفكر والتجريبية المنطقية. ثُمّ جاء ولوجنا للموضوع المحوري لبحثنا في كشف ماهية النزعة التّجريبية المنطقية، وتحديد الحقل الموضوعاتي والمنهجي الذّي اختصّ به هذا الاتّجاه كأداة للفلسفة العِلمية.

أمّا الفصل الثاني من هذه الدراسة، فقد ناقَشْنا فيه معالِم وحدود التأثير لأبرز الشخصِيات الفلسفية في بِنية الخِطاب الابستيمولوجي والميتودولوجي عِند أنصار التّجريبية المنطقية (من خلال «حلقة فيينا)، إنّه الفيلسوف النّمساوي «لودفيج فتجنشتاين»، وقد وجَدْنا أنّ هُناك نوع مِن روح المُقَاربة بَيْن أهَّم أعمالِهِ وإنتاجَاتِهِ الفلسفية» في المجال اللُغوي، ونَخُصُّ بالذِّكْر هُنا: «رِسالة منطِقِية فلسفية» و»تحقيقات فلسفية»، وبَيْن منطِق التحليل اللُغوي والمنهج العِلْمِي والفلسفي للتجريبية المنطِقية. لِنَتقِل في سَيْر البّحث، وفي الفصل الثالث إلى التعامُل مع أبرز نموذج مثَّلَ الفلسفة التّجريبية المنطقية، إنّه الفيلسوف والفيزيائي «رودولف كارناب»، لِنكْشِفَ عَبر هذا التوظيف عن معالِم التقارُب الفِعْلي ولِدرجة بعيدة مِن الإثبات للإسهامات الفِعْلِية لهذا الفيلسوف في مجال البِنية والتّركيب المنطقي للعالَم، ومسألة التقويض للميتافيزيقا باعتبار أنّ أصل كلّ فلسفة ميتافيزيقية أخطاءٌ منطِقِية، هذه الأخيرة بالنّسبة إليه، تشتَرِكُ في كونها ذات صورة منطقية استنباطية سليمة في ظاهرها، خاطِئةٌ في مضمونها. لِتكون النتيجة التي توصّل إليها «كارناب» مِن خِلال جُملة أبحاثِهِ اللغوية في حقل التّجريبية المنطقية، نظريتُهُ في المَعنى (السيمنطيقا).

أمّا الفصل الرابع: فخصّصناه لأبرز الانتقادات والتجاوزات التي وُجِّهت لمشروع التّحليل المنطقي للغة كما طرحتْهُ الفلسفة التّجريبية المنطقية. باعتبار أنّ هناك تيارات فلسفية جديدة تجاوزت التيآر الوضعي المنطقي إنّها تيارات ما بعد الوضعية المنطقية، ومن أبرز فلاسفة هذا الاتجاه «كارل بوبر» مُمَثّلاً للعقلانية النقدية، والذي اعتبر انطلاقة فِعْلِية لذلِك التجاوُز. لنوظِّف بعد ذلك القراءة الابستيمولوجية التي قدّمها «ويلارد فان أورمان كواين» لفلسفة النزعة التّجريبية المنطقية. لنختم هذه الدّراسة بِأهّم التساؤلات حول مسائِل منطِقِية بحتّة وظّفَتْها التّجريبانية المنطقية في الكثير من المواقع كموضوعات «القضية» «الحدود» «الواقِع» المنطق موضوعات «القضية» و»الحدود» أين لاقت انتقادات لدى هذه الاتّجاهات الجديدة.

ـ أمّا منهجيتنا في هذا العرض فكانت في مُعظمِها تتّخِذ مِن المنهج التّحليلي أداةً لعرض أفكارنا ولكن كُنّا نغيّر من نمطية هذه المنهجية أحيانا حسب ما تتطلبُهُ قراءاتُنا للقضايا والأفكار المعروضة، وذلك بإدخال آليات جديدة في البّحث، كآليات المُقابلة والمقاربةأحياناً والنّقد أحياناً أخرى.

(الدراسات السابقة) في الحقيقة لم تكُن الدراسة التي أجريناها حول موضوع « التحليل المنطقي للغة» ـالتجريبانية المنطقية نموذجاً- سِوى مُحاولة تأصيل لهذا الحقل مِن البّحث، وامتداد لِدِراسات أقامها باحثون ومُفكِرون،سواءأَفي الحَقْل اللُغوي أو الحَقْل المَنطِقي أو كِليهِمَا معاً. وكانت هذه الدراسات ذات الطابِع الأكاديمي مَحْصُورة إمّا في بعض الأطاريح الجامِعِية، أو بعض الدِّراسات الخاصّة مِن خِلال كُتُب فَرْدِية، أو جُملة مُلْتقَيات فلسفية، دُوِّنَت في مقالات فردية، جُمِعت في كتاب جماعي مُشترك، أو مقالات خاصّة، جُمِعت في مِلّفٍ خاص داخِل عدد خاص مِن الدَّورِيات المُحَكَّمة.

إذن ومِن خلال استقصاءنا وتحليلنا للموضوع، وصلنا إلى الكشف عن نِسبَة نجاحِ التّجريبية أو الوضعية المنطقية عبر كلّ مراحل تطوُراتِها كَمذهب في التّخلي عَن السعي نحو فلسفة أولى (الميتافيزيقا الكلاسيكية) سابقة على العِلم الطبيعي، بمعنى الكشف عن دَعمِها الإيجابي في دفع حركة العِلم الفلسفي أو فلسفة العِلم للتَّغَيُر نَحْوَ الأفضل. فجُل التّطورات التي لَحِقت بالعِلْم الراهِن مِن أكبر مُنجزاتِهِ التي خَصّت مجال العلوم الفيزيائية والطبيعية عُموماً، كانت رَدّة فِعْلٍ لِما أنجَزَهُ هؤلاء مِن أطروحات رئيسية مَسّت جُل محطات العِلْم والفلسفة معاً.

ـ أمّا فيما يَخُصُّ فلسفة «فتجنشتين»، فترجَعُ أهميتُها في رَأيِنا، إلى نُقْطَتَيْن: الأولى أنها

شَكَّلَت نُقطة تَحَوُّل كبير في تاريخ الفلسفة التّعليمية والعِلمية المُعاصرة، وذلك عندما غَيَّرت وظيفة الفلسفة ومجالها، وحوَّلت الفلسفة إلى طريقة مِنَ التَّحليل والتّوضيح المَنطقي للفِّكر واللُّغة والحقيقة. أمَّا الأهمية الثانية فتعود إلى أنَّ «فتجنشتين» أدْخَل الفلسفة إلى ما بَعْد الحَداثة مِن أوسع أبوابها عِندما أنْكَر الحَقيقة الثابتة المُطلقة وحوَّلها إلى حقيقة شِبه تاريخية مُتعددة السياقات التي تَرِدُ فيها.

ـ لقد استخلصنا أيضاً عَبْر هذا البّحث (المبحث الثاني من الفصل الثاني)، أنّ «كارناب» وفي العَديد من النِّقاط التي نُسِبت إليهِ لَم تَكُن أبحاثُهُ، وبنسبة كبيرة أصيلة. وقد استلهَمَ مُعْظَم مُنطلقات بحثِهِ في قضايا اللّغة والنّحو المنطقي، وبِدرجة كبيرة مِن أبْحَاث «فتجنشتاين الأوّل» في اللّغة، لِدَرَجة أنّنا لا يُمكِن أن نُنْكِر حُضور القَضايا التي ذَكرها هذا الأخير في مُؤلّفِهِ الرئيسي الأوّل: «رسالة منطقية فلسفية»على أفكار «التّجريبية المنطِقية» عموماً وعلى فَلسَفة وأفكار «كارناب» بالخُصوص. ما يُمكِن إبرازُهُ أيضاً، أنّهُ كان هُناك مُعْتَقَد مُهَيْمِن، بَنَى علَيْهْ أنصار هذا الاتّجاه، كُلّ فَلْسَفَتِهِم العِلْمِية، هذا المُعْتَقَد كَانَ مُنحَصِراً في مَسْأَلة الاعْتِقاد بوُجُود انفصال تَام بَيْنَ الحَقائِق التّحليلية المُؤسَسة على دَلالات مُسْتقِلة عَن الوقائِع، والحَقائق التّركيبية المَبْنية على الواقِع، هَذِهِ الأخيرَة، هِي التي كانت مِحوَر عَمَلِية التّحليل عِنْدَ أغلَب مُمَثّلِي هذه النّزعَة، وفي الأخير نرى أنّ أنصار هذه الفلسفة الجديدة، مُنذ بِداية تأسيس أفكارِها مع «جماعة موريس شليك» في فيّينا، وإلى آخر تطوراتها التي لحقت بِمُعتقداتها وأفكارها في مجال التّحليل المنطقي بالخصوص مع «الوضعية المنطقية الجديدة»، فإنّها قد جعلت من هذا الأخير مقصوراً على استقصاء العلاقات المنطقية التي تحصُل بين الجمل البسيطة والجُمَل المُركبّة فقط، إذ أُقْصِيَ تحليل البِنية المنطِقِية الداخلية للجُملة وذلك حسب اطِّلاعِنا راجِعٌ إلى اعتِبارين أساسِيين: الأوّل: أنّ مِعيار الصِّدق والصِّحة في المنطق يكمُنُ في الصورة المنطِقية (البِنْية الصورية للقضِيّة)، أمّاً الثاني: فالجُمَل البسيطة عِندهُم هِي كُلّ غير قابِل للتّحليل بحيث يُنظَر إلى كيفية ترابُط هذه الجُمَل فقط.لَكِن:

عُمْق التّحاليل المنطِقِية يُقَلّص مِن قيمة هذا النّمط مِنَ التّحاليل، إذ وكما يرى «كارناب»فإنّ أضحَل نمَط وأرْدَأَهُ في التّحليل المنطقي، هُو الذّي تُستَقْصى فيهِ العلاقات المنطِقِية التي تَحصُلُ بين الجُمَل البسيطة والمُركبّة.

مُلْحَق السيرة الذاتية لأعلام البّحث

1. أرنست ماخ Ernest Mach(1838 م/1916 م) : فيزيائي وفيلسوف نمساوي، كان أستاذ الفلسفة بجامعة «فيينّا» ، ثُمَّ أستاذ للفيزياء بجامعة «براغ»، وترجع شُهرة «ماخ» لى كَوْنِهِ فيلسوفاً وباحِثاً في مناهج العِلْم. موقِفُهُ الفلسفي العام هو» الوضعية Posi-tivisme»، ويذهب «ماخ» إلى أنّ الفيلسوف «كانط» في مؤلّفه « نقد العقل الخالص» لم ينجح تمام النجاح في طرد الأفكار الزائفة التي أتت بِها الميتافيزيقا القديمة. فحسب «ماخ» بقيت تلك الأفكار تحاصِر فلسفة العِلْم. لهذا كان هدفه الرئيسي محصوراً في تقديم تفسير لطبيعة العِلم، بحيث يعرض هذا التفسير، طبيعة العِلْم في صورة خالية من كافّة العناصر الميتافيزيقية اللاتجريبية. ومن ثمّة التأسيس لِعلْم الميكانيكا وِفْقاً لِتلك المطالِب الفلسفية. حيث كان يُردّد مقولته المشهورة: «إنّنا لا نعرِفُ غير مصدر واحد هو الذي يكشِفُ مُباشرة عن الوقائع العِلْمِية، هذا المصدر هو حواسنا.

2. برتر اند راسل Bertrand Russel : (1872 م/ 1970 م): هو فيلسوف إنجليزي مُعاصِر، مِن عائِلة أرستقراطية بريطانية. فكان أبويه يتبنون الأفكار الليبرالية. خاصّة أبوه الذي كانت تربِطُهُ علاقة صداقة مع « جون ستيوارت مل(1873/1806)، كما تقلّد أبوه منصب رئيساً للوُزراء، وذلك مرّتين في عهد الملكة «فكتوريا». أمّا والِدته فكانت تُقيم نادِّياً أدبِياً يَضُمُّ جميع الفلاسفة البريطانيين. كما كان لاتصافِهِ بطابع الصرامة، منبع داخِلي من أسرتِهِ وهِي جَدّتُهُ التي قَدّمت لهُ تربيةً صارِمَةً في صِغَرِهِ. لَهُ انجازات هامّة في حقول الرياضِيات والمنطِق. فلا أحَدَ يُنْكِرُ اسهاماتُهُ في تطوير المنطق الرياضي الحديث. في بداية القرن العِشرين قاد هجوماً فِمرِيا وفلسفياً على المثالية. وقد صَنّفَهُ المؤرخون في الحقل الفلسفي ، أنّهُ أحد أكبر المُساهمين في التأسيس للفلسفة التحليلية ورائِد من رُوادِها مع كُلّ مِن «فريجه» و»لودفيج فتجنشتاين» . فقد كانت مجالات بحوثِهِ مُنحصِرة في : الرياضِيات، حيث ألّف مرجعاً هامّاً في الحقل الرياضي هو كتابهُ المُشترك مع «وايتهيد» والمعنون بِـ: « مبادئ الرياضيات» أو «بريكيبيا». إضافة إلى إبداعِهِ في المنطق مِن خِلال مُحاولتِهِ الشهيرة في رَدّ الرياضيات إلى أُصولٍ منطِقية، وقد استدَّل على ذلك مِن خلال نظريّتِهِ في حِساب الفِئات. كما برزَ أيضاً في أبحاثِهِ وآرائِهِ في فلسفة اللُّغة وحتّى في الأخلاق والسياسة مِن خلال مشروعه في «السلام الدائم». حيث عبّر عن استِيائِهِ من سياسة التسّلُح النووي، وكان ضِدّ كل أشكال العُنْف والحروب. ولَهُ موقِف تاريخي اتجاه القضِيّة الفلسطينية. لقد كانت نظرته للفلسفة مُنْحَصِرة في المجال العِلْمي، أين قام بالتأسيس لِما أسماه بالفلسفة العِلْمِية. مُتّخِذا مِن «منهج التحليل» كقاعِدة لِرّد الفِكر لِعناصِرِه الأولّية. إضافة إلى آرائِهِ في التَّربية والسُلطة السياسية، والأخلاق، وحتّى في الدّين.

دون أن ننسى أرائُه الاجتماعية.

3. ويلارد.فان أورمان كوين(1908/2000)Willard Van Orman Quine :

وُلِد سنة 1908، منطقي وفيلسوف، كان أستاذاً للمنطِق بجامعة «هارفاد» Harvard University. أشهر كُتُبِهِ التي ألّفها رغم قِلّتها كان كتاب: ««LE MOT ET LA CHOSEوالذّي أصدرُه سنة 1960، وَ هُوَ وَ بِدُون أيّ تعليق، الكِتاب المَركزي للفلسفة التَّحليلية في القَرن العِشرين. لَقد تابَعَ «كواين» كلٌّ مِنْ «راسل» و«وايتهيد» في تَصَوُّرِهِما اللُوجَسْتيكي، حتّ في مَقالِه «أُسُس جديدة للمنطق الرياضي»، غير أنّه عَمَل على اختِزال رُموزِهِما الواردة في «مبادء الرياضيات»، وذلك في أقّل عدد من الرُموز، كما سعى إلى تطوير البعض منها، وخاصّة تبسيط مناهج البّث في: جداول الصِّدق والدَّوال الصِّدقية والمَنطق المَحْمُولي. كما نجِد «كواين» يتبنّى المنطق الماصَدقي لفريجه. ورَفَض المنطق المُوجّه، لأنّه مصدر للغُموض والالتِباس. إضافة إلى هذا الكِتاب، يأتي كتابُه الآخر: « مِن وِجهة نظر منطقية» والذي يستعرض فيه تِسعة مقالات فلسفية، وهُوَ أوّل كِتاب فلسفي» لِكواين» ومِن أكثر كُتُبِهِ إثارة للجَدَل.لأنّ كِتاباتِهِ التي سبَقَتهُ كُلّها، كانت ذات طابع مَنطِقي، أمّا هذا المُؤلّف فكشف فيهِ عن حقيقة جديدة، هِي أنّ مفهوم المَنطق عِنْده مَفْهوم فلسفي في جَوْهَره. لقد ارتبطت فلسفة «كواين» بنقد النزعة الوضعية المنطقية. توفي في سنة 2000 م.

4. كارناب، رودولف Rudolf, Carnap (1891 م/ 1970 م)

مِن مواليد مدينة «RONS - DORF - رُونْسدُورْف» بالقُرب من «بَارْمَن» BARMEN في شمال غرب ألمانيا في 18 مايو سنة 1891 م، أبوه يُدعى «جْوَان كَارْنَاب»، المُنْحَدِر مِن عَائلة النَسّاجِين الفقيرة، لكِنّهُ بِفضل كِدّهِ ، اكتسب مَكانةً مَرمُوقةً ومُحْتَرَمة، أمّهُ «أنّاَ كارناب» فتَنْحَدِرُ من أسلافٍ كانوا أساتِذة وقساوِسة وفلاحين. ويروي «كارناب» سبب هلَعِهِ وشَغَفِهِ بفنون الكِتابة والتأليف حيث يروي أنّه لمّا كان طِفلاً، كانت أُمَّهُ تُؤلّفُ كِتاباً ضخْماً تَصِفُ فيه حياة وعَمل وأفكار أبيها الراحِل الأستاذ والكَاتِب البيداغوجي « فريدريك وِلْيام دورفيلد» فكان مفتوناً بفعالِّية تدوين الفِكْر السِّحرية على الورق. ومنذ ذلك الحين يُضيف «كارناب» قائِلاً وأنا شغوفٌ بِهاَ. وَ كانت وَفاتُهُ بالوِلايات المتحدّة الأمريكية في سنة 1970م. تلقى تعليماً برجوازياً في صِباه، تخصّصَ في الفيزياء والرياضيات والفلسفة، وذلك أثناء مُزاولتِهِ نشاطه التعليمي بكُلِّ من جامعة «فرايبورج» و«يِّينا» بين سنة 1910م و1914م . وقد تتلمَذَ في «يِّينا» على يّد « جوتلوب فريجه» GOTLOB. FREGE ، الذي كان لَهُ أكبر الأثر هُوَ و» برتراند راسل» B. RUSSEL على تفكير «كارناب» في سنة 1921م حصل على الدكتوراه في الفلسفة والموسومة بِـ : «المكان: إسهام في نظرية العلم « والتي نُشِرت سنة 1922م في مجلّة: «دراسات كانتية

kantstudien»، وفي هذه الرِسالة بدأت معالِم «الوضعية المنطِقية» واضِحةً في طريقة تفكيرِهِ ، إذ أبرَزَ في هذه الرِسالة الاختلاف المُتَجَلي بين كلّ مِن رُؤيَة «الرِياضيين» و«الفيزيائيين» وحتّى «النفسانيين» حول معنى لَفظ «المَكَان». وهكذا أسّسَ لِفِكرة أنّ الخِلافات الفلسفية مرّدُها في الغالب إلى العجز عن التحليل المنطقي للتصَوُرات المُستَخْدَمَة. لقد حاول « كارناب» إذن أن يُقدِّم تصَوُر للفلسفة، يتَّسِق مع اعتقادات الوضعية المنطقية. فحين نزَح إلى الوِلايات المُتحدة الأمريكية في بدايات سنة 1935 م نتيجة استفحال أمر النازية في ألمانيا وما جاورها، صار في فترة وجيزة أحد أبرز مُمَثِلي فلسفة المعرفة أو العلم المُعاصِر. فقد قَبِل عرضاً تقدّمت بِهِ جامعة «شيكاغو» لِشُغل منصب أستاذ الفلسفة في عام 1936 م، وظلّ يقوم بتدريس الفلسفة حتّى سنة 1952 م، أين قام في هذه الفترة بإصدار (الموسوعة الدولية للعلم لمُوحّد) وذلك بالاشتراك مع كلّ مِن: « أوتونيوراث otto neurath» و«تشارلز موريس-MOR RIS Charles w.» المنطِقي الأمريكي الشهير، لِينصَرِف فيما بعد إلى الاهتمام بِمواضيع «علوم اللغة» وبعدها انتقَل إلى التعبير عن اهتماماتِهِ اتجاه مُشكلات الاحتمال والاستقراء، ولهُ عِدّة مؤلفات في ذلك.

كان «كارناب» دائِماً يُراجِعُ مفاهيمَهُ، ولكِنَّهُ بَقِيَ وفِّياً لِبرنامج يُمكِنُ أن نُلَخِصَهُ في ثلاث نِقاط أساسية:

أولاً: «الإمبريقية l'empirisme « أو التجريبية كما كانت تُسّمى، أين ينبغي أن تخضَع كلّ معرفة عِلمية للتحقق التجريبي. **ثانياً:** « الوضعيةPositivisme « بأبرز ما تحمِلُه من معنى الرَفْض للميتافيزيقا Métaphysique . **ثالثاً:** تبني «المنطق الصوري logique formelle «كأداة مُثلى في خِدمة التحليل الفلسفي وفي سنة 1954 م عُيِّنَ أستاذاً للفلسفة في جامعة كاليفورنيا في « لوس أنجلس» في الكرسي الذي خلا بِوفاة «هانز ريشانباخ» واستمرَّ في هذا المنصب إلى أن ترك التدريس في سنة 1961 م وَكانت وَفاتُهُ بالوِلايات المتحدّة الأمريكية في سنة 1970 م. ونظراً اعتبار «كارناب» من أهّم رُوّاد «الوضعية المنطقية» أو «التجريبية المنطقية»، فإنّ أبرز وَ أهّم أعماله كانت تَصُبُ في هذا الحَقْل مِنَ المعرفة عموماً، إذ تَرْجَمَت مؤلفاتِهِ، حقيقة أهداف هذهِ المدرسة، وهذا عرض كرونولوجي لأبرز أعمالِه من كُتب أساسية وكتب صغيرة، ومقالات منشورة:

أ. **محاولة للإسهام في نظرية العلم**، عام 1922 م Space: A contribution to the théory of science، وهُو بحثٌ لِنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة، طُبِعَ بعد ذلك عام 1922 م، في مجلة الدراسات الكانتية، ولقد ميَّز بطريقة منطقية بين المفاهيم أو التصورات الرياضية والفيزيائية المُتعلِقة بالمكان.

ب. **البناء المنطقي للعالم**: «La Construction Logique du Monde» إذ يُشَكِّلُ هذا الكِتاب عمَلَهُ الرئيسي، ألّفَهُ سنة 1928م. يرى «كارناب» أنّ كتابَهُ هذا: «البِناَء المنطِقي للعَالمَ» هُو خُطوة على الطريق نحو الفلسفة باعتبارِها عِلْمٌ مُتَحَرِّر مِن الميتافيزيقاَ. يعتَمِدُ «كارناب» في كتابِهِ هذا على المنطق الحديث المُتَطّوِر في نِطاق الرياضيات(المنطق الرمزي الحديث) كأداة مُثلىَ للاستعمال في مجال الفلسفة وهُوَ يقصِدُ كما قال «هوسرل Hus-serl Edmund (1859/1938) » الفلسفة التي تسلُك طريق العِلْم الصَّارِم

ج. **التركيب المنطقي للغة** « La syntaxe logique du langage » كان فَحوى هذا العمَل مُنحَصِراً في تنصيب «كارناب» كَمُمَثِّل منطِقي للعِلْمية الحديثة للفلسفة، فعَبْرَ صفحات هذا الكِتاب، نجِدُهُ يُلْغِي مَاهِيَتان للفلسفة هُما على التوالي: الصيغة النظرية التقليدية للفلسفة والتي كانت تَرُدُّ الفلسفة إلى الميتافيزيقا. والصيغة التي كانت تهتَّمُ بالمسائِل الوُجودِية باعتبارِها «لُغز الحياة » ومِنْهُ إبعاد ما يُسَّمى بفلسَفة المُمارسة وضرورة تركِها للإدارة الفردية. إذن فكينونة الفلسفة الجديدة لدى «كارناب» تكمُنُ في كونِها (منطِق العِلم) أو (عِلم أساسي صارِم)، هِيَ فلسفةٌ تُرْجِعُ ذاتَها إلى التحليل المنطِقي للعلُوم ولُغَتِها.

د. **مقدِّمة في علم المعاني (السيمنطيقا)** « Introduction to Semantics »: ظهر هذا الكِتاب أوّل مرّة في سنة 1942.

هـ. **الصياغة الصورية للمنطق** « Formalization of Logic والذي ظهر سنة 1943م .

و. **المعنى والضرورة** « Meaning and Necessity » في سنة 1947م . وعبر هذا الكتاب استطاع أن يؤسِّس منطِقياً لمفهوم الحقيقة.موّجِها النقد إلى التصورات التقليدية التي استعملها الفلاسفة دون تمحيص أو نقد، ودون تعريف بطريقة دقيقة، حيث أسَّس لفكرة التصور السيمنطيقي للحقيقة.

ز. **الأسس الفلسفية للفيزياء**: « Les fondements Philosophiques de la Physique» (1966م) يُحدِّدُ «كارناب» في مقدمتِهِ لهذا الكتاب مصدرهُ، باعتبارِهِ حصيلة محاضرات ألقاها لفَتَرَة مِن الزمن في «ندوة علمية»ن حيث أدخل عليها جملة تعديلات مسّت الشكل والمضمون، مع احتفاظِهِ بنفس عنوان الندوة، إي « الأسس الفلسفية للفيزياء».

ح. «**مشاكل وهمية في الفلسفة: عقول الآخرين والنِزاع حول الو اقعية** « وهُوَ كِتاب صغير ألّفَهُ في عام 1928م، يؤكِّد فيه أنّ المشاكِل الميتافيزيقية عامّة، ومُشكِلة الواقعية والمثالية بالخصوص ينبغي أن تُعّدُ مشاكل وهمية زائِفة. ويعتَمِدُ في دعواه هذه على مبدأ القابلية للتحقق الذّي قال بِهِ «فتجنشتاين».

ط. إضافة إلى هذه المؤلفات لديه **مجموعة مقالات**، ولعلَّ أهّمُها كَانَ المقال المُعَنْوَن بِـ: « **حذف الميتافيزيقا بواسِطة التحليل المنطقي للغة** «، الذي نشرهُ في سنة 1932 م.

وفيه يُميّزُ بين نوعين من التقريرات الزائفة أو الوهمية. إضافة إلى ذلك عَملَهُ المُشترك مع «أوتو نويراث Otto Neurath » و«تْشَارْلز مُوريس Charles Morris » الذي أفرز : «الموسوعة الدولية للعِلم المُوّحد» في عام 1938م، حيث أكدَّت هذه الموسوعة توحيد الألفاظ العِلمية، أكثر مِمّا كانت تُؤَكِّد القوانين العلمية. من حيث طبيعة الأعمال التي أنجزها « كارناب» فإنّنا نستطيع الجزم في الأخير، بأنّ شَأنَهُ شَأن « لودفيج فتجنشتاين» مَرَّ تفكيره بِمرحلَتين: فقد انشغل في بداية أعماله الفكرية الأولى بتحليل المفاهيم العِلمِية مُستعيناً بالمنطِق الحديث، من أجل تنقية المُشكِلات الفلسفية، أمّا المرحلة الثانية حدث له نوع من التراجُع، حيث ساد لَدَيهِ اعتقاد على أنّ مُهِمّة الفلسفة لا تنحصِرُ فقط في تحليل الأفكار وتوضيح المبادئ الخاصّة بالعلوم، فطالما أنّ للفلسفة معنى معرفي، وإن لم يكُن لها معنى تجريبي، فإنّ لها أن لا تتوقف عن التوضيح والتحليل، وإنّما أن تُنتِجَ معرِفة جديدة بِما أنَّها لم تخرج عن لغة العِلم حيث يُمكِن قول كلّ شيء قابِل للقول. أمّا فيما يخُصُّ اللغة ، فالدِّقة شرط أساسي في إقامة الأنساق وفي اشتقاق القضايا، وهو ما توفِرُهُ اللغة الرمزية.

5. كارل، ريموند، بوبرK. POPPER (1902 م/1994):

وُلد كارل بوبر في «فيينا» عام 1902 ، تلقى تعليمه في جامعة فيينا ، في عام 1937 احترف الفلسفة، تبنى في شبابه الأفكار الماركسية، لكنّه سرعان ما أعلن ابتعاده عن الأفكار اليسارية، ثمّ تبنى وجهات نظر ليبرالية مشدِّدا على أهمية المبادئ الديمقراطية ، ترك «بوبر» النمسا مع ظهور النَّازية، وأثناء الحرب العالمية الثانية التحق بوظيفة محاضر في كلية كانتربري بِنيوزلندا، وهي البلدة التي شهدت تطوراً في أفكاره. وبعد الحرب اتخذّ «بوبر» إنجلترا موطِنه حيث شغل منصب أستاذ كرسي في المنطق والمنهج العلمي. ومن أهّم مؤلفاته: «منطق الكشف العلمي» سنة 1935، وكتاب «المُجتمع المفتوح وأعداؤُهُ «سنة 1945 م، وكتاب «عُقْم المذهب التاريخي» في عام 1957، ثُمّ جاء كتابُه في المنهج: «تخمين وتفنيدات: نمو المعرفة العِلْمِية» سنة 1963 م. وفي سنة 1972 م، ألَّفَ كتاب» المعرفة الموضوعية»، أمّا كتاب «الواقعية وهدف العلم «فأنتجه سنة 1983 م. ورغم ما قضاه «بوبر» في «فيينا»، واهتمامه بالمسائل ما وراء العلمية، فَرُغْمَ أنّه لم يكن عُضواً مباشِراً في «حلقة فيينا»، إلاّ أنّه كانت لديه اتصالات موسعة مع بعض أعضائِها والذين كان يجد تفاعلا بينه وبين آرائِهم. إنّ مشروعه الفلسفي يَتَمَوْقَع ضِمن خَّط البّحْث في الفلسفات ذات التوجُه النّقدي، فهو امتداد للتُّراث النّقدي الذي تأسَّس على يّد «إيمانويل كانط». ومقولة المعرفة المُعاصِرة عِنده، يجب أن تتأسّس على «القابلية للتكذيب» و«التفنيد» و«الاختبار» والخطأ». وما يمكن قوله عن العقلانية البوبَرِيَة، إنّها تحطيمٌ لِوَثَن

الحقيقة المُطلقة، وتحطيم لِمركزية الذّات في حقل المعرفة.

6. لودفيج فتجنشتاين: Ludwig Joseph Johannes Wittgenstein(1889 م/ 1951 م):

(وُلِدَ في 26 أفريل 1889م/ وتُوُفِيَّ بِتاريخ 29 أفريل 1951م)، صُنِّف ضمن أكبر فلاسفة القَّرْن العِشرين، إذ اعتبره المِخيال الشَّعبي في أوروبا «سقراط العصر الحديث»، حيث أحدث ثورة حقيقية في مجال التّفكير عامّة وطُرُق التفكير الفلسفي بالخُصوص. اعتمد في تكوين شخصيتِهِ على مبدأين أساسين: النَّقد الذَّاتي ومُحاسبة النّفس. ولِهذا كان أُولىَ مَطامِحِهِ أن يصير راهِباً، ونظراً لِعَدَم مُوافَقَة مُواصَفات حَياة الرُهبان لِمعالِم شَخصِيتِهِ، بَعْدَما جَرّبها كَعامِل في دِير الرُهبان في «هيتالدُورْف Hutteldorf قُرْبَ «فيينا». عُمِّدَ «لودفيج» في كنيسة كاثوليكية، وقد كان مُحافِظاً ومُحتَرِماً للدّين، على الرُغْم مِن أنّهُ لم يَكُن يتَرَدّد على الكنيسة في حياتِهِ اليومِية. التحق سنة 1906 بالمعهد العالي للتقنيات في «برلين»، أين تخرّج بشهادة مُهندس. وفي سنة 1914 ومَع اندلاع الحرب العالمية الأولى، تطوّع في صفوف الخِدمة العسكرية لِحِساب بلده «النمسا» في الجبهة الشرقية، أين حُكِم عليه بالأسر على الجبهة الإيطالية، فكان أن قضى مُدّة سنتين في «مونتي كاسينو» في جنوب إيطاليا، وهناك كتب أولى كِتاباتِهِ التي عُرِفت بِـ « يوميات 1914- 1916Carnets «[1] أو ما عُرِفَ بِـ «Prototractatus»، فَهذا النّص المُؤَرَّخ في عام 1918، هُوَ ما شَكَّلَ بالضرورة قِوامَ الدِراسة التحضيرية للتراكتاتوس Tractatus أو «رسالة منطقية فلسفية» لِفتجنشتاين.

يحوي هذا النّص، - مجموعة مِن النِّقاط حَوْل المنطق والتي كتبها سنة 1913، والتي كَانَت تُمثِّل نَوْع مِن التقرير الذي عرَضَهُ «فتجنشتاين» على «راسل Russel» حَوْلَ حَالة عَمَلِهِ الفلسفي. كذلك نِقاط النورفاج «Les Notes de Norvège» والتي بعثها لِـ «جورج .إدوارد .مور Moore «في أفريل 1914. هذين العَملين يكشِفان بالخُصوص، وبطريقة أقّل أكاديمية، وأكثر قرابة عن فَحْوى «التراكتاتوس». تأثّر كثيراً بِفريجه، Gottlob Frege الذي كان مِن وراء التِقاءِه بأعظم فيلسوف رياضي في كمبردج، إنّه «برتراند راسل» والذي كانت لَهُ، معَهُ طرائِف كثيرة، أثناء تعامُلِهِ معه، إمّا مُعاملة الأستاذ للطالِب، أو طالِب الحِكمة من الحَكيم. يقول «راسل عن «فتجنشتاين»في أحد كُتُبِهِ: « إنّهُ بدأ كتِلْميذ لِي، وانتهى بِخَلْعي والحُلول محَلّي، في كُلٍّ مِن «أكسفورد «و«كمبردج». وبعد تجارب عديدة في التمهين، التي كان أبرزها تجربته القاسية في التعليم الابتدائي التي قضاها بقريةٍ في الرّيف اسمها «تراتنباخ» (Trattenbach) والتي عان من أهلِها الكثير، حيث اتهموه بالقسوة الشديدة مع أبنائِهم. وفي عام 1929، أقنعه: فرانك رامزي،

(1) هِي بمثابة مجلّة أو جريدة فلسفية، وُضِعت ما بين 22 أوت 1914 و10 يناير 1917. وقد سُجِلّت فيها الأفكار تبعا يوماً بعد يوم ، وتزامُناً مع ميلادِها، دون مراعاة لانسجامها ونظامها المنهجي.

بأن يعود إلى «كامبردج» ، ليتقدّم هناك، لامتحان أطروحة الدكتوراه، حيث امتحنه كلّ من «راسل» و»مور». وكان موضوعها كنابه الرئيسي: «رسالة منطقية فلسفية. كان يحضر دروسه حوالي خمسة عشر طالباً، وكان يرفُضُ القبول بِزوّار المُناسبات، أو السُّواح كَمَا كان يُسَمّيهم. كان ذا شخصية مُتسلّطة، ولكنّه في الآن نفسِهِ كان يملِك حِسّاً اجتماعِياً (تخلّيه عن عملِهِ في التدريس، ليختار أن يكون مُمَرّضاً في إحدى المستشفيات في الحرب العالمية الثانية. ثُمّ مُساعِدا في مختبر طِبّي. عرَف تفكيره الفلسفي مرحلتين حاسِمتين من حياتِه، إذ اتفق جل الدارسين إلى فلسفتِه، أنّها تُمثّل مرحلتين: الفلسفة الأولى مع «فتجنشتاين الشّاب» الذي برز مع كِتابِهِ «رسالة منطقية فلسفية»، ومرحلة ثانية مع «فتجنشتاين الثاني أو المُتأخِّر». مِن خلال كتابِهِ « أبحاث فلسفية». رغم أنّ هناك من يُضيف مرحلة ثالثة في حياتِهِ الفِكرية، وهِي لا تظهر كسَابِقاتِها، بل نَجِدُهُ يَطْرَحُها ضِمنِياً وفي السِّياق الذِّي لا يَعْرِفُهُ إلاَّ الذّين تتَبعوا حياة هذا الفيلسوف عن قُرْب. إنّها حياة فتجنشتاين المتصَوّف (تناول موضوع الأخلاق والقّيَم الجَمالية) كَمَوْضُوعات خَفِيّة خاصّة في «الرّسالة». وهذا ما عبّر عَنْه المُشتغلين في هذه التخصُصات، بِفِكرة الصَّمت الفتجنشتايني. في خريف 1949، اكتشف أنَّهُ يعاني مِن مَرَض السّرطان في المَثانة، **وتوفي في 29، أبريل 1951**. وكانت آخِرُ عبارة قالها لزوجة الطبيب الذي كان يُعالجه في «كمبردج»: «أخبرِيهِم بأنّي عِشْتُ حياة رائِعة.».

7. غوتلوب فريجه Gottlob Frege (1848 م/ 1925):

رِياضي ومنطقي ألماني، وُلِد في فسمار Wismar في 08 نوفمبر 1848، وتُوُفِيَ في بادكلينن في 26 يونيو 1925، يُعدُّ من كبار مؤسّسي المنطِق الرياضي, وقد أسهم في مَنْطَقَة الرياضِيات، ابتغاء وضع نظرية في الاستدلال خالٍ من كُلّ عُنصُر عَياني. فكان أن قام باستخلاص المعاني الرياضية من المعاني المنطقية، وذلك بالاستعانة بالمنطق العام. وقد كان لِعِنايَته الشّديدة بالرياضيات البحتة والمنطق الرياضي، انعاكاساتُه على تطوّر الأبحاث اللغوية، خاصّة في مشاريع الوضعيين المناطقة وفِكرة التأسيس للُغة مِثالِية, لهذا نجِد دور «فريجه» كبيراً في توجيه هذا الحقل الهّام من المعرفة, إذ أثّر في كلٍّ مِن « لودفيج فتجنشتاين» وفي « رودولف كارناب» وفي مُعْظم فلاسفة حلقة فيينّا.

من أبرز مؤلفاتِه: كتابُهُ: « **أُسُس الحِساب**»، وهو بحث منطقي رياضي في تصوُّر العدد. إذ اعتبر أنّ القوانين الأساسية للحِساب مُستنبطة بالكِتابة التصويرية، كما حاوَل أن يُبيّن عبر هذا الكِتاب، أنّ الحِساب يُمكِن أن يُعَدّ فرعاً من المنطِق وأنّه ليس في حاجةٍ إلى تجربة، إضافة إلى أهّم كتاب لَه في فلسفة اللغة والمنطق: «**Écrits logiques et Philosophiques** « (كتابات منطقية وفلسفية) وكذا بعض المقالات في المنطق والرياضة.

8. موريس شليك M. SCHLIK(1882 م/ 1936 م):

مُفكِّر ألمانِي، بدأ عملهُ كفيزيائي، ثمّ اهتّم بالابستيمولوجيا، حصل على درجة الدكتوراه في الفيزياء في برلين عام 1904م، تأثَّر بِـ: «هلمهولتز»، «ارنست ماخ»، «ماكس بلانك» و«هنري بوانكاريه.» شغل كرسي التاريخ ونظرية العلوم الاستقرائية في جامعة فيينا ما بين سنة 1936/1921 م، يُعَّدُ الشخصية الأساسية في «حلقة فيينا «و أحد مُؤسِسي الفلسفة التحليلية المعاصِرة، وهو أوّل من قدَّم شرحاً فلسفياً لنظرية النسبية التي وضعها «آنشتاين». ومِن أبرز مؤلفات «شليك»: «المكان والزمان في عِلْم الطبيعة المُعاصِر- مدخل لِنظرية النِسبية والجاذبية- « سنة 1917، و››النظرية العامّة للمعرفة›› 1918، و»بحوث مجموعة››1925، و» مُستقبل الفلسفة›› 1932.

أولاً: قائمة المصادر

أ- باللُغَةِ العَربيّة:

1- **برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية**، تر: محمد فتحي الشنيطي، دار المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، د(ط)، 1977.

2- ـــــ، **ما وراء المعنى والحقيقة**، تر: محمد قدرى عمارة، مراجعة: إلهامى جلال عمارة، المشروع القومي للترجمة، إشراف: جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005

3- **رودولف، كارناب، الأسس الفَلسَفِية للفيزياء**، ترجمة وتقديم وتعليق: السيد نفادى، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

4- **لودفيج، فتجنشتاين، رسالة منطقية فلسفية**، ترجمة: عزمي إسلام، مُراجعة وتَقْديم: زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د(ط)، 1968.

5- ـــــ، **بحوث فلسفية**، ترجمة: عزمي إسلام، مُراجعة عبد الغفار مكاوي، جامعة الكويت، د(ط)، 1989 .

6- ـــــ، **تحقيقات فلسفية**، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الرزّاق بَنُّور، المُنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007 .

7- **كارل، بوبر، منطق الكشف العلمي**، ترجمة: ماهر عبد القادر علي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د(ط،ت) .

8- **ويلارد فان أورمان كواين، من وِجْهَة نَظَر منطِقِيَة**، تسع مقالات منطقية وفلسفية، ترجمة: يوسف تيبس، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2010 .

ب. **باللُّغَةِ الفرنسيّة:**

1- **B. Russel**, Histoires de mes idées Philosophiques, édition: Gallimard, Paris, 1961, P146.

2- , «La Philosophie de L'atomisme logique», in: écrits de logique philosophique, PUF, 1972.

3- **Carnap, R**, Hahn, H, Neurath, O, «La Conception Scientifique du Monde», in . Soulez, A, «Manifeste du cercle du Vienne et autres écrits».

4- ـــ, La construction logique du Monde, Introduction de Elisabeth SCHWAR-

TZ, Traduction de, Thierry RIVAIN, Revue par: Elisabeth SCHWARTZ, Librairie Philosophique, J.VRIN, Paris, France. 2002.

5- ___, signification et nécessité, Trad. De L'anglais Par Françoise Rivene et Philippe de Rouilhan, Éditions Gallimard, 1997.

6- **Gottlob Frege**, Ecrits logiques et Philosophiques, Traduction et introduction de Claude Imbert, Éditions du Seuil, 1971.

7- **HAHN NEURATH, CARNAP, R** «La Conception Scientifique Du Monde», IN Soulez, A Le MANIFESTE DU CERCLE DE VIENNE, OP.CIT.

8- **Ludwig Wittgenstein,** Tractatus Logical Philosophicus, Trad., préambule, et notes de Gilles Gaston Granger, INTRODUCTION PAR, Bertrand Russell, ÉDIT. Gallimard, 1993.

9- ___, Carnets 1914-1916, Traduction et Introduction et Notes De G.G. Granger, Éditions Gallimard, 1971.

10- ___, Le Cahier bleu et le cahier brun, Preface de Claude Imbert, Trad De L'anglais Par Marc Goldberg et Jérôme Sackur, Éditions Gallimard, 1996.

11- ___, Les Cours De Cambridge 1930-1932, Etablis par Desmond Lee, Trad. De L'anglais Par Élisabeth Rigal, Éditions T.E.R.1988.

12- ___, Remarques Philosophiques, Trad. De L'allemand par Jaques Fauve, Éditions Gallimard, 1975.

13- ___, De La Certitude, Trad. De L'allemand et Présenté par Danièle Moyal-Sharrock, Éditions Gallimard, 2006.

14- ___, Remarques mêlées, T.E.R, 1984.

15- ___, Leçons et Conversations, Textes etablis par Cyril Barrett, D' après les notes prises par Yorik Smyties, Rush Rhees et James Taylor, suivies De Conferances sur L'Ethique, Trad. de L'anglais par Jacques Fauve, Éditions Gallimard, 1992.

16- ___, Remarques sur les Fondements des Mathématiques, édités par G.E.M Anscombe, Rush Rhees et G.H. Von Wright, Traduit de l'allemand par Marie-Anne Lescourret, Éditions Gallimard, 1983

17- Michel Meyer, Logique, Langage et argumentation, Classique Hachette, Paris, 1982.

18- Otto Neurath, Le Développements du Cercle de Vienne et l'avenir de l'empirisme logique,Trad, du General VouilleminHermann Et Cie, Editeurs, PARIS, 1935.

19- - Quine, Willard Van Orman, LE MOT ET LA CHOSE, Traduit De L'américain Par les Professeurs Joseph Dopp et Paul Gochet, FLAMMARION, 1977.

ج - باللُغَةِ الإنجليزيّة:

1- **Bertrand**, **Russell,** The Problems of Philosophy, Type(s): Non-Fiction, Philosophy, Source: Feedbooks, http://www.feedbooks.com, Published IN:USA, 1912.

2- _____, Portraits from Memory, new york, 1956.

3- Otto, Newrath, «Sociology And Physicalism», in, Ayer, logical Positivism, op, cit.

4- Popper K, Objective knowledge, An Evolutionary Approach, Clarenton Press, Oxford, 1972.

5- , The logico of scientific Discovery, hutchinson, London, 1959

6- - R, Carnap, Introduction to Semantics and Formalisation Of Logic, OP. Cit.

7- , «Autobiography» in-22 P. A. Schlipp, The Philosophy of R.Carnap, London Cambridge university, Press, 1963 .

8- — ___, The Logical Syntax of Language, - Trans. Amethe Smeatin, - Routledage and Kagan LTD -LONDON -1971.

9- ___, «The Old and The New Logic» , in: Ayer, Logical positivism,Op, cit.

10- , The Logical Syntax of Language, - Trans. Amethe Smeatin, Introduction to Semantics and Formalization Of Logic, éd. Harvard University Press. Cambridge. Mass 1961.

ثانيا : قائمة المراجع

أ. **باللُّغَة العَرَبِيَّة:**

1. **أبو ريّان، محمد علي**، تاريخ الفكر الفلسفي الثاني، أرسطو والمدارس المتأخرة، دار النهضة العربية، بيروت، ط4، 1976، ص38.
2. **إبراهيم ،مصطفى إبراهيم**، فلسفة اللغة – نشأتها وتطّورها وأبرز أعلامها- دار المعرفة الجامعية، مصر، د(ط)، 2009.
3. **أدهم، سامي**، إبستيمولوجيا المعنى والوجود، نقد التطورية (دراسة نقدية للواقِعِية، والمنطِقانية، والترنسندتالية ونقد تطور المعاني)، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د(ط،ت).
4. **الديدي، عبد الفتّاح**، الاتجاهات المُعاصرة في الفلسفة، مطابع الهيئة المِصرية العامّة للكِتاب، الاسكندرية، مصر، ط2، 1985 م.
5. **ارحيلة، عباس**، الأثر الأرسطي في النّقد والبلاغة العربِيَّين، منشورات كلية الآداب العلوم الإنسانية ، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999.
6. **إسلام، عزمي**، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، د(ت).
7. **أي جي مور**، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، مُختارات مترجمة من كتاب، الوضعية المنطية، للناشِر: أي جي مور، ترجمة وتقديم، نجيب الحصادي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط1، 1994.
8. **آنشتاين، آلبرت**، النِسبية: النظرية الخاصّة والعامّة، ترجمة: رمسيس شحاتة، الهيئة المصرية للكتاب، ليبيا، د(ط،ت).
9. **بَلْمر PALMER**، «علم الدلالة»، تر: مجيد عبد الحليم، كليّة الآداب، الجامعة المُسْتنصَرِية، بغداد، العراق، د(ط)، 1985
10. **بركات، لطفي جمعة**، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، تقديم: زكي الفتوح رضوان، دار النهضة العربية، القاهرة، د(ط)، 1968.
11. **بغورة، الزواوي**،» مؤلف جماعي، «أرسطو في الفلسفة العربية الإسلامية، ج1، فلاسفة المشرق، مطبوعات جامعة متنوري، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2001م.
12. ـــــ، مؤلّف جماعي، «مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، دراسة تاريخية نقدية، مع نصوص مترجمة، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، د(ط،ت).
13. ـــــ، الفلسفة واللغة نقد «المنعطف اللغوي «في الفلسفة المُعاصِرة، دار الطليعة للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2005.
14. **بوعزة، الساهل**، العرب ومنطق اليونان، مِن مرحلة الانفتاح إلى مرحلة الرُكود والجُمود،

إفريقيا الشرق، 2013، الدار البيضاء، المَغْرِب، د(ط،ت).
15. **جي. جي. وارنك G.J. Warnock**، «نقد الميتافيزيقا»، نقلاً عن كِتاب: طبيعة الميتافيزيقا، تأليف: جماعة مِن الفلاسِفة الإنجليز المُعاصرين، تر: كريم متّى، مراجعة، كامِل مُصطفى الشيبى، منشورات، عويدات، بيروت، لبنان، د(ط)، 1981.
16. **جابري، محمد عبد الرحمان**، نظرية العلامات عند جماعة فيينا، رودولف كارناب نموذجا، دراسة وتحليل، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس، الجماهيرية الليبية، ط1، 2010.
17. **كوتنغهام، جون**، العقلانية فلسفة مُتجَدِّدة، تر: محمود منقذ الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 1997 .
18. **لطفي بركات، جمعة**، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، تقديم: زكي الفتوح رضوان، دار النهضة العربية، القاهرة، د(ط)، 1968 م.
19. **محمد علي، ماهر عبد القادر**، المنطق ومناهج البحث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د(ط)، 1985 م.
20. ـــــــ، فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د(ط)، 1985.
21. **محمد قاسم، محمد**، كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د(ط)، 1986.
22. **محمد السيد، محمد أحمد**، التمييز بين العِلم واللاّعِلْم- دراسة في مُشكِلات المنهج العِلْمِي- منشأة المعارف بالاسكندرية، مصر، د(ط)، 1996.
23. **محمود، خليفات سحبان**، منهج التحليل اللغوي- المنطقي في الفِكر العربي الإسلامي، (النظرية والتطبيق)، الجزء الأوّل، الجامعة الأردنية، عَمّان، د(ط)، 2004.
24. **محمود، زكي نجيب**، مقدمة كِتاب «المنطق الوضعي»، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1951.
25. **متّى، كريم**، المنطق الرياضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1979.
26. **نفادي، السيّد**، معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية، ، مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د(ط)، 1991
27. **عبد الباسط، سيدا**، الوضعية المنطقية والتُراث العربي، نموذج فكر زكي نجيب محمود الفلسفي، تقديم: طيّب تيزيني، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
28. **عبد الرحمان، طه**، المنطِق والنّحو الصوري، دار الطليعة ، بيروت، ط1، 1983.
29. **عبد الحق، صلاح إسماعيل**، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

30. **عبد السلام، بن عبد العالي**، أسُس الفِكر الفلسفي المُعاصِر، مجاوزة الميتافيزيقا، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000 م.
31. **عوض، عادل**، منطق النظرية العلمية المعاصرة، وعلاقتها بالواقع التجريبي، دار الكتب والوثائق العلمية، الإسكندرية، مصر، د(ط)، 2000.
32. **علي، حسين، الجابري**، فلسفة العلوم- دروس في الأُسُس النظرية وآفاق التطبيق، دار الفرقد، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،سورية، ط1، 2010.
33. **فرنر، شنيدرس Werner Schneiders**، الفلسفة الألمانية في القرن العشرين، تر: محسن الدمرداش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
34. **فرنان، دوني**، مدخل إلى فلسفة المنطق، ترجمة: محمود، اليعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د(ط)، سبتمبر2006.
35. **فرحان، محمد جلوب**، دراسات في علم المنطق عند العرب، الموصل، العراق ، د(ط، ت)، ص 51.
36. **شطوطي، محمد**، اللغة المنطقية عند برتراند راسل، دار مدني، الجزائر، د(ط)، 2002.
37. **توم، عبد الله محمد**، المنطِق واللغة والواقِع، دراسة في فلسفة الذَّرِية المنطقية عِند كُلٍّ مِن راسل وفتجنشتاين، جامعة الخرطوم، ط1، 1987.
38. **صالح، رشيد الحاج**، النظرية المنطقية عند كارناب، دراسة فلسفية لجدل العلاقة، بين المنطق والعِلم والفلسفة، منشورات الهيئة العامّة السورية للكتاب، دمشق، د(ط)، 2008.
39. **ياسين، خليل**، مقدمة في الفلسفة المعاصِرة، دراسات تحليلية ونقدية للاتجاهات العلمية في فلسفة القرن العشرين، قامت بتنقيحها وإضافة السيرة الذاتية للمؤلف، فاتن خليل البستاني، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2012 م.
40. **غيتمانوفا، ألكسندرا**، عِلم المنطق،الترجمة إلى اللغة العربية مع التعديلات: دار التقدُّم، موسكو، الاتحاد السوفياتي، د(ط)، 1989.
41. **حسان، الباهي**، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، الناشرون: دار الأمان، الرباط، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
42. **حسن، وداد الحاج** ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001،
43. **حسين إبراهيم، غلام**، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي، تعر: عبد الرحمان العلوي، دار الهادي، د(ط، ت)، ص 171، 172.
44. **زيدان، محمود فهمي**، المنطق الرمزي، نشأته وتطَوُرُهُ، تصدير، محمد فتحي عبد الله،

دار الوفاء لِدُنيا الطِباعة والنَّشر، الإسكندرية، مصر، د(ط،ت).
45. ـــــ، الاستقراء والمنهج العِلْمي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1966.
46. **زكريا، ابراهيم**، دراسات ف الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، د(ط)، 1986.

ب. **بِاللُغَة الفِرَنسِيَة:**

1- **Alain Chauve, La Logique et sa signification Philosophique,** Éditions
2- Delagrave, France, janvier 2005**.**
3- **Auroux Sylvain, La Philosophie du Langage,** Ed, PUF. Paris, 1996.
4- **BARBARA CASSIN, et autre, LE PLAISIR DE PARLER, Etudes de sophistique Comparée, LES ÉDITIONS DE MINUIT, Paris, 1986.**
5- **CF. R. Haller,** «Wittgenstein était –il néopositivisme?» in le cercle de vienne , doctrine et controverses, klincksiek, 1986
6- **CHRISTIAN BONNET, et PIERRE WAGNER, L'âge d'or de l'empirisme logique, Vienne – Berlin – Prague (1929/1936),** Éditions Gallimard, 2006.
7- **ELIE DURING,** LA MÉTAPHYSIQUE**,** Textes Choisis et Présenté Par: ELIE DURING, Flammarion, Paris, 1998.
8- **Émile Bréhier, HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE, Tome** ???, moyen âge et renaissance, Cérès éditions, TUNIS, 1994.
9- **François Chinique, éléments de la logique classique, Tome I,** présentation de: Ad. ANDRE BRUNET, Bordas, paris, 1975.
10- **JAY, STEVENSON, LA PHILOSOPHIE:** Une histoire de la philosophie de Socrate a nos jours, traduit de l'anglais par Dominique Françoise, Edition Hachette Livre (Marabout), France, 2008.
11- **Jean, Leroux, Une Histoire Comparée de La Philosophie des sciences,** Volume **II**, L'empirisme Logique en débat, Presses de L'université de Laval, Québec, Canada, 2010.
12- **Jean-Jacques Rosat,** Claude Romano, Denis Perrin, Jean-Philippe Narboux, Guy Deniau, Jean-Claude Gens, Julien Jiménez, Vincent Aubin, Wittgenstein et la Tradition Phénoménologique**, COLLECTION PHENO, Le cercle Hermé-**

neutique Editeur, Dirigée par Georges Charbonneau.

13- **IVAN, Gobry, La philosophie pratique d'Aristote,** presses universitaires de Lyon, 1995**.**

14- **Lecourt Dominique,** L'ordre et les Jeux, le Positivisme logique en question, Ed, Grasset et Fasquelle, Paris, 1981.

15- **Mélika Ouelbani**, **LA PHILOSOPHIE AUTRICHIENNE- spécificités et influences,** Colloque du 4 au 6 mars 1999, Sous la direction de Mélika Ouelbani, UNIVERSITÉ DE TUNIS 1, 2000.

16- ___, **Wittgenstein et le Cercle de Vienne, T.E.R, 1991.**

17- ___, **Wittgenstein et Kant,** la dicible et le Connaissable, Ceres Editions, TUNIS, 1996.

18- ___ **et Autres, La Philosophie Analytique dans tous ses etats, Sous la directions de** Mélika Ouelbani, Imprimés en Tunisie, en Juin 2007.

19- **PIERRE, Aubinque, LE PROBLEME DE L'ETRE CHEZ ARISTOTE,** Essai sur La Problématique Aristotélicienne, 2eme édition revue, PRESSE UNIVERSITAIRES De France, PARIS, 1966 .

20- **PIERRE, HADOT, Wittgenstein et les limites du langage,** suivi d'une lettre de G.E.M. Anscombe et de la logique comme littérature? Remarque sur la signification de la forme littéraire Chez Wittgenstein, par Gottfried Gabriel, Troisieme tirage, LIBRAIRIE PHILOSOPHIQUE J. VRIN, Paris, 2010.

21- **Peter Simons, Pascal Engel, John Zeimbekis, Daniel Andler, Pascal Ludwig, Stéphane Lemaire, Clément Sedmak, Yasmina Kefi-Gholbane, Melika Ouelbani, LA PHILOSOPHIE ANALYTIQUE dans tous ses états,** Université de Tunis, Faculte des sciences Humaines et Sociales, TUNISIE, Juin, 2007.

22- **PAULINE KOESCHET, LA PHILOSOPHIE ARABE, textes choisis et présenté par: PAULINE KOESCHET,** éditions POINTS Essais, 2011.

23- **Philippe, Saltel, et Autres, LES Pactes Philosophiques, Comment lire les Philosophes?** Ellipses Editions Marketing, S.A., 2002.

24- **SCHMTZ François**, Wittgenstein, éd. Les Belles Lettres, Paris, 2003.

25- **Jay Stevenson,** préface de Florent Emy, La PHILO. Une histoire de la philosophie de Socrate a nos jours: pour connaitre les grands courants de Pensée et acquérir un peu de sagesse...Éditions, MARABOUT, France, 2008.

هـ. **باللُغَةِ الإنْجْلِيزِيَّة:**

1. **Pap, Arther**, An Introductions to the Philosophy of Science, Eye r& Spothis Woods Pub.London, 1963.
2. **Ryle, Gilbert**, Ludwig Wittgenstein, in: «Essays on Wittgenstein's Tractatus», Edited by, Irving M, Copi and Robert W.Beard. Rotledge and Kegan Paul, London, First Published, 1966.

ثالثا: القواميس والموسوعات:

أ. **باللُغَةِ العَرَبِيّة:**

1. **ابن منظور،» لسان العرب»**، المُجلّد الثالث، حقَّقَهُ عامِر أحمد حيدر، راجَعَهُ عبد المُنْعِم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005 .
2. **إدريس، سهيل، « المنهل»**، قاموس فرنسي- عربي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 44، 2012 .
3. **الموسوعة الصغيرة**، إصدار دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد / العِراق، العدد 163، والموسوم بِـ « الفيزياء والفلسفة»، الجزء الثاني، دار الحرية للطباعة، بغداد، د(ط)، 1985
4. **الموسوعة الفلسفية المُختصرة، نقلها عَن الإنجليزية: فؤاد كامِل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق**، راجعها وأشرَف عليها وأضاف شخصِيات إسلامِية، زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، لبنان، د (ط)، 1963.
5. **الشريف الجُرجانِي، علي بن محمد السيِّد، التّعريفات**، اعتنى بِهِ: مصطفى أبو يعقوب، مؤسّسة الحسنى، الدار البيضاء، ط2006،1 .
6. **بدوي، عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة**، الجزء الأوّل والثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1984،1.
7. **دليل أكسفورد للفلسفة، الجُزء الأوّل، تحرير: تدهوندرتش، ترجمة: نجيب الحصادي، تحرير الترجمة: منصور محمد البابور، ومحمد حسن أبو بكر، مُراجعة**

اللغة: عبد القادر الطلحي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، الجماهيرية الليبية، د(ط)، 2003 .

8. **لالاند، أندري، الموسوعة الفلسفية**، تعريب: خليل أحمد خليل، المجلّد 1، 2، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط2، 2001 .
9. **مجمع اللغة العربية، المُعْجَم الفَلْسَفي، تصدير: إبراهيم، مذكور**، الهيئة العامّة لِشؤون المطابِع الأميرية، القاهرة، 1992.
10. **مغنية، محمد جواد، مذاهِب فلسفية وقاموس المُصطلحات**، دار ومكتبة الهلال، دار الجواد، بيروت، لبنان، د (ط،ت).
11. **موسوعة الأبحاث الفلسفية، للرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة**، «الفلسفة الغربية المعاصرة، صناعة العقل الغربي مِن مركزية الحداثة إلى التشفير المُزدوج، ج1، إشراف وتحرير، علي عبود المحمداوي، تقديم: علي حرب، منشورات ضفاف، ومنشورات الاختلاف، ط1، 2013.
12. **جمال، هاشِم، قاموس الفلاسفة**، دار الخطابي للطباعة والنشر، دار البيضاء، المغرب، ط1، 1991.
13. **سعيد، جلال الدّين، معْجَم المُصطلحات والشواهِد الفلسَفِيَة**، دار الجنوب للنشر، تونس، د(ط)، 2004 .

ب. **باللُّغَةِ الفرنسيّة:**

1- **Armand, Cuvillier**, **Nouveau VOCABULAIRE PHILOSOPHIQUE, avec supplément ,** Librairie Armand Colin, 1956.

2- **Elisabeth Cléments,** Chantal Démonique, Laurence Hansen-Love, Pierre Khan**, LA PHILOSOPHIE de A a Z,** Hatier, paris, 1994**.**

3- **Grand Dictionnaire de la PHILOSOPHIE,** Sous la direction de: Michel Blaye, CNRS EDITIONS, 2005.

4- **HANS- JOHANN- GLOCK, DICTIONNAIRE DE WITTGENSTEIN,** traduit de l'anglais par: Hélène roudier de Lara, ET Philippe de Lara, Éditions Gallimard, 2003.

5- **Jacqueline, Russ, PHILOSOPHIE: Les Auteurs, Les Œuvres,** La Vie et la pensée des grands philosophe – L'analyse détaillée des œuvres Majeures, La-

rousse Bordas, 1996.

6- **Paul, Robert, Le Robert,** Dictionnaire de la langue Française, Tome ?, Deuxième édition, édité par les Dictionnaires Le Robert, Paris, 2005.

رابِعاً: المجلات والدوريات:

أ. **<u>باللُّغَة العَرَبِيَة:</u>**

1. **أيس**، عُنوان المِلَف: « فتغنشتاين ومُشكِلات الفَلسفَة، أمشاج في الفلسفَة التَحْلِيلِيَة»، إصدار دار الأخبار للصحافة، القُبّة،الجزائر، ، **العدد الرابع، السُداسي الأوّل، 2011** .
2. **عالم الفكر، مجلة دورية مُحَكَّمة**، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثاني، أكتوبر/ ديسمبر 1996، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
3. **المجلّة التونسية للدراسات الفلسفية**، إصدار الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية، عدد مُزْدَوَج: 41/40، 2006، مطبعة تونس، قرطاج، تونس.
4. **المجلّة التونسية للدراسات الفلسفية**، إصدار الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية، عدد مُزْدَوَج: 31/30، 2006، مطبعة تونس، قرطاج، تونس.
5. **دراسات فلسفية، مجلّة مُحَكَّمة** ، يُصْدِرُها قِسْم الفَلْسَفَة، بكُلِيَّة العُلوم الإنسانية والاجتِماعِية، جامِعة الجزائِر 2، العدد السابِع، ستة 2011م، 5203 - 1111 ISSN .
6. **مجلّة جامِعة بابِل**، العِراق،/ إصدار: كليّة العلوم الإنسانية، المُجلَّد الثامِن عشر، العدد الرابِع، سنة 2010.
7. **مجلّة حوار الفلسفة والعِلم**، العدد الأوّل، 2012م، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان.

ب. **<u>باللُّغَةِ الفرنسية:</u>**

1- Revue: **L'ART DU COMPRENDRE**, N° 20, Deuxième Série, Juillet 2011, Jocee lyn Benoits, Christiane Chauvire, Mathieu contou, Eli Friedlander, et Autre..., WITTGENSTEIN ET LES QUESTIONS DU SENS, Éditions L'ART DU COMPRENDRE- SERAPHIS, Paris. 2011.

خامساً: الأطاريح الجامعية:

1- **حمود، جمال، فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتاين مِن خلال رسالة منطقية فلسفية** (رسالة دكتوراه)، إشراف: مليكة ولباني، جامعة منتوري، قسنطينة، كليّة العُلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، السنة الجامعية: 2007/2006 .

فهرس الموضوعات:

تقديم وتعليق.....3

الفَصل الأوَّل:

«التّحليل اللُّغوي والنّزعة التّجريبية – المنطقية» – قراءة في الأصول –

المبحث الأوّل: التأسيس لمفهوم «التّحليل المنطقي» في الفلسفات الكلاسيكية والحديثة دراسة تقريبية لِنماذج.....13

المبحث الثاني: «في نشأة وماهية النزعة التجريبية – المنطقية» 25

المبحث الثالث: «الحقل الموضوعاتي للنزعةالتجريبية - المنطقية».....36

المبحث الرابع:» المنهج كأداة للفلسفة العِلميةلدى أنصارالنزعة التجريبية - المنطقية».....50

الفصل الثاني:

« فتجنشتاين وأثَرُهُ على بِنْية الخِطاب الابستيمولوجي والميتودولوجي للتجريبية المنطِقية»

المبحث الأوّل: التَيّار التحليلي الروح المُطْلَق للفلسفة النمساوية 65

المبحث الثاني: التراكتاتوس وانعكاساته على البِناء القاعِدي للفلسفة التجريبية المنطقية 74

المبحث الثالث: التحليل المنطقي والقابلية للتحقُق بين «فتجنشتاين» والتجريبية 83

المبحث الرابع: «الأبحاث الفلسفية ومنطق اللغة عِنْدَ التجريبية المنطِقية»- جدلِية العَوْد والتجاوُز- 93

الفصل الثالث:

«التحليل المنطقي للغة كأساس لِمنطق العِلم في النزعة التجريبية –المنطقية» –رودولف كارناب نموذجاً–

المبحث الأوّل: التجريبية المنطِقِية كفلسفة لِمنطق للعِلم عِند «كارناب» - دراسة في الأُسُس 107

المبحث الثاني: إسهامات «كارناب» في مجال البِنْيَة والتركيب المنطقي للعَالَم 114

المبحث الثالث: «كارناب» ومبدأ «القابلية للتحقيق» لدى التجريبية المنطقية.....121

المبحث الرابع: نظرية المعنى(السيمنطيقا) كنتيجة لأبحاث»كارناب» اللُغَوِيّة في ظِلِّ التجريبية المنطِقية 127

الفصل الرابع:

«مشروع التّجريبية المنطقية في التّحليل المنطقي للّغة» نقد ومُساءلة

المبحث الأوّل:نقد»كارل بوبر لميتودولوجيا التحليل عِند النّزعة التّجريبية المنطقية 139
المبحث الثاني:انتقادات «ويلارد فان أورمان كواين» للفلسفة التّجريبية المنطقية 146
المبحث الثالث:تّحليل القضَايا كَموضوع للمُساءَلة في الفلسفة التَّجريبِية المَنطقية 153

الملخص.....163

مُلحق السيرة الذاتية لأعلام البحث:.....169

المصادروالمراجع.....177

فهرس الموضوعات.....189